بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم

المملكـة العربيـة السعوديـة

وزارة التعليـم العالـي

جامعـة أم القـرى

كليـة التربيـة – بمكـة المكرمـة

قسـم التربيـة الإسلاميـة والمقارنـة

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم: سعيد بن موسى بن عيدان العمري الكلية: التربية القسم: التربية الإسلامية المقارنة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير التخصص: التربية الإسلامية

عنوان الأطروحة: التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد بناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشـتها بتـأريخ ١٤٢٣/١١/١٥هـ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث تم عمل الـلازم.فـإن اللجنة توصي بإجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلـي للدرجـة العلميـة المذكورة أعلاه...

والله الموفق ،،،،،

أعضـاء اللجنـة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
أ.د/ محمود بن محمد كسناوي	د/ عبدالناصر بن سعيد عطايا	أ.د / حامد بن سالم الحربي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمـد

رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

د/ نايف بن حامد الشريف

المملكـــة العربيـــة السعوديـــــة
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية و المقارنـــة

٣٠١٠٢٠٠٠٠٤٤٢١
٠٠٥٠٠

التوجيهات التربوية المُتَضَمَّنَة في سورة المجادلة

إعداد الطالب / سعيد بن موسى بن عيدان العُمري

إشراف الأستاذ الدكتور
محمود بن محمد بن عبدالله كسنـــاوي
عميد كلية التربية بجامعة أم القرى
وعضو هيئة التدريس بقسم التربية الإسلامية والمقارنة

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير من قسم التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الأول
١٤٢٣ ــ ١٤٢٤هـ

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة ص : آية ٢٩]

الإهداء

إلى والـــديَّ اللذيـــن أدعـــو لهمـــا الله أن يجزيهـــما عـــني مـــن الخـــير أجـــزلـــه ، ومـــن الثـــواب أعظمه جـــزاء مـــا أوليـــاني إيـــاه مـــن حســـن رعـــايـــة مـــن غـــير ســـابـــق فضـــل مـــني ومـــن غـــير كلل ولا ملـــل فلهمـــا مـــني الـــدعـــاء أن يحفظهما ويمتـــع بحيـــاتهمـــا ، ويجعـــل الجنَّـــة ثـــوابهمـــا وســـائـــر المســـلمـــين .

شكر وتقدير

الشكر لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، ثم لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لسعادة الأستاذ الدكتور / محمود محمد كسناوي عميد كلية التربية بجامعة أم القرى مشرفي على هذه الرسالة الذي لم يدخر وسعاً في تقديم النصح والتوجيه والإرشاد ـ رغم كثرة أعماله وضيق وقته ـ حتى كانت الرسالة على هذا الوجه ، فقد وجدت في غزارة علمه وسعة اطلاعه ورحابة صدره وطيب معاملته أكبر مشجع لي على إتمام هذه الدراسة فله مني جزيل الشكر وخالص الدعاء .

كما أشكر سعادة الدكتور / عبداللطيف بن محمد بالطو الذي تولى الإشراف عليَّ في بداية كتابة خطة هذه الدراسة والذي لم يدخر وسعاً في توجيهي وإرشادي أثناء تلك الفترة فله مني عظيم التقدير وخالص الدعاء .

كما أشكر كل من سعادة الأستاذ الدكتور / حامد بن سالم الحربي وسعادة الدكتور / عثمان نوري اللذين تفضلا بتحكيم خطة هذه الدراسة وكان لملاحظاتهما وتوجيهاتهما أعظم الأثر .

وكذلك أشكر جميع أساتذتي في قسم التربية الإسلامية والمقارنة الذين فتحوا لي ولزملائي طلبة القسم باب البحث العلمي وأبانوا طريقه فلهم مني خالص الدعاء . كما لا أنسى أن أخص بالشكر والتقدير رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة سعادة الدكتور / نايف بن همام الشريف ، وكذلك المرشد الأكاديمي بالقسم سعادة الدكتور / خليل الحدري على ما يبذلانه من توجيه وإرشاد وتسهيل لأمور الدراسة لطلبة القسم فلهم مني خالص الدعاء بالتوفيق والسداد .

ثم لا يفوتني أن أخص بالشكر جميع أفراد أسرتي الذين كان لمساندتهم أعظم الأثر في الدأب والمثابرة وتحمل مشاق الدراسة والبحث .

كما أسجل شكـــري وامتناني لكـــل من ســـاهم في تقديم عون أو إســـداء نصـــحٍ أو تشجيع أو توجيه من أساتذتي وأصدقائي وزملائي والذين لا أكـــاد أحصيـــهم ممـــن ذكرت أو لم أذكر فجزى الله الجميع خير الجزاء .

والشكر مقدم سلفاً لكل من سعادة الأستاذ الدكتور / حامد بن ســـالم الحـــربي ، وسعادة الدكتور / عبدالناصر بن سعيد عطايا اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الدراســة فلهم مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان .

وختام شكري وخالصه من قبل ومن بعد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقـــه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ملخص الدراسة

عنوان الدراسة : التوجيهات التربوية المُتَضَمَّنة في سورة المجادلة .

كان القرآن الكريم ومازال ولن يزال المدرسة التربوية الجامعة التي تفتح أبوابها أمام كل مربٍ لينهل من معين التربية الربانية . ومن هذا المنطلق تناول الباحث دراسة " التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة " مستخدماً المنهج الاستنباطي في استخراج التوجيهات حيث عرض في الفصل الأول : إلى مخطط الدراسة من مقدمة الدراسة،وموضوعها، وأسئلتها،وأهدافها، وأهميتها،والمنهج المستخدم فيها،وحدود الدراسة ، والدراسات السابقة.وعرض في الفصل الثاني : إلى التعريف بالسورة ومكانتها التربوية.وعرض في الفصل الثالث : إلى التوجيهات التربوية المتضمنة في الجانب العقدي وتطبيقاتها التربوية.وعرض في الفصل الرابع : إلى التوجيهات التربوية المتضمنة في الجانب التعبدي وتطبيقاتها التربوية.وعرض في الفصل الخامس : إلى التوجيهات التربوية المتضمنة في الجانب الاجتماعي وتطبيقاتها التربوية. وعرض في الفصل السادس:إلى التوجيهات التربوية المتضمنة في الجانب الفكري وتطبيقاتها التربوية. وأخيراً الخاتمة والنتائج والتوصيات وكان من أبرز النتائج ما يلي :

١ــ إن توجيهات سورة المجادلة اتصفت بالتعدد والشمول لجوانب كثيرة عقدية وتعبدية واجتماعية وفكرية مما يدل على عظمة هذا الكتاب الفريد وبركته العميمة ، فهو منهج تربوي كامل .

٢ــ إن استشعار المعية الإلهية له أثاره التربوية التي من أهمها : تحقيق مراقبة الله ، وتحقيق كمال الإيمان ، وتحقيق الإطمئنان النفسي للعبد ، وتقوية سلطان الوازع الديني ، والقيام بأمانة التكليف .

٣ــ رفعة مكانة الموالاة والمعاداة في الله حيث تعتبر أوثق عرى الإيمان .

٤ــ تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم يقوم على تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ، وما تقتضيه من الطاعة والتصديق والمحبة ، وهذه الأمور ترتكز على محور الاتباع والتأسي .

٥ــ إن الكفارات الشرعية تقوم على تقويم الغرائز والردع والزجر والجبر من أجل تزكية النفوس لا كما يصورها أعداء الدين من أنها تقوم على الانتقام والتنكيل بالجاني .

٦ــ إن التربية على الآداب الإسلامية من أهم أسباب تقوية عرى الأخوة الإيمانية ، وسبب مهم في نشر الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع .

٧ــ إن الحوار وسيلة تربوية لها بالغ الأهمية فعن طريقه يمكن علاج كثير من الأخطاء السلوكية ، والانحرافات الخلقية وعن طريقه أيضاً يتم تعزيز السلوكيات الصحيحة .

٨ــ إن من مميزات الإسلام وخصائص تربيته الفريدة دعوته إلى العلم بمفهومه الواسع الشامل .

وأوصى الباحث بالعناية بتربية الناشئة على منهاج الكتاب والسنة ، وتكثيف البحوث والدراسات التربوية في هذا الجانب ، مع العناية بترجمة التوجيهات التربوية إلى حياة ومعاملة وسلوك يظهر أثرها على أرض الواقع .

Synopsis of the study

Title of the study: The pedagogical directions included in Al-Mojadilah Chapter
The Holy Quran is the comprehensive pedagogical school which opens its doors to every educator to take up from the Divine pedagogical rich spring. Out of this the researcher dealt with studying "the pedagogical directions included in Al-Mojadilah Chapter, using the deductive method to extract the directions. In Chapter 1 he dealt with the plan of the study .. the introduction, the subject , the questions, the aims, the importance, the method used, and the limits as well as the previous studies. Chapter 2 dealt with a definition of the chapter and its position in pedagogy . Chapter 3 dealt with the pedagogical directions included from the point of faith and its pedagogical applications. Chapter 4 handled with the pedagogical directions included from the point of worship and its pedagogical applications. Chapter five dealt with the pedagogical directions included from the social point of view and its pedagogical applications. Chapter six dealt with the pedagogical directions included from the intellectual point of view and its pedagogical applications. Lastly the conclusion, results and recommendations. The most important results were:

1- The directions of Al-Mojadilah Chapter were multiple and inclusive of many aspects related to faith, worship as well as the social and intellectual aspects ,which in turn prove the greatness of this unique book and its blessings. It is a full pedagogical curriculum.
2- Feeling the company of Allah has its e pedagogical effects, the most important among which are: feeling that Allah monitor us, achieving full faith, achieving psychological peace of mind to man, enhancing the power of the religious sense, performing the duties.
3- Raising the position of backing and hostility for the sake of Allah as the most reliable bond of belief.
4- Glorifying the prophet , PBUH, relying upon confirming the testimony that Mohammed is the Messenger of Allah, with the obedience , belief and love it implies which concentrate on the aspect of obedience and follow up of the traditions.
5- The legislative atonement depending upon reforming the instincts , blaming and enforcement is for the sake of reforming the soul , not as religion enemies depict it as depending upon revenge and torturing the criminal.
6- Bringing up children upon the Islamic teachings is one of the most important reasons of strengthening the bonds of faithful brotherhood, and is an important reason in dispersing security and peace among individuals of the society.
7- Dialogue is a very important means of pedagogy , as through it many behavioral mistakes and moral deviations can be treated and also the correct behaviors can be enhanced.
8- Among the characteristics of Islam and its unique pedagogy is its call for science in its broad and full concept.

The researcher recommended to be careful with bringing up children upon the principles of Quran and tradition, and to intensify the researches and pedagogical studies in this respect, with the careful translation of the pedagogical directions into life , treatment and behavior , to show their effect on the real life.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
العنوان	أ
الاستفتاح	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
ملخص الدراسة ((عربي))	و
ملخص الدراسة ((انجليزي))	ز
قائمة المحتويات	ح
الفصل الأول ((الإطار العام للدراسة))	١
مقدمة	٢
موضوع الدراسة	٤
أسئلة الدراسة	٥
أهداف الدراسة	٦
أهمية الدراسة	٦
منهج الدراسة	٧
حدود الدراسة	٧
مصطلحات الدراسة	٨
الدراسات السابقة	٩

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني ((التعريف بالسورة))	١٢
عرض السورة الكريمة	١٣
سبب النزول	١٥
نزولها	١٨
تسميتها	١٨
موضوعاتها	٢٠
مقاصدها	٢٤
عدد حروفها وكلمها وآياتها وفواصلها	٢٥
ترتيبها في المصحف	٢٦
مناسبتها لما قبلها مدنيتها	٢٦
صلتها بما بعدها	٢٨
مدنيتها	٢٩
فضلها	٣٠
الناسخ والمنسوخ فيها	٣١
مكانتها التربوية	٣١
الفصل الثالث ((التوجيهات التربوية المُتَضَمَّنة في الجانب العقدي))	٣٤
المحور الأول : معية الله لعباده	٣٦
المحور الثاني : الموالاة والمعاداة	٥٢

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع ((التوجيهات التربوية المُتَضَمَّنة في الجانب التعبدي))	٧١
المحور الأول : مكانة النبي صلى الله عليه وسلم	٧٤
المحور الثاني : الكفارات في الشريعة	٩٤
الفصل الخامس ((التوجيهات التربوية المُتَضَمَّنة في الجانب الاجتماعي))	١١٢
المحور الأول : آداب النجوى	١١٤
المحور الثاني : آداب التحية	١٢٣
المحور الثالث : آداب المجالس	١٣٤
الفصل السادس ((التوجيهات التربوية المُتَضَمَّنة في الجانب الفكري))	١٤٤
المحور الأول : الحوار	١٤٦
المحور الثاني : العلم وفضله ومنزلة أهله	١٦٦
الخاتمة	١٨٢
النتائج	١٨٢
التوصيات	١٨٤
قائمة المصادر والمراجع	١٨٦

الفصل الأول

((الإطار العام للدراسة))

مخطط الفصل :

- مقدمة .
- موضوع الدراسة .
- أسئلة الدراسة .
- أهداف الدراسة .
- أهمية الدراسة .
- منهج الدراسة .
- حدود الدراسة .
- مصطلحات الدراسة .
- الدراسات السابقة .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على البشير النذير الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وأنزل عليه الكتاب المبين ، من اعتصم به فقد هُدي إلى صراط مستقيم . أما بعد ..

فإن الناظر في تاريخ الأمة يجد أن حالها قبل الإسلام ونزول القرآن على سيد الأنام محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام كان حالاً مريراً ؛ حيث كانت تعيش في تخبط وتيه، وتأخر وتخلف في كثير من مناح الحياة ، قبائلها " متشتتة ، لا صلة دينية توحد صفوفهم، ولا مصلحة اقتصادية تضمهم ، ولا رابطة سياسية تربطهم ، ولا سلام يسود بينهم ديدنهم توارث العداوات والأحقاد ، وشغلهم الحروب والغارات ، ودأبهم السلب والنهب ، ومعبودهم الأصنام والأوثان " [1] فأنزل الله هذا الكتاب العظيم هدىً ونوراً ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سورة إبراهيم :آية١] فنقل الله به الناس من الشرك والجهل إلى التوحيد والهدى ، وتحولت تلك الأمة المتأخرة المتخلفة إلى أمة رائدة قائدة تأخذ بزمام البشرية فتقودها إلى سعادة الدارين .

" فبالقرآن الذي حل في القلوب ، وانعكس في الأعمال والأخلاق أصبح أولئك الذين كانوا بالأمس مشتتين لا تجمعهم رابطة سياسية ولا دينية ، أمة موحدة قوية ، تنشر الحضارة في أرجاء العالم المضطرب "[2]

نعم سطّرت أمة القرآن أعظم حضارة في تاريخ البشرية ، واستمرت على ذلك قروناً ، ولكن أعداء الإسلام ــ ومنذ نزول القران ــ أدركوا أن سر قوة المسلمين تكمن في تمسكهم بهذا الكتاب ، لذلك لم يكن أمامهم إلا محاربته وذلك بمحاولة إبعاد تأثيره على قلوب المسلمين ، وبصدهم عنه ، يقول سبحانه

١ــ الرومي ، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان :خصائص القرآن الكريم ، مكتبة العبيكان ،ط٩ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٧هـ) ، ص ص ٥ ــ ٦ .

٢ــ أبو خليل ، شوقي : من ضيع القرآن ، دار الفكر المعاصر ، ط٣ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٨هـ) ، ص ١٠ .

وتعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [سورة فصلت : آية ٢٦] ، ومنذ ذلك الحين إلى يومنا هذا وأعداء الدين يبذلون ما يستطيعون لصد الناس عن القرآن الكريم سالكين في ذلك كل سبيل ، يقول غلادستون : " ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان " [١] ، ويقول المبشر ثاكلي : " يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه حتى نقضي عليه تماماً ، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد ليس صحيحاً " [٢]

فكان من نتيجة هذا الكيد المستمر من أعداء الإسلام بالإضافة إلى غلبة الهوى ، وفتنة الدنيا وملذاتها ، أن انغمس كثير من المسلمين في شهواتهم حتى استحوذت عليهم، وامتلأت أوقاتهم بتوافه الأمور ، فَشُغِلُوا عن كتاب ربهم فلا تلاوة له ولا تدبر، فضلاً عن العمل به حتى تحقق فيهم قوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [سورة الفرقان : آية ٣٠]

وبهذا السبب ــ أي هجر كتاب الله ــ أصاب الأمة الإسلامية ما أصابها من ضعف وهزيمة وفتن وويلات على مستوى الأفراد والمجتمعات ، "وأصبح العالم الإسلامي يعيش تخلفاً مزرياً في كل جوانب الحياة السياسية والحربية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والمادية والفكرية والخلقية "[٣] ، ولكن ما دام الداء قد عُرف ، والمرض قد شُخّص فلا يبقى أمام من ينشد النجاة إلا مباشرة العلاج وذلك بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم : " تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه "[٤] .

١ــ العلي ،عبدالكريم عبدالله :حالنا مع القرآن ،دار الوطن للنشر ،ط١، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠هـ) ، ص ٥٠ .

٢ ــ المرجع السابق : ص ٥٠ .

٣ــ قطب ، محمد : رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، دار الوطن للنشر ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١١هـ) . ص ١٨٧ .

٤ــ النيسابوري ، محمد بن عبدالله الحاكم : المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، (١٤١١هـ) ، ج١ ، ح ٣١٨ ، ص ١٧١ .

فبالتمسك بكتاب رب العالمين ، وسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم نستلهم منهما الأهداف و المبادئ والقيم ، ونطبق ذلك في حياتنا ، ونربي عليه نشأنا كما فعل أسلافنا من الجيل الأول ، بذلك سوف يعود لأمتنا عزها ، وتعود لها مكانتها بين الأمم ، فتعود قائدةً رائدةً كما كانت ، وكما يجب أن تكون ، هدىً ومناراً للعالمين ، وبشائر هذه العودة بدأت تظهر في كثير من المجالات ــ والحمد لله ــ ومن ذلك في الجانب العلمي في الجامعات إذ أصبح كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم محوراً لكثير من الدراسات والبحوث العلمية ، سواءً كان ذلك في التخصصات الشرعية أو في غيرها من التخصصات ومنها التخصصات التربوية التي تُركّز على استنباط المبادئ والقيم والتوجيهات والدلالات التربوية وتطبيقاتها من القرآن والسنة النبوية ، وهذه الدراسة مشاركة في هذا الجانب العظيم خدمة لكتابه الكريم ، نسأل الله التوفيق والسداد.

موضوع الدراسة

إن أكبر نعمة أكرم الله بها هذه الأمة هي بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنزال القرآن الكريم عليه لهداية الناس أجمعين وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ولقد تضافرت النصوص على الحث على تدبر آياته ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة ص : آية ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [سورة محمد : آية ٢٤] ، وغير ذلك من الآيات ، فبتدبر القرآن تُستخرج كنوزه ، وكلما ازداد المرء تدبراً لكتاب ربه ازداد علماً وعملاً وبصيرةً ، حيث إن " القرآن الكريم منبع هداية وإرشاد ، ويحتوي على آيات تهدي للحق ، وعلى تعاليم تُعمّق الوعي الأخلاقي ، وتدعم القيم والمسؤولية الاجتماعية ، وتزكي النفوس ، وتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة "[1] ، يقول

١ــ متولي ، مصطفى محمد ، وآخرون : أصول التربية الإسلامية ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٥هـ) ، ص ص ٦٩ ــ ٧٠ .

تعـــالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء : آية٩]

ولقد تميّز القرآن بمنهجه في تربية الفرد وإصلاح المجتمع ، "ولو طُبّق منهج التربية القرآنية تطبيقاً سليماً لخرج للمجتمع الإسلامي الإنسان المتكامل السوي الذي يستطيع أن يُحقق هدف الإسلام من التربية "[1] ، ولا دليل على ذلك أكبر مما تحقق في عصور الرسالة الأولى ، فلا خير ولا سعادة ولا طمأنينة إلا بالإيمان بالقرآن الكريم ، والعمل به ، يقول تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[سورة الأعراف : آية٩٦] .

ومن هنا رأى الباحث أن يكون موضوع دراسته إحدى سور القرآن الكريم ، لينهل من معين تربيته الفريدة ، فجعل موضوع دراسته ((التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة)) موضحاً في ذلك بعض التطبيقات التربوية لتلك التوجيهات .

أسئلة الدراسة

السؤال الرئيسي :

ما التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة ؟

ويتفرع من السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية :

١ــ ما موضوع ومقاصد سورة المجادلة ؟

٢ــ ما التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب العقدي ؟

٣ــ ما التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب التعبدي ؟

٤ــ ما التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب الاجتماعي؟

٥ــ ما التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب الفكري؟

٦ــ ما التطبيقات التربوية لهذه التوجيهات ؟

١ــ القاضي ، علي : أضواء على التربية الإسلامية ، دار الأنصار ، ط١ ، مصر ، القاهرة ، (١٤٠٠هـ) ،ص ٢٩ .

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة بشكل عام إلى :

بيان التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة .

ويمكن تحديد أهداف الدراسة في النقاط التالية :

١ــ بيان موضوع سورة المجادلة ، و مقاصدها .

٢ــ بيان التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب العقدي .

٣ــ بيان التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب التعبدي .

٤ــ بيان التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب الاجتماعي .

٥ــ بيان التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة في الجانب الفكري .

٦ــ بيان بعض التطبيقات التربوية لهذه التوجيهات .

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية الدراسة في الجوانب التالية :

١ــ تعلقها بالقرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي.

٢ــ تحاول الدراسة المساهمة في توجيه الفكر التربوي المعاصر ، بالتمسك بمصادر تربيتنا الأصيلة ، والأخذ بما جاء فيها من مبادئ وقيم وتوجيهات لإصلاح الفرد والمجتمع .

٣ــ أن السورة الكريمة لم تُفرد ــ في حدود علم الباحث ــ بدراسة تربوية متخصصة .

٤ــ أهمية ما اشتملت عليه السورة من مواضيع وتفصيل لبعض التشريعات وتنظيم لبعض العلاقات المختلفة في الأسرة والمجتمع بل ومع غير المجتمع المسلم من يهود ونصارى وغيرهم ، المجتمع بأمس الحاجة إلى فقهها التربوي .

منهج الدراسة

استخدم الباحث في دراسته المنهج الاستنباطـــي.

مفهوم المنهج الاستنباطي

يعُرّف المنهج الاستنباطي في ميدان الـــتربية بأنه : "الطريقة الـــتي يقـــوم فيـــها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبـــادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة "[١] كما عُرّف بأنه :" طريقة من طرق البحث لاســتنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وغيرها وفق ضوابط وقواعد محددة ومتعارف عليها "[٢].

لذا قام الباحث بدراسة النص القرآني لسورة المجادلة من كتب التفســـير المعتمـــدة وغيرها من كتب أهل العلم سواءً كان ذلك في المجال الشـــرعي أو الـــتربوي ومـــن ثم استنبط التوجيهات التربوية المتضمنة في السورة وبيّن بعض تطبيقاتها التربوية .

حدود الدراسة

اقتصرت دراسة الباحث على استنباط أبرز التوجيهات التربوية المتضمنة في ســـورة المجادلة وبيان بعض التطبيقات التربوية لها وذلك في الجوانب التالية :

- الـــجـــانـــب، الـــعقـــدي .
- الـــجـــانـــب الـــتعبـــدي .
- الـــجـــانـــب الاجـــتمـــاعي .
- الـــجـــانـــب الـــفـــكـــري .

١ــ فودة، حلمي محمد ، وعبدالله ، عبدالرحمن صالح : المرشد في كتابة الأبحاث ، دار الشروق ، ط٦ ، المملكـــة العربيـــة الســـعودية ، جـــدة ، (١٤١٠هـــ) ، ص٤٢ .

٢ــ ياجن ، مقداد : مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية ، دار عالم الكتب، ط١، المملكة العربية السعودية ،الرياض ، (١٤١٩هـــ) ، ص ٢٢ .

مصطلحات الدراسة

التوجيهات :

التوجيهات من الوجه ، قال ابن منظور : " الوجه معروف ، والجمع الوجوه ، قال تعالى :﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ أي اتبع الدين القيم ، وفي حديث أبي الدرداء : " لا تفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً ، أي ترى له معاني يحتملها ، ووجه الكلام السبيل الذي تقصده به ، والوجهة القبلة "[١] .

ويقصد الباحث بالتوجيهات في هذه الدراسة : الإرشادات والوصايا والدلالات التربوية التي توصل إليها من خلال دراسته لسورة المجادلة وذلك بعد الرجوع إلى تفسير السورة من خلال كتب التفسير .

المُتَضَمَّنَة :

المُتَضَمَّنَة مأخوذة من التَضَمُن ، جاء في المعجم الوسيط : " تَضَمَّنَ الوعاء ونحوه الشئ : احتواه واشتمل عليه . و تضمنت العبارة معنىً : أفادته بطريق الإشارة أو الاستنباط . و تضمن الغيث ونحوه النبات : أخرجه وأذكاه . و تضمن الشيء عنه ، أو منه : ضَمِنَه " [٢] .

ويقصد الباحث بالتوجيهات المُتَضَمَّنة في سورة المجادلة : أي التوجيهات التي اشتملت عليها سورة المجادلة ، ودلت عليها سواءً كان ذلك بطريق اللفظ أو الإشارة أو الاستنباط .

المضامين :

جاء في المعجم الوسيط : " المضمون : المحتوى . ومنه مضمون الكتاب : مافي طيه . ومضمون الكلام : فحواه وما يُفهم منه . والمجموع مضامين "[٣] .

١ــ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري : لسان العرب ، الدار المصرية ، مصر ، القاهرة ، جـ ١٧، ص ص ٤٥٣ــ٤٥٤ .

٢ــ أنيس ، إبراهيم ، وآخرون : المعجم الوسيط ، دار احياء التراث العربي ، ط٢ ؛ مطابع دار المعارف ، مصر ، (١٣٩٣هـ) ، ج١ ، ص٥٤٤.

٣ ــ المرجع السابق : ج١ ، ص٥٤٥ .

والمقصود بالمضمون التربوي في هذه الدراسة : المحتوى التربوي للمعنى المراد الحديث عنه مما اشتملت عليه الآيات .

التطبيقات :

التطبيق من الكلمات المولدة وجاء في تعريفه أنه : " إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علمية أو قانونية أو نحوها "[١] .

والمقصود بالتطبيقات التربوية في هذه الدراسة الإجراءات العملية على أرض الواقع والتي تعتبر ترجمة وتنفيذ عملي للتوجيهات التربوية المستنبطة من السورة .

الدراسات السابقة

يُقصد بها الرسائل العلمية ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالي ، وعلى حد علم الباحث وبحسب ما أفاد مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أنه لا توجد دراسة لهذه السورة من الناحية التربوية ، إلا أنّ هناك دراستين تناولتا السورة من الناحية الشرعية ((تفسير)) وهما :

الدراسة الأولى :

بعنوان ((سورة المجادلة : تفسيرها وأهدافها))[٢]

هدف الدراسة

كان الهدف من الدراسة تفسير السورة وإبراز أهدافها .

منهج الدراسة

استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي بالإضافة للمنهج الاستنباطي.

١ــ المرجع السابق : ج٢ ، ص٥٥٠ .

٢ــ عوض ، محمد محيي الدين محمد : سورة المجادلة : تفسيرها وأهدافها ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الأزهر ،مصر ، القاهرة ، كلية أصول الدين ، (١٩٧٧م) .

أبرز نتائج الدراسة

ذكر الباحث ضمن خاتمة بحثه بعض النتائج من أبرزها :

١ــ أن القرآن الكريم مبارك ، مبارك في أصله ومحله ومعانيه ودلالاته وهو عظيماً في جوهره ، معجزاً في بلاغته ، حكيماً في مبادئه ، عادلاً في أحكامه ، رائعاً في تربيته .

٢ــ أن سورة المجادلة احتوت على مواضيع جمة ومناهج تربوية وأخلاقية عظيمة ، وأحكام تشريعية ، وآداب سلوكية واجتماعية .

٣ــ أن المخرج من الفتن هو تحكيم القرآن الكريم في الحياة كلها ؛ وهذا ما كان يظهر في ذلك الجيل القرآني الأول الذي رباه المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى علوا على غيرهم في الدنيا والآخرة .

الدراسة الثانية :

بعنوان ((سورة المجادلة : دراسة موضوعية تحليلية))[1]

هدف الدراسة

كان الهدف من الدراسة : جمع أقوال وأفكار المتقدمين والمتأخرين في تفسير السورة مع الجمع بين التفسير التحليلي والموضوعي .

منهج الدراسة

استخدمت الباحثة المنهج الاستنباطي وكذلك الوصفي التحليلي .

١ــ الراشد ، فلوه ناصر بن حمد : سورة المجادلة دراسة موضوعية تحليلية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الرئاسة العامة لتعليم البنات ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، كلية التربية ، قسم الدراسات الإسلامية ، (١٤٠٩هـ) .

أبرز نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أبرزها :

١ــ أن العلاقة وثيقة بين آي القرآن وسوره .

٢ــ اتضح في السورة سمو التشريع الإسلامي ودقته في تشريع الأحكام .

٣ــ أن السورة حثت على كثير من الآداب .

٤ــ أن الآيات حثت على سرعة الامتثال بأي خير يُطلب من المسلم .

٥ــ الحث على طلب العلم .

٦ــ مشروعية توقير الرسول صلى الله عليه وسلم .

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الدراستين السابقتين والدراسة الحالية

تتفق الدراستان السابقتان مع الدراسة الحالية في أن الجميع جعل سورة المجادلة مداراً للدراسة والبحث ، أما الاختلاف بين الدراستين السابقتين مع الدراسة الحالية فيكمن في أن الدراستين السابقتين كان الهدف الأساس في كل منهما هو تفسير السورة وبيان بعض الأحكام فيها ، بينما الدراسة الحالية دراسة تربوية هدفها استنباط التوجيهات التربوية المتضمنة في السورة وبيان التطبيقات التربوية لتلك التوجيهات ، وهنا يظهر الفرق واضحا بين الدراستين السابقتين وبين الدراسة الحالية . هذا وقد استفاد الباحث من الدراستين السابقتين في الوقوف على أقوال المفسرين في السورة وخاصة في الآيات موضع التوجيهات حيث إن الدراستين جمعتا كثيرا من أقوال المفسرين في السورة مما جعلهما مرجعا مهما للدراسة الحالية .

الفصل الثاني

((التعريف بالسورة))

- عرض السورة الكريمة.
- سبب نزولها.
- نزولها .
- تسميتها .
- موضوعاتها .
- مقاصدها .
- عدد حروفها وكلمها وآياتها وفواصلها .
- ترتيبها في المصحف .
- مناسبتها لما قبلها .
- صلتها بما بعدها .
- مدنيتها .
- فضلها .
- الناسخ والمنسوخ فيها .
- مكانتها التربوية .

عرض السورة الكريمة ((سورة المجادلة))

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتم بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٥ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ

ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ
ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ
لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ
صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟
بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ
شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ
ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى
ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ
أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ
مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟
عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ۞

سبب النزول

تكاد تكون روايات سبب النزول مجمعة على أن المُظَاهِر الذي نزلت فيه بداية هذه السورة هو أوس بن الصامت ـ أول من ظاهر في الإسلام و هو أخو عبادة بن الصامت ـ و لكنها اختلفت في اسم زوجه التي ظاهر منها على عدة أقوال أصحها أنها خولة بنت ثعلبة يقول : ابن عبد البر في سوقه للاختلاف في اسمها و ترجيح أنها خولة بنت ثعلبة :

" خولة بنت ثعلبة ، و يقال خويلة ، وخولة أكثر . وقيل خولة بنت حكيم . و قيل خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف . و أما عروة و محمد بن كعب و عكرمة فقالوا : خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت أخا عبادة بن الصامت ، فظاهر منها ، و فيها نزلت : قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها و تشتكي إلى الله ... إلى آخر القصة في الظهار . و قيل : إن التي نزلت فيها هذه الآية جميلة امرأة أوس بن الصامت . وقيل : بل هي خولة بنت دليج . و لا يثبت شئ من ذلك و الله أعلم . و الذي قدمنا أثبت وأصح إن شاء الله تعالى " [١]

ويقول القرطبي كذلك : " التي اشتكت إلى الله هي خولة بنت ثعلبة . وقيل بنت حكيم . وقيل اسمها جميلة . و خولة أصح ؛ و زوجها أوس بن الصامت " [٢] ، وينقل عن أبي جعفر النحاس بعد أن ذكر أن اسمها خولة و ذكر الإختلاف في نسبها قوله : " و هذا ليس بمتناقض ، يجوز أن تنسب مرة إلى أبيها ، ومرة إلى أمها ، و مرة إلى جدها " [٣]، وتقول فلوة الراشد:" فالأرجح من أقوال العلماء أنها خولة بنت ثعلبة وربما أنها بنت مالك بن ثعلبة فنسبت إلى أبيها مرة و إلى جدها مرة فهذه النسبة التي تظاهرت النصوص عليها " [٤] .

١ــ ابن عبدالبر ، أبي عمرو يوسف بن عبدالله بن محمد : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، دار الجيل ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٢هـ) ، ج٤ ، ص١٨٣٠ .

٢ــ القرطبي : مرجع سابق ، ج١٧ ، ص٢٦٩ .

٣ــ المرجع السابق : ج١٧ ، ص ٢٧٢ .

٤ــ الراشد : مرجع سابق ، ص٥٩ .

وقصة سبب النزول وردت بروايات متعددة و ألفاظ مختلفة بعض الشئ في مجرى الحوار و لكن مضمونها واحد و نورد هنا رواية الإمام أحمد لها حيث يروي بسنده إلى خويلة بنت ثعلبة قولها :" في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة . قالت : كنت عنده ، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه ، قالت : فدخل عليَّ يوماً فراجعته بشيءٍ فغضب ، فقال : أنت علي كظهر أمي . قالت : ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم دخل عليّ ، فإذا هو يريدني عن نفسي ، قالت : قلت : كلا والذي نفس خويلة بيده ، لا تخلص إليّ و قد قلت ما قلت حتى يحكم الله و رسوله فينا بحكمه . قالت : فواثبني ، فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عني . قالت : ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً ، ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه ، و جعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه . قالت : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه، قالت : فوالله ما برحت حتى نزل فيّ قرآن ؛ فتغشى رسول الله صلى الله عليه و سلم ما كان يتغشاه ، ثم سري عنه ، فقال لي : يا خويلة قد أنزل الله فيك و في صاحبك قرآناً ،ثم قرأ علي : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [سورة المجادلة : ١] إلى قوله تعالى : ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة:٤] ، قالت : فقال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم : مريه فليعتق رقبة . قالت : فقلت : يا رسول الله ما عنده ما يعتق . قال : فليصم شهرين متتابعين . قالت : فقلت : والله إنه لشيخ ما له من صيام .قال : فليطعم ستين مسكيناً و سقاً من تمر .

قالت : فقلت : والله يا رسول الله ما ذاك عنده . قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنّا سنعينه بعرق من تمر . قالت : فقلت يارسول الله و أنا سأعينه بعرق آخر . قال : قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ، ثم استوصي بابن عمك خيراً . قالت : ففعلت " [١].

هذا ما جاء في سبب النزول ، أمّا ما ورد في أن الآيات نزلت في سلمة بن صخر البياضي فليس من سبب النزول في شئ يقول ابن كثير بعد أن أورد حديث الإمام أحمد المتقدم في سبب النزول : " هذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة ، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كان سبب النزول ولكن أُمِر بما أنزل الله في هذه السورة من العتق أو الصيام أو الإطعام " [٢] .

وقصة سلمة بن صخر كما جاءت عنه عند أبي داوود قال : " كنت امرءاً أصيب من النساء مالا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيئاً يتابع لي حتى أصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان ، فبينما هي تحدثني ذات ليلة إذ تكشف لي منها شئ فلم ألبث أن نزوت عليها فلما أصبحت خرجت إلى قومي فأخبرتهم الخبر ، وقلت : امشوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا: لا والله ، فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : أنت بذاك يا سلمة ، قلت : أنا بذاك يا رسول الله مرني وأنا صابر لأمر الله فاحكم فيَّ ما أراك الله قال : حرر رقبة ، قلت : والذي بعثك بالحق ما أملك رقبة غيرها ، وضربت صفحة رقبتي ، قال : فصم شهرين متتابعين ، قلت : وهل أصبت الذي أصبت إلا من الصيام ؟ قال : فأطعم وسقاً من تمر بين ستين مسكيناً ، قلت : والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشين ما لنا من طعام ، قال : فانطلق إلى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها

١ــ ابن حنبل ، أحمد : مسند الإمام أحمد بن حنبل , عالم الكتب ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٩هـ) ، ج٨ ، ح ٢٧٨٦٢ ، ص٨٢٣ .

٢ــ ابن كثير ، أبي الفداء اسماعيل : تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، ط٣ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٩هـ) ، ج٤ ، ص٣٤٢ .

إليك فأطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر ، وكل أنت وعيالك بقيتها ، فرجعت إلى قومي فقلت : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأي ، وقد أمرني أو أمر لي بصدقتكم " [١] .

فالواضح من الرواية السابقة أن سلمة ظاهر من زوجته بعد نزول آية الظهار حيث أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالكفارة عن ظهاره ، وهو مالم يفعله صلى الله عليه وسلم مع خولة بنت ثعلبة ، وبهذا يتضح أنها نزلت في خولة بنت ثعلبة .

نزولها

ذكر ابن جزي في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل أن سورة المجادلة " نزلت بعد سورة المنافقون "[٢] .وهذا ما ذكره ابن عاشور وأضاف أنها قبل سورة التحريم ، وكذلك يُرجِح أنها نزلت قبل سورة الأحزاب ، ونقل عن السخاوي قوله : أنها نزلت بعد سورة المنافقون وقبل الحجرات [٣].

تسميتها

مقدمة :

ذكر أهل العلم في تعريف السورة من القرآن :" أنَّها طائفة من آيات القرآن مسماة باسم خاص ، لها فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات" [٤]

١ــ أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داوود ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د.ت) ، ح٢٢١٣ ، ص٢٥٢ ؛ وحسنه الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح سنن أبي داوود ، مكتب التربية العربي ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٩هـ) ، ح١٩٣٣ ، ص٤١٦ .

٢ــ ابن جزي ، محمد بن أحمد : كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ،دار الكتاب العربي ،ط٢، لبنان ، بيروت ،(١٣٩٣هـ) ، ج٤ ،ص١٠١.

٣ــ ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، تونس ، (١٩٨٤م) ، ج٢٧ ، ص٦ .

٤ــ الصباغ ، محمد بن لطفي : لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٦هـ) ، ص ٧١.

ونقل السيوطي عن الجاحظ قوله :" سمّى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمّى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل :سمّى جملته قرآناً كما سمّوا ديواناً ، وبعضه سورة كقصيدة ، وبعضها آية كالبيت ، وآخرها فاصلة كقافية " [١] .

وهل أسماء سور القرآن توقيفية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أم اجتهادية ؟ الجواب أنها توقيفية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول السيوطي: " وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار " [٢]. ويقول الزركشي :"وينبغي البحث عن تعداد الأسامي : هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يُعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها وهو بعيد "[٣] .

وقد يكون للسورة اسمان فأكثر ، والغالب أن لها اسماً واحداً ، ويلاحظ في اسم السورة أنه اسم أو حادث يلفت النظر كسورة البقرة ، أو اسم تكرر فيها كسورة النساء ، وهكذا [٤] يقول الزركشي : " ولا شك أن العرب تُراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر مستغرب يكون في الشيء من خلق و صفة تخصه ، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز " [٥].

١ــ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن : الاتقان في علوم القرآن ،دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ،(١٣٩٨هـ) ، ج١ ، ص٦٧ .

٢ــ المرجع السابق : ج١ ، ص ٦٩ .

٣ــ الزركشي ، محمد بن بهادر بن عبدالله : البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، د.ت ، ج١ ، ص٢٧٠ .

٤ــ النمر ، عبد المنعم : القرآن والحياة ،دار الأندلس للإعلام ، ط١ ، مصر ، القاهرة ،(١٤٠٧هـ) ، ص ٨ .

٥ــ الزركشي : مرجع السابق ، ج١ ، ص٢٧٠ .

أسماء السورة

والسورة موضوع البحث والدراسة سميت بعدة أسماء كما نقل ذلك أهل الاختصاص في علوم القرآن الكريم وهي كالأتي :

١ــ سُمّيت " المجادَلة " [١]بفتح الدال مصدر ميمي لفعل [جدل] أخذاً من المحاورة والمناقشة التي وقعت بين المرأة ــ خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها ــ وبين النبي صلى الله عليه وسلم حين كانت تعرض عليه ما وقع بينها وبين زوجها من أمر مظاهرته لها ، فسميت السورة بالجدَل الذي تم فيه عرض القضية ، وجاء هذا الاسم في أول آية في السورة .

٢ــ سُمّيت كذلك " المجادِلة " بكسر الدال اسم فاعل والاسم هنا منصرف إلى المرأة التي وقع منها الجدال والمحاورة مع الرسول صلى الله عليه وسلم. وتسميتها " المجادِلة " بكسر الدال هو الذي عليه ترجيحات العلماء . يقول الألوسي : " بفتح الدال وكسرها ، والثاني هو المعروف " [١].

٣ــ سميت أيضاً بسورة " قد سمع "[١] وهذا الاسم باعتبار بدايتها كما سميت غيرها من السور مثل سورة (التوبة) بـ(براءة) ، وسورة (النبأ) بـ(عم)، وسورة (الملك) بـ(تبارك) .

٤ــ سُمّيت كذلك بسورة " الظهار "[٢] كما في مصحف أبي رضي الله عنه والظهار أحد أبرز مواضيع السورة .

موضوعاتها

سورة المجادلة سورة مدنية ــ كما تقدم ــ لذلك تُعد أُنموذجاً يمثل أحداث السيرة في المجتمع المدني وكيف كانت

١ــ الألوسي ، شهاب الدين السيد محمود : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار احياء التراث العربي . ط٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٥هـ) ، ج ٢٨ ،ص ٢ .

٢ــ السيوطي : مرجع سابق ، ج١ ، ص٧٣ .

مراحل تربية الفئة الأولى من المجتمع المسلم التي أُعِدَّت لتقوم بدورها العالمي فيما بعد من حمل الدين ونشره في العالمين ، ومن هنا جاءت السورة مشتملة على أحكامٍ تشريعية كثيرة ، وتوجيهات ربانية متنوعة فكانت موضوعاتها على النحو الآتي :

ـ ابتدأت السورة بلفتة كريمة ، من رب رحيم ، إلى امرأة من عامة نساء المسلمين وفي ذلك توجيه للمجتمع المسلم بأن الله محيط بجميع أمورهم ، وعلمه شامل لجميع أحوالهم ، إذ سمع لشكوى هذه المرأة البسيطة ، واستجاب لدعائها ، وفرج كربتها ، وأنزل الحكم في مسألتها ـ حكم الظهار وكفارته ـ يقول سبحانه في ذلك :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤ ﴾[سورة المجادلة : آية ١ـ٤].

ـ ثم أتبع سبحانه بعد ذلك ببيان عاقبة المتعدين حدوده المستهينين بها ، وبيان وصف حالهم يوم البعث والحساب ، فقال سبحانه :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦ ﴾ [سورة المجادلة :آية ٥ـ٦] .

ـ بعد ذلك تحدثت السورة عن علم الله الشامل لعباده ، ومعيته لهم ، وبيان أحكام وآداب النجوى ، فقال سبحانه :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٧ـ ١٠] .

ـ ثم تبع ذلك بيان آداب المجالس ، والتنبيه على فضل العلم ، ورفعة مكانة العلماء ، فقال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١١] .

ـ ثم تنبه السورة على أدب آخر يظهر فيه علو مقام النبي صلى الله عليه وسلم ورفعة منزلته ، ووجوب توقيره ، ألا وهو فرض تقديم صدقة بين يدي نجواه لتشعر النفوس المؤمنة بهذا الأمر العظيم فقال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[سورة المجادلة : آية ١٢]

ثم خفف سبحانه على عباده فنسخ الأمر بتقديم الصدقة ، وبقي الأمر الذي من أجله فرضت وهو وجوب توقير الرسول صلى

الله عليه وسلم وتبجيله [١]، فقال سبحانه :﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١٣] .

ـ ثم تتحدث السورة بشيءٍ من التفصيل عن حال المنافقين وصفاتهم ، والتي يأتي في مقدمتها تولي أعداء الله ؛ لتنبه المسلمين على الحذر من هذه الخصال والصفات الذميمة المقيتة المؤدية إلى خسارة الدارين ، فيقول سبحانه :﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة المجادلة:آية ١٤ـ٢١] .

ـ ثم ختمت السورة ببيان حقيقة الموالاة والمعاداة التي هي أوثق عرى الإيمان حيث قال سبحانه :﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة المجادلة:آية ٢٢] .

١ـ الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل القرآن ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٥هـ) ، م١٤ ، جـ٢٨، ص ص ١٤ ـ ١٦ ؛ السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، ط٩ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٨هـ) ، ص٧٨٥ . .

مقاصدها

بعد عرض ما اشتملت عليه هذه السورة العظيمة من موضوعات ، يخلص الباحث إلى بيان بعض المقاصد العظيمة التي كانت ترمي إليها تلك الموضوعات المتقدمة ويمكن تلخيصها في النقاط التالية :

ـ بيان شمول رعايته سبحانه لجميع أفراد المجتمع وذلك يتمثل في إجابته لشكوى امرأة فقيرة من عامة المسلمين ، وإنزاله الحكم في مسألتها من فوق سبع سموات .

ـ بيان خطورة حال من يتعد حدود الله ، وتوعده بالكبت والخزي والقهر والإذلال .

ـ بيان معية الله لعباده وشمولية علمه وإحاطته بأحوالهم ، وذلك يتمثل في عدة أمور منها :

* سماعه لشكوى المُجَادِلة ، وما دار بينها وبين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من التحاور وإجابة شكواها .

* إحصائه ـ سبحانه ـ لأعمال العباد وإخبارهم بها يوم القيامة ومحاسبتهم عليها .

* علمه ـ سبحانه ـ بكل ما في السموات والأرض ، ومن ذلك علمه بنجوى المتناجين قلوا أم كثروا .

ـ تربية المجتمع المسلم على الآداب الفاضلة ومن ذلك :

* آداب النجوى .

* آداب التحية .

* آداب المجالس .

ـ فضح اليهود والمنافقين ، وبيان سوء أخلاقهم ، ومن ذلك :

* التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

* نبذ تحية الإسلام وتحريفها .

* محاولة إحزان المسلمين بالأقوال والأفعال .

* تولي كل منهم لبعضهم البعض .

* الغفلة عن ذكر الله والانتماء لحزب الشيطان .

* محادة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ـ بيان فضل العلم ، ورفعة مقام أهله .

ـ بيان علو مقام النبي صلى الله عليه وسلم ومكانته العالية ، ووجوب توقيره وتعظيمه ، وذلك يتمثل في فرض تقديم الصدقة بين يدي نجواه صلى الله عليه وسلم .

ـ تعزيز قضية الموالاة والمعاداة في النفوس والتي تقوم على الحب في الله والبغض في الله .

عدد حروفها وكلمها وآياتها وفواصلها

جاء في البيان في عد آي القرآن فيما يتعلق بسورة المجادلة ما نصه :

كلمها أربع مئة وثلاث وسبعون كلمة . وحروفها ألف وسبع مئة واثنان وتسعون . وهي إحدى وعشرون آية في المدني الأخير والمكي ، واثنتان وعشرون في عدد الباقين . واختلافها آية : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ [الآية ٢٠] ، لم يعدها المدني الأخير والمكي ، وعدها الباقون . وفيها مما يشبه الفواصل موضع واحد ، وهو ﴿ شَدِيدًا ﴾ [الآية ١٥] . ورؤوس الآي :

بصير(١) غفور(٢) خبير(٣) أليم(٤) مهين(٥) شهيد(٦) عليم(٧) المصير (٨) تحشرون (٩) المؤمنون (١٠) خبير(١١) رحيم (١٢) تعملون (١٣) يعملون (١٤) يعملون (١٥) مهين (١٦) خالدون (١٧) الكاذبون (١٨) الخاسرون (١٩)* عزيز(٢١) المفلحون(٢٢) [1].

---

* رقم (٢٠) في المصحف هو : الأذلين .

١ـ الأندلسي ، أبي عمرو الداني : البيان في عد آي القرآن ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، ط١ ، الكويت ، (١٤١٤هـ) ، ص٢٤٢.

ومن اللطائف التفسيرية التي ذكرت في سورة المجادلة أنه ليس فيها آية إلا وذكر فيها لفظ الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثاً ، وجملة ما فيها من الفاظ الجلالة خمسة وثلاثون[١]. وفي هذا لفتة تربوية مهمة وهي : تربية النفوس على مهابته ـ سبحانه ـ ، يقول الزحيلي : " وتميزت الآيات كلها في هذه السورة باشتمال كل آية على لفظ الجلالة (الله) لتربية المهابة منه في النفوس ، وعدم التجرؤ على مخالفة أحكامها " [٢] .

ترتيبها

ترتيبها في المصحف الشريف كما هو موجود بين سورتي الحديد والحشر . وهي أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد سوره حيث إنها السورة الثامنة والخمسون ، وأول عشره الأخير باعتبار أجزائه فهي أول سورة في الجزء الثامن والعشرين [٣] .

مناسبتها لما قبلها

علم المناسبات بين كل سورة والتي تليها أو تسبقها ، وكذلك بين الآيات من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهمٍ عميق و تذوق لنظم البيان القرآني ، و له علاقة وثيقةٍ بالتفسير ، حتى قيل : إن نسبة هذا العلم من التفسير ، نسبة علم البيان من النحو [٤]."وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء" [٥] .

"والمناسبة في اللغة : المشاكلة "[٦] . "و في الاصطلاح : هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه و في كتاب، الله تعني ارتباط السورة بما قبلها و ما بعدها " [٧].

١ــ الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي : الفتوحات الأهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، مطبعة عيسى البابي ، مصر ، (د.ت) ، ج٤ ، ص٢٩٨ .

٢ــ الزحيلي ، وهبة : التفسير المنيرفي العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١١هـ) ، ج٢٧ ، ص٦ .

٣ــ القنوجي ، صديق حسن علي الحسين : فتح البيان فى مقاصد القرآن ، المكتبة العصرية ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٠هـ) ، ج١٤، ص٨ .

٤ــ البقاعي ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، ط٢،مصر ، القاهرة (١٤١٣هـ) ، ج١ ، ص ٦ .

٥ــ الزركشي : مرجع سابق ، ج١ ، ص ٣٦ .

٦ــ الفيروز آبادي ، مجدالدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، موسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٧هـ) ، ص١٧٦ .

٧ــ مسلم ، مصطفى : مباحث في التفسير الموضوعي ، دار القلم ، ط٣ ، سوريا ، دمشق ، (١٤٢١هـ) ، ص ٥٨ .

وبالنسبة لسورة المجادلة فإنها تأتي حسب ترتيب المصحف ـ كما تقدم ـ بعد سورة الحديد ، وبالنظر والبحث في كتب التفسير و غيرها مما اهتمت بموضوع المناسبات بين السور نجد أن هناك علاقة و ترابطاً بين سوريّ المجادلة و الحديد تتضح من جانبين :

الجانب الأول : من حيث خاتمة الحديد و فاتحة المجادلة.

الجانب الثاني : من حيث موضوع كل من السورتين .

أما من حيث مناسبة خاتمة الحديد و فاتحة المجادلة فإن سورة الحديد اختتمت ببيان سعة فضل الله سبحانه و تعالى و ذلك في قوله تعالى ﴿ لِّئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [سورة الحديد : آية ٢٩] فجاءت سورة المجادلة بعدها مفتتحة بقوله سبحانه : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١] ، وفي ذلك بيان لشيء من فضل الله العظيم و هو سماعه لشكوى هذه المرأة التي رفعت إليه شكواها ومصابها ففرج الله عنها و أجاب مطلبها و أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الحكم في مسألتها وهذا من عظيم فضله ـ سبحانه ـ و سعة عطائه [1] .

أما من حيث موضوع كل من السورتين فيتلخص في الآتي :

١ـ تكرر في سورة الحديد ذكر سعة علمه سبحانه بكل المخلوقات وفي سورة المجادلة وردت أمثلة على إحاطة علمه وسعته منها : سماعه لشكوى المرأة و كذلك ما جاء أنه مع المتناجين قل عددهم أوكثر .

٢ـ ذكر الله سبحانه و تعالى في نهاية سورة الحديد موضوع الرهبانية و أن الله لم يأمر بها و في سورة المجادلة نهى عن الظهار

١ـ الخطيب ، عبدالكريم : التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) ، ج٥ ، ص٨٠٧ .

سواءً كان مطلقاً أو مؤقتاً حيث إن المؤقت يأخذ بعض صور الرهبنة وذلك لأنه من التبتل .

٣ــ توعد الله سبحانه في سورة الحديد المنافقين بدخول النار لأنهم فتنوا أنفسهم و ذلك بإبطان الكفر و تربصهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين الدوائر و في سورة المجادلة ذكر نوعاً آخر من الكفر مما أوجب لهم الخلود في النار ألا وهو موالاتهم لليهود.

هذا بعض ما جاء في كتب التفسير و كتب تناسب سور القرآن الذي يبين مناسبة سورة المجادلة لما قبلها و هي سورة الحديد [١].

صلتها بما بعدها

تأتي سورة الحشر بعد سورة المجادلة كما هو موجود في المصحف الشريف و بالنظر والبحث في كتب التفسير عن مناسبة سورة المجادلة لما بعدها وهي سورة الحشر نجد أن هناك علاقة وترابطاً بين السورتين في الجانبين السالف ذكرهما ألا وهما :

الجانب الأول : من حيث خاتمة سورة المجادلة و فاتحة سورة الحشر .

الجانب الثاني : من حيث موضوع كل من السورتين .

ــ فأما من حيث مناسبة خاتمة سورة المجادلة لفاتحة سورة الحشر فيقول البقاعي : " لما ختمت المجادلة بأنه معز أهل طاعته ومذل أهل معصيته ومحاديه عللله بتنزهه عن النقائض تأييداً للوعد بنصرهم فقال ﴿ سَبَّحَ ﴾ " [٢] .

١ــ البقاعي :مرجع سابق ، ج١٩ ، ص ص ٣٣٢ــ ٣٣٣ ؛ الألوسي : مرجع سابق ، ج ٢٨ ،ص٢ ؛ الراشد : مرجع سابق ، ص ص١٥ــ١٦ .

٢ــ البقاعي : مرجع سابق ، ج١٩ ، ص ٤٠٣ .

ـ وأما من حيث مناسبة الموضوع في كل من السورتين فمن أوجه المناسبة في المواضيع بين السورتين ما يلي :

ـ أن الله ذكر في سورة المجادلة أن من صفات المنافقين موالاتهم لليهود وفي سورة الحشر بين نهاية و عاقبة هذه الموالاة بين المنافقين واليهود .

ـ في سورة المجادلة ذكر سبحانه بأنه كتب الغلبة على المحادين له ولرسله و في سورة الحشر ذكر تطبيقاً لهذا الحكم الرباني في غلبة بني النظير [١] .

مدنيتها

لقد اهتم العلماء غاية الاهتمام بمعرفة ما كان من القرآن مكياً وما كان مدنياً وأولوا ذلك جل عنايتهم و جعلوه من أشرف علوم القرآن وفي ذلك ينقل السيوطي عن أبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري من كتابه التنبيه على فضل علوم القرآن قوله : "من أشرف علوم القرآن علم نزوله و جهاته ، و ترتيب ما نزل بمكة والمدينة " [٢] .

وللعلماء في تعريف المكي و المدني ثلاثة اصطلاحات المشهور منها و المعتمد أن المكي ما نزل قبل هجرته صلى الله عليه و سلم إلى المدينة ، و إن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة و إن كان نزوله بمكة [٣].

ولمعرفة المكي و المدني فوائد ذكرها العلماء ليس هذا مكان تفصيلها و لكن نذكر هنا فائدة تتعلق بالجانب التربوي ألا و هي : أن من فوائد معرفة المكي و المدني : "معرفة طريقة القرآن التي سلكها في تنشئة الأمة المسلمة و تربيتها و الخطوات التي خطاها في

١ـ الألوسي : مرجع سابق ، ج ٢٨ ، ص٣٨ ؛ الراشد : مرجع سابق ، ص١٧ .

٢ـ السيوطي : مرجع سابق ، ص١١ .

٣ـ الزرقاني ، محمد عبدالعظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر ،لبنان ، بيروت ، (١٤٠٨هـ) ، ج١ ، ص١٩٤.

إقامة الدولة الإسلامية حتى يكون في ذلك عبرة لدعـــاة الإصـــلاح ، و قـــادة الفكـــر الإسلامي الذين يتطلعون إلى استئناف الحياة الإسلامية من جديد " [١].

وبالنسبة للسورة موضوع البحـــث و الدراسة فإن جمهور المفسرين على أنها مدنيـة كلها، وممن قال بهذا القول ترجمان القرآن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ والحسن ومجـاهد وعكرمة ــ رحم الله الجميـــع ــ [٢] . يقـــول القرطبي : " هي مدنية في قول الجميـــع إلا رواية عن عطاء : أن العشر الأول منها مدني وباقيها مكي ، وقال الكلـــبي : نـــزل جميعها بالمدينة غير قوله﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾ نزلت بمكة " [٣] .

فضلها

ســـورة الـــمجـــادلـــة ســـورة عظيمـــة ــ وكـــل ســـور القـــرآن و آياتـــه كـــذلك ــ و ذلـــك لمـــا احتـــوت عليـــه مـــن إرشـــادات وتوجيهـــات بليغـــة يقف عليهـــا كـــل مـــن تأمـــل آياتهـــا هـــذا بشكـــل عـــام ، أمـــا عـــن خصـــوصيـــة فضـــل هـــذه الســـورة فـــذلـــك يتـــوقـــف علـــى مـــا صح عـــن رســـول الله صلى الله عليه وسلم فيهـــا فهـــذا أمـــر توقيفـــي لا دخل للاجتهـــاد فيـــه وبالنظـــر للكتب التي بحثت فضـــائل سور القرآن يتضـــح أنه لم يصح في فضـــل ســـورة المجـــادلة شئ ســـوى أنها من ســـور المفصـــل* الـــذي أوتيه النبي صلـــى الله عليه و سلم نافلة فَفُضِّلَ به على سائر الأنبيـــاء [٤] ففي صحيـــح الترغيب والـــترهيب عن واثـــلة بن الأسقع ؛ أن رســـول الله صلى الله عليه و سلم قـــال : " أعطيـــت مكـــان التـــوراة السبـــع ، و أعطيت مكان الزبور المئـــين ، وأعطيـــت مكـــان الإنجيـــل المثـــاني ، و فضـــلت بـــ[المفصـــل] " [٥]

١ــ الصباغ ، محمد لطفي : مرجع سابق ، ص١٤٩.

٢ــ ابن الجوزي ، أبي الفرج جمال الدين عبدالحمن بن علي : زاد المسـير في علـم التفسير ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) ، ج٨، ص ١٨٠.

٣ــ القرطبي ، أبي عبدالله محمد بن أحمد :الجامع لأحكام القرآن ، دار احياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، (١٩٦٦) ، ج١٧ ، ص٢٦٩ .

* سور المفصل ــ على الصحيح ــ تبدأ من سورة ق إلى الناس ، أنظر : الزركشي : مرجع سابق ، ج١،ص٢٤٦ .

٤ــ طرهوني ، محمد بن رزق : موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (القسم الصحيح) ، مكتبة العلم ، ط٢ ،المملكة العربية السعودية ، جـدة ، (١٤١٤هـــ)، ج٢، ص١٧١ .

٥ــ الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح الترغيب والترهيب ، مكتبة المعارف ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) ، ج٢، ص ١٨١ .

الناسخ والمنسوخ فيها

سورة المجادلة كلها محكم غير منسوخ ما عدا الآية رقم (١٢) منسوخة بالآية رقم (١٣) من نفس السورة . نقل الأرمي عن محمد بن حزم قوله : " سورة المجادلة كلها محكم إلا آية واحدة ؛ وهي قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ... ﴾ الآية (١٢) من المجادلة ، نسخت بقوله تعالى :﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ... ﴾ الآية (١٣) . فنسخ الله تعالى ذلك بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والطاعة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم " [١] .

مكانتها التربوية

القرآن الكريم آخر الكتب السماوية نزل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وفيه الهداية للناس أجمعين ، وكل سورة من سور القرآن الكريم تمثل دستوراً للأمة ، ومنهجاً للتربية والإصلاح . وسورة المجادلة إحدى سوره العظيمة التي تمثل أنموذجاً فريداً في تربية الجيل الأول وتبين ما بذل في ذلك من جهود ضخمة ، وكيف كان الأسلوب القرآني يبني تلك النفوس المؤمنة ، وكيف كان يتم علاج الأحداث والتروات والعادات ، وفي هذا يقول قطب :

> ولقد اقتضت، تربية النفوس وإعدادها للدور الكوني الكبير المقدر لها في الأرض جهوداً ضخمة ، وصبراً طويلاً ، وعلاجاً بطيئاً ، في صغار الأمور وفي كبارها ..كانت حركة بناء هائلة هذه التي قام بها الإسلام ، وقام بها رسول الإسلام ــ صلى الله عليه وسلم ــ بناء النفوس التي

١ــ الأرمي ، محمد الأمين بن عبدالله : حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، دار طوق النجاة ، ط١ ،لبنان ، بيروت ، (١٤٢١هـ) ، ج٢٩ ، ص٨ .

تنهض ببناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية ، وتقوم على منهج الله ، تفهمه وتحققه ، وتنقله إلى أطراف الأرض في صورة حية متحركة ، لا في صحائف وكلمات .

ونحن نشهد في هذه السورة [أي سورة المجادلة] ــ وفي هذا الجزء كله [جزء قد سمع] ــ طرفاً من تلك الجهود الضخمة ، وطرفاً من الأسلوب القرآني كذلك في بناء النفوس ، وفي علاج الأحداث والعادات والتروات ، كما نشهد جانباً من الصراع الطويل بين الإسلام وخصومه المختلفين من مشركين ويهود ومنافقين [١] .

كما أن سورة المجادلة يتضح فيها بصورة خاصة التنظيم الدقيق لحياة الأمة بجميع جوانبها المختلفة ، وفيها يتضح الأنموذج الأكمل لرعايته ــ سبحانه ــ للجماعة الناشئة التي تصنع على عينه ــ سبحانه ــ وتُربى بمنهجه لتقوم بعد ذلك برفع لوائه في العالمين . يقول قطب :

وفي هذه السورة بصفة خاصة نشهد صورة موحية من رعاية الله للجماعة الناشئة ؛ وهو يصنعها على عينه ، ويربيها بمنهجه ، ويشعرها برعايته ، ويبني في ضميرها الشعور الحي بوجوده ــ سبحانه ــ معها في أخص خصائصها ، وأصغر شؤونها ، وأخفى طواياها ؛ وحراسته لها من كيد أعدائها خفيه وظاهره ؛ وأخذها في حماه وكنفه ، وضمها إلى لوائه وظله ؛ وتربية أخلاقها وعاداتها وتقاليدها تربية تليق بالجماعة التي تنضوي إلى كنف الله ، وتنتسب إليه ، وتؤلف حزبه في الأرض ، وترفع لواءه لتعرف به في الأرض جميعاً [٢] .

ومن هنا كان لهذه السورة العظيمة المكانة التربوية الرفيعة ، ففيها التنظيم للحياة الاجتماعية ، ولقضايا الأسرة ، وفيها ربط الحياة بالدين ، وفيها ربط العلم بالدين، وفيها تربية الآداب والأخلاق والسلوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المؤمنين بعضهم مع بعض في نجواهم وفي مجالسهم ومنتدياتهم[٣]، وفيها حماية المؤمنين من كيد أعدائهم من يهود ومنافقين ، وفيها بناء العلاقة في الدين على الولاء والبراء

١ــ قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط١٧ ، مصر ، القاهرة ، (١٤١٢هـ) ، ج٦ ، ص٣٥٠٣ .

٢ــ المرجع السابق : ٣٥٠٣ .

٣ــ عوض : مرجع سابق ، ص ٨ .

لـــرب العـــالمـــين فهـــي بهـــذا كـــلـــه مـــدرســـة تـــربـــويـــة متـــكـــامـــلـــة تفتـــح أبـــوابهـــا أمـــام كـــل مـــربٍ أراد أن ينهـــل مـــن معينهـــا المـــتـــدفـــق الـــذي لا ينضـــب .

الفصل الثالث

((التوجيهات التربوية المُتَضَمَّنَة في الجانب العقدي))

ـ المحور الأول : معية الله لعباده .
ـ المحور الثاني : الموالاة والمعاداة .

مدخل

إن التربية الإسلامية تولي الجانب العقدي عناية خاصة ؛ وذلك يعود لأهمية هذا الجانب وأثره في تكوين المجتمع المسلم " الذي يخطو الإسلام بخطوات سليمة متدرجة يقودها الوحي ، ليقيمه مثالاً ومناراً للبشرية كلها ، وذلك لأن الإسلام يبدأ بإصلاح الفرد أولاً حيث يغرس فيه عقيدته وإيمانه ، ويربي خلقه وسلوكه ، ويهذب نفسه ويزكيها ، ثم ينطلق إلى دائرة أوسع هي دائرة البيت والأسرة ، فيقيم دعائمها على أسس قوية متينة من الدين فيؤثر ذلك كله في بناء المجتمع " [١] ؛ بهذا تتضح أهمية الجانب العقدي في حياة الفرد والمجتمع بكامله فإنه يعتبر " العامل الأول والركيزة الأساسية التي ينبني عليها كيان المجتمع " [٢] ، وهذا الأمر يتضح لكل باحث يتأمل كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حيث يجد فيهما " أن أساس كل عمل في الإسلام ينطلق من العقيدة ويرتكز عليها " [٣] .

وهذا الفصل يتحدث عن المضمون التربوي لموضوعين من موضوعات العقيدة لهما الأهمية البالغة في حياة الفرد والمجتمع ــ وذلك من خلال دراسة سورة المجادلة ــ وهما :

١ــ معية الله لعباده (المعية الألهية)

٢ــ الموالاة والمعاداة .

١ــ ضميرة ، عثمان بن جمعة : أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة ، دار الأندلس الخضراء ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤٢١هـ) ، ص ٩ .

٢ــ السحيمي ، صالح بن سعد : منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (د.ت) ، ص ، ٤ .

٣ــ المرجع السابق : ص٦ .

المحور الأول : معية الله لعباده

يقول تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٧]

" تبدأ الآية بتقرير علم الله الشامل لما في السماوات وما في الأرض على إطلاقه ، فتدع القلب يرود آفاق السماوات وأرجاء الأرض مع علم الله المحيط بكل شيء في هذا المدى الوسيع المتطاول . من صغير وكبير ، وخاف وظاهر ، ومعلوم ومجهول.. ثم تتدرج من هذه الآفاق وتلك الأرجاء ، وتزحف وتقرب حتى تلمس ذوات المخاطبين وتمس قلوبهم بصورة من ذلك العلم الإلهي تهز القلوب " [١] :﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٧]

" تقرير إلهي عميق بحضور الله وشهوده مع كل إنسان وهو ما اصطلح على تسميته بالمعية الإلهية " [٢] . فما هي هذه المعية ؟

المعية من حيث اللغة

يقول الرازي في مختار الصحاح :" مع : كلمة تدل على المصاحبة " [٣] . ويقول الزاوي في مختار القاموس : " مع : اسم . وقد يُسكّن وينون ، أو كلمة تضم الشيء إلى الشيء وأصلها معاً . وتكون بمعنى عند . وتقول كنّا معاً : أى جميعاً " [٤] .

فيكون معنى المعية في اللغة : المصاحبة والمقارنة والمجامعة من غير وجوب مخالطة ، وهذا ما نص عليه ابن تيمية ــ رحمه الله ــ إذ يقول : " إن كلمة (مع) في اللغة إذا

١ــ قطب ، سيد : مرجع سابق ، ج٦ ، ص٣٥٠٨ .

٢ــ آل سعود ، سارة عبدالمحسن عبدالله بن جلوي : المسلم المعاصر بين المعية والمسؤولية ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) . ص١٥ .

٣ــ الرازي ، محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، (١٩٧٣) ، ص٦٢٧ .

٤ــ الزاوي ، الطاهر أحمد : مختار القاموس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، (د.ت) ، ص٥٧٨ .

أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى " [١] .

المعية من حيث الإصطلاح الشرعي

تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإصطلاح الشرعي للمعية في كلام طويل في عدة مواضع من الجزء الخامس من الفتاوى [٢] ملخصه ما ذكرته سارة آل سعود إذ تقول في بيان المعية إصطلاحاً هي : " إن الله مع العباد عموماً بعلمه ، ومع أوليائه بالنصر ، والتأييد ، والكفاية ، وهو قريب مجيب . فالله تعالى عالم بعباده وهو معهم أينما كانوا وعلمه بهم من لوازم المعية " [٣] .

أقسام المعية

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" لفظ المعية استعمل في الكتاب والسنة في مواضع ، يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر ، فإما أن تختلف دلالتها بحسب الموضع ، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وإن امتاز كل موضع بخاصيته " [٤] من هنا قسم أهل العلم معية الله الوارده في النصوص الشرعية إلى قسمين [٥] :

١ ـ معية عامة

وهي معية شاملة للكون بما فيه ، تشمل المؤمن والكافر ، والبار والفاجر ، فهي تستلزم الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني الربوبية وسميت عامة لأنها

١ــ ابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب : ابن قاسم ، عبدالرحمن بن محمد . مكتبة المعارف ، المغرب ، الرباط ، (د.ت) . ج٥ ، ص١٠٣ .

٢ــ أنظر : المرجع السابق ، ج٥ ، ص٢٣١ ، ص ص ٤٩٥ ــ ٤٩٩ .

٣ــ آل سعود : مرجع السابق ، ص ص ٢١ــ٢٢ .

٤ــ ابن تيمية : مرجع السابق : ج٥ ،ص ١٠٤ .

٥ــ أنظر : العثيمين ، محمد صالح : شرح العقيدة الواسطية ، دار ابن الجوزي ، ط٥ ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، (١٤١٩هـ) ، ج١ ، ص٤٠١ .

تعم جميع الخلق ، وهذه المعية هي المرادة بقوله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٧] .

٢ـ معية خاصة

وهذه المعية تنقسم إلى قسمين :

أ ــ مقيدة بوصف ؛ مثل قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۚ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

[سورة النحل : آية ١٢٨]

ب ــ مقيدة بشخص معين ؛ مثل قوله تعالى عن نبيه :﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : آية ٤٠] ، وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام :﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [سورة طه : آية ٤٦] .

والمعية المقيدة بشخص أخص من المقيدة بوصف ، فالمعية درجات : عامة مطلقة ، وخاصة مقيدة بوصف ، وخاصة مقيدة بشخص ، وأخص هذه الأنواع : ما قيد بشخص ، ثم ما قيد بوصف ، ثم ما كان عاماً .[1]

والمعية الخاصة بقسميها تستلزم ــ مع ما ذكر في المعية العامة ــ النصر والتأييد ، والمعونة والكفاية ، والمؤازرة والحفظ والدفع . وسميت خاصة لأنها تخص أولياء الله دون غيرهم .

١ــ المرجع السابق : ج١ ، ص ٤٠١ .

الفرق بين المعية العامة والخاصة

من خلال ما سبق بيانه في الحديث عن أقسام المعية يظهر الفرق بين المعيتين في الآتي [١] :

١ــ المعية العامة من مقتضاها العلم والإطلاع والإحاطة بجميع الخلق . أمّا المعية الخاصة فتزيد على ذلك بالحفظ والعناية والنصرة والتوفيق والتسديد والحماية من المهالك واللطف بأنبيائه ورسله وأوليائه .

٢ــ المعية العامة من الصفات الذاتية . أمّا الخاصة فمن الصفات الفعلية ؛ يقول العثيمين في بيان : هل المعية من الصفات الذاتية أو من الصفات الفعلية ؟

فيه تفصيل أمّا المعية العامة ؛ فهي ذاتية ؛ لأن الله لم يزل ولا يزال محيطاً بالخلق علماً وقدرةً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته . وأمّا المعية الخاصة ؛ فهي صفة فعلية ؛ لأنها تابعة لمشيئة الله ، وكل صفة مقرونة بسبب هي من الصفات الفعلية ؛ فقد سبق لنا أن الرضى من الصفات الفعلية ؛ لأنه مقرون بسبب ، إذا وجد السبب الذي به يرضى الله ؛ وجد الرضى ، وكذلك المعية الخاصة ؛ إذا وجدت التقوى أو غيرها من أسبابها في شخص ؛ كان الله معه [٢] .

٣ــ العامة تكون في سياق تخويف ومحاسبة على الأعمال وحث على المراقبة . أمّا الخاصة فمرتبة على الإنصاف والأوصاف الفاضلة الحميدة .

كيف تتحقق للعبد معية الله الخاصة ؟

تقدم أن المعية الخاصة هي معية الحفظ والإحاطة والتأييد والعناية والتوفيق ، والنصر والتسديد ؛ فكيف يصل العبد إلى هذه الدرجة ، وتتحقق له هذه المعية ؟

إن معية الله الخاصة لا تأتي من فراغ ولكي تتحقق للعبد تستلزم منه الجد والاجتهاد ، والترقي في سلم الطاعات ، وتزكية النفس وتهذيبها ؛ فهي تصديق العمل

١ــ انظر : السلمان ، عبدالعزيز المحمد : مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، مطابع المدينة ، ط١٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) ، ص٩٠ .

٢ــ العثيمين : مرجع سابق ، ج١ ،ص ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

الصالح للإيمان الصادق [١]. يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه مبيناً كيف يحظى العبد بإقبال ربه إليه ، وينال خاص معيته : " وما تقرب إليّ عبدي بشيءٍ أحب إليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه " [٢]

إذاً معية الله الخاصة تستلزم من العبد تحقيق تقوى الله ولزوم طاعته واجتناب معصيته ؛ وهذا الأمر هو ثمرة لاستشعار معية الله العامة ؛ حيث أن " من أدى مقتضيات معية الله العامة وقام بها ؛ فإن الله يمن عليه بمعيته الخاصة ويصطفيه لها " [٣] . وقد بين أهل العلم الصفات التي من حققها استحق بها معية الله الخاصة ، والتي هي عبارة عن تحقيق العبد للمفهوم الشامل للعبادة ، ومن هذه الصفات [٤] :

١ــ تحقيق تقوى الله :يقول تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [سورة النحل : آية ١٢٨]

ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [سورة الأنفال : آية ٢٩] .

٢ــ نصرة دينه وجهاد أعدائه : يقول تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الحج : آية ٤٠] ، ويقول تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة محمد : آية ٧]

١ــ آل سعود : مرجع سابق ، ص٦١ .

٢ــ البخاري ، محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ،(١٤١٩هـ)، ح٦٥٠٢ ، ص١٢٤٧ .

٣ــ آل سعود : مرجع سابق ، ص٦٠ .

٤ــ أنظر : الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، عالم الكتب ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) ، ج٥ ، ص ص ٧٠٣ ــ ٧٠٤ .

٣ــ التزام طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومتابعته :﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة ال عمران : آية ٣١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٧٠ ــ ٧١] .

الآثار التربوية لاستشعار المعية الإلهية

إن استشعار المعية الإلهية ــ بقسميها : العامة والخاصة ــ يترتب عليه آثار تربوية عظيمة منها :

١ــ تحقيق مراقبة الرب سبحانه وتعالى .

إن استشعار معية الله توقظ في النفس مراقبة الله ــ عز وجل ــ في السر والعلن ، فهو سبحانه مع كل نفس في كل وقت ومكان لا تخفى عليه خافية ، يقول ابن القيم مبيناً ماهية هذه المراقبة وأنها ثمرة لإيمان العبد و يقينه لمعية الله وعلمه بحاله في كل وقت : " المراقبة دوام علم العبد باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه ، فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه وتعالى رقيب عليه ناظر إليه ، سامع لقوله وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نفس وكل طرفة عين" [١] .

وهذه المراقبة التي هي ثمرة لاستشعار المعية يترتب عليها أمور تربوية كثيرة منها [٢]:

ــ الإقبال على الله تعالى والدوام على هذا الإقبال .

ــ حضور القلب ويقظته المستمرة .

ــ تعظيم الخالق تعظيماً منبعثاً من الشعور بجلاله وكماله .

ــ امتلاء القلب بهذا التعظيم حتى لا يلتفت الإنسان إلى سواه .

١ــ ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، (١٣٩٣هـ) ، جـ٢ ، ص٦٥ .

٢ــ انظر : عوض : مرجع سابق ، ص٢٣١

ـــ التجرد من الشهوات فتتابع إرادة العبد إرادة ربه في كل صغيرة وكبيرة فتزكو نفسه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " تزكية النفس أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان " [١] .

ـــ الإخلاص في الأعمال وتأديتها على خير ما تكون .

ـــ العمل على تحقيق مرتبة الإحسان وهي التي عرفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " [٢] .

٢ـــ تحقيق كمال الإيمان .

إن العلاقة بين قوة الإيمان وكماله وبين استشعار معية الله علاقة قوية ؛ تقول سارة آل سعود :

القلب الكامل الإيمان يستشعر معية الله في كل لحظة وحال ، وهذا ما يعصمه من الزلل والانحراف النفسي ، والقلبي ، والعملي ، وفي المقابل فإن استشعار معية الله يغيب حين يكون الإيمان ناقصاً ، أو ضعيفاً ، أو شابته شائبة ما ، ومن ثم يكون الانحراف النفسي والقلبي ، والعملي ، لأن المسلم هنا نسي معية الله له ، وعلمه فيه ، وإحاطته به، أوغابت عنه تحت ركام الانحرافات فوقع في ذلك ، لغياب الرقيب الداخلي [٣] .

يبين النبي صلى الله عليه وسلم هذه العلاقة المتبادلة بين استشعار معية الله وقوة الإيمان في مثل قوله : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن " [٤] . وقوله صلى الله عليه وسلم : " ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء " [٥].

١ـــ الألباني،محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، مكتبة المعارف المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٥هـ) ، جـ٣ ، ح١٠٤٦ ، ص٣٧ .

٢ـــ النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) ، ح٨ ، ص٣٦ .

٣ـــ آل سعود : مرجع سابق ، ص٤٥ .

٤ـــ البخاري : مرجع سابق ، ح٥٥٧٨ ، ص١٠٩٩ .

٥ـــ الترمذي ، أبي عيسى محمد بن عيسى : جامع الترمذي ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د . ت) ، ح١٩٧٧ ، ص٣٣١ ؛ وصححه : الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح سنن الترمذي ، مكتبة المعارف ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠هـ) ، جـ٢ ، ح١٩٧٧ ، ص٣٧٠ .

تعلق سارة آل سعود على الحديثين مبينة العلاقة الوثيقة بين الإيمان واستشعار معية الله فتقول :

إن نفي الإيمان في الحديثين الشريفين عن مرتكب المعصية ، قولية كانت أو فعلية ، إنما هو بيان وتأكيد على أن انحراف المؤمن عن صراط الله المستقيم إنما يتم في الفترات التي يغيب فيها المسلم عن استشعاره لمعية الله ، وحين لا يتذكر بأن الله يعلم حاله ، ويرى مكانه ويسمع قوله ، لأنه لو تذكر في حال انحرافه أن الله معه ، واستشعر أبعاد هذه المعية لما تجرأ على مقارفة ما هو فيه من انحراف ، لأن إيمانه في هذه الحالة لا بد أن يمنعه ، ويحول بينه وبين الانحراف . ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [سورة الأعراف : آية ٢٠١] . (١)

٣ــ تحقيق الاطمئنان النفسي للعبد .

إن من الآثار التربوية لاستشعار المعية الإلهية تحقيق الاطمئنان النفسي للعبد ؛ وذلك لأن " سعادة الإنسان المؤمن واستقراره وسكينته تنبع من داخله ، من صدق إيمانه بربه ، ويقينه من معية الله له " (٢) ، أمّا إذا فقد العبد الإحساس بمعية الله له فإنه " يصطلي بنيران الوحدة ، والوحشة حتى وإن عاش حياة اجتماعية حافلة " (٣)، ولا يطفئ هذه النيران ولا يذهب هذه الوحشة إلا استشعار معية الله ، يقول القرضاوي : " إن شعور المؤمن بمعية الله وصحبته دائماً يجعله في أنس دائم بربه ، ونعيم موصول بقربه يحس أبداً بالنور يغمر قلبه ولو أنه في ظلمة الليل البهيم ، ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإن كان في وحشة من الخلطاء والمعاشرين " (٤) ، وصدق الله إذ يقول :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [سورة الرعد : آية ٢٨].

١ــ آل سعود : مرجع سابق ، ص ص٤٧ــ٤٨ .

٢ــ المرجع السابق : ص٢٨ .

٣ــ المرجع السابق : ص٣٠ .

٤ــ القرضاوي ، يوسف : الإيمان والحياة ، مؤسسة الرسالة ، ط٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٩هـ) ، ص١٢٥ .

٤ــ تنمية الحياء من الله .

إن استشعار معية الله على الدوام تنمي في العبد حس الحياء من الله ، في أن يفقده حيث أمره ، أو يجده حيث نهاه ، من هنا تجده مسارعاً في ما أمر به ربه مجتنباً ما نهى عنه على أكمل صورة ظاهراً وباطناً [١] واضعاً نصب عينيه قوله تعالى :

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلاَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ [سورة يونس : آية ٦١] .

٥ــ تقوية سلطان الوازع الديني في نفس العبد .

إن استشعار العبد لمعية الله له على كل حال من أعظم الأسباب المؤدية إلى تنمية الوازع الديني في داخله أو ما يسميه بعضهم بالضمير الخلقي ويبين هذا الأمر تعريفه صلى الله عليه وسلم للإحسان بقوله : " الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " [٢] يقول الزنتاني في هذا الصدد :

إن مفهوم الضمير الخلقي ، في القرآن والسنة ، إنما هو في مجمله : ذات أخلاقية عليا ، أو رقابة ذاتية ، أو وازع داخلي ، يوجه الإنسان ، في نواياه ومقاصده وسلوكه وتصرفاته وأقواله وأفعاله وعلاقاته ومعاملاته ، وجهة خيرة متمشية مع الشرع والعقل والأخلاق والعرف الاجتماعي السليم والاتجاهات الإنسانية الرشيدة .

إن الضمير الخلقي ، بالمفهوم الإسلامي ، هو إحساس نفسي داخلي يراعي به (المسلم) ربه تعالى ويخشاه بالغيب ، ويستشعر حضوره الدائم معه ورقابته له ، وكأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله تعالى يرى (عبده) في كل الأحوال ، ويعلم ما في نفسه وما تطرف به عينه ، وما يخفي صدره ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد [٣] .

١ــ آل سعود : مرجع سابق ، ص٤٨ .

٢ــ تقدم تخريجه : ص ٤٢ .

٣ــ الزنتاني ، عبد الحميد الصيد : فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة ، الدار العربية للكتاب ، ط١ ، ليبيا ، طرابلس ، (١٩٩٣م) ، ص٣٨٧ ــ ٣٨٨ .

وهذا ما تؤكده سارة آل سعود إذ تقول :

الوازع ــ الداخلي ــ لا تستكمل ملامحه ، ولا يقوى سلطانه إلا إذا نُشئ في كنف استشعار حقيقي لمعية الله ، ومراقبته الدائمة له ، هذا الاستشعار هو الذي يضيء جنبات النفس ، وملكات العقل بنور الإيمان الصادق بالله ، الخالص له ؛ فيوقظ بالداخل روح الإحساس بالواجب ، الذي يرتقي بطبيعة الإنسان العليا حتى تطغى على طبيعته السفلى ، فيبدو لها صوت الضمير المتشبع بالوازع الديني واضحاً جلياً ، يأمر وينهى ، يزكي ملكات الإنسان العليا ، ويحميها من الانطماس تحت ركام العوامل النفسية الداخلية ، أو المؤثرات البيئية الخارجية . ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾ [سورة الشمس : آية ٧ ــ ٩] [١]

٦ ــ القيام بأمانة التكليف.

إن استشعار المعية الإلهية من أكبر العوامل المؤدية إلى الإحساس بالمسؤولية والقيام بالواجبات وهذا ما تبينه سارة آل سعود وهي تتحدث عن عمق العلاقة بين استشعار الإنسان لمعية الله له وبين قيامه بمسؤولياته المناطة به إذ تقول :

أنه كلما ازداد شعوره بهذه المعية الإلهية ، تعمق إحساسه بالمسؤولية تجاه ربه ، ونفسه ، وأسرته ، ومجتمعه ، وأمته ، وقيامه بواجباته تجاه هذه المحاور كلها ؛ والعكس صحيح ، فكلما ضعف ، أو وهن استشعاره لمعية الله له ، ضعف في المقابل إحساسه بالمسؤولية ، وقيامه بواجباته ؛ فالأصل في قيام المجتمع ، والأمة بمسؤولياتهما الدينية ، والدنيوية ، هو تحقق إيمان الفرد بحقيقة معية الله له ، ووضوح أبعادها في أعماقه ، وما يترتب على ذلك من قيامه بمسؤولية أمانة التكليف والخلافة على الأرض [٢] .

السورة والمعية الإلهية

إن المتأمل لآيات هذه السورة العظيمة ليلحظ أن السورة من أولها لآخرها مقررة للمعية الإلهية وفي هذا يقول قطب : " وفي هذه السورة بصفة خاصة نشهد صورة موحية من رعاية الله للجماعة الناشئة ؛ وهو يصنعها على عينه ، ويربيها بمنهجه ،

١ــ آل سعود : مرجع سابق ، ص١٩٢ ــ ١٩٣ .

٢ــ المرجع السابق : ص٢١١ .

ويشعرها برعايته ، ويبني في ضميرها الشعور الحي بوجوده ــ سبحانه ــ معها في أخص خصائصها ، وأصغر شؤونها ، و أخفى طواياها " [١] .ولبيان هذا الأمر يحاول الباحث توضيح كيفية معالجة السورة لموضوع المعية الإلهية :

ــ في المقطع الأول من السورة والذي اشتمل على مجادلة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم في مظاهرة زوجها لها ومن ثم بيان حكم الظهار وهو ما بينته الآيات الأربعة الأولى : يُلحظ أثر المعية الإلهية الخاصة لعباده المؤمنين وذلك يتمثل في سماعه ــ سبحانه ــ لشكوى هذه المرأة المؤمنة وإجابتها وفي هذا يقول قطب : " وقد سمع ــ سبحانه ــ للمرأة وهي تحاور رسول الله فيها ، ولم تكد تسمعها عائشة وهي قريبة منها ! وهي صورة تملأ القلب بوجود الله وقربه وعطفه ورعايته " [٢] نعم إنها المعية الإلهية الخاصة لعباده المؤمنين .

ــ أما المقطع الثاني من السورة والذي يتحدث عن المحادين لله ولرسوله وهو ما بينته الآيتان الخامسة والسادسة : فيلحظ ختم هذه الآيات بقوله سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ وفي هذا تأكيد حضور الله واطلاعه لكل أحد وهو بيان لمعية الله العامة لخلقه أجمعين .

ــ وفي الآية السابعة تأكيد وبيان لهذا الأمر حيث إن هذه الآية نص صريح في بيان معية الله العامة لجميع الخلق حيث يقول سبحانه :﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : " حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه

١ــ قطب ، سيد : مرجع سابق ، جـ٦ ، ص٣٥٠٣ .

٢ــ المرجع السابق : جـ٦ ، ص٣٥٠٤ .

الآيــة مــعــيــة علمه تعالــى ولا شــك فــي إرادة ذلك " [١]، ومــمــن نــقــل هــذا الإجــماع : ابن عبــد الــبــر [٢] ، وابن القيــم [٣] ، وغــيــرهــم .

ــ وفي بقية الآيات من السورة الكريمة تظهر معية الله في أمرين :

الأول : بيان حال نجوى اليهود والمنافقين وكذلك تحريفهم لتحية الإسلام ومــوالاة بعضهم لبعض وظنهم أن ذلك يخفــى ولا يظهر ففضحهم الله وبــين حــالهم فــهو سبحانه لا يخفى عليه شيء من أمرهم يعلم ما يخفون وما يعلنون وهذا هو مقتضــى معيته ــ سبحانه ــ لعامة خلقه .

الثاني : تظهــر آثار معيته الخاصة لرسله وعباده المؤمنين ويتضح ذلك مــن قولــه سبحانه : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ فهو ــ سبحانه ــ مع رسله ومن تبعــهم وسار على نهجهم وهذا مقتضى معيته الخاصة ، وتظهر كذلك في قولــه :﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ وقوله :﴿ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ وقوله :﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ﴾ إلى غير ذلك مما يبين مقتضى معيته الخاصة لعباده المؤمنين .

١ــ ابن كثير : مرجع سابق ، ج٤ ، ص٣٤٥ .

٢ــ أنظر : ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد الله : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، مطبعة فضالة ،ط٢، المغرب ، تحقيق : سعيد أحمد اعراب ، (١٤٠٢هــ) ، جــ٧ ، ص ص ١٣٨ ــ ١٣٩ . .

٣ــ أنظر : ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب : إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، دار الكتــب العلميــة ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٤هــ) ، ص٨١ .

التطبيقات التربوية للمضمون التربوي للمعية الإلهية

"إن تحقيق الإيمان الصادق ، والعبودية الحقيقية لله ، مرتبط بترسيخ حقيقة معية الله للإنسان تلك المعية التي تسبغ على وجوده القيمة ، وعلى حياته المعنى ، وعلى علمه الفائدة ، وعلى عمله الإتقان " [١] . ولكن هذا الأمر لم يعد له ذلك الوجود الحقيقي في حياة كثير من المسلمين اليوم فما هو التطبيق العملي لتحقيق المضمون التربوي للمعية الإلهية ليعيش المسلمون في ظل معية الله في كل حين وعلى كل حال لتتحقق لهم الاستقامة القلبية والنفسية والسلوكية العملية ؟ ويتعرض الباحث للتطبيقات التربوية للمعية الإلهية على النحو الآتي :

أولاً : في الأسرة :

إن من أولى مهمات الأسرة المسلمة التي ينبغي أن تنشئ عليها أبناءها هو تعريفهم على الله ــ تعالى ــ وحبه وأنه الخلاق الرزاق المعطي الكريم اللطيف الخبير الذي يستحق أعظم الحمد والشكر ، وأنه ــ سبحانه ــ المطلع على أحوال عباده البصير بنواياهم . وأعمالهم ؛ مما يقتضي الإخلاص له ومراقبته والخوف من عقابه [٢] . فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بهذا الأمر مع ابن عمه عبدالله بن عباس وهو غلام صغير فيقول له : " يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله ــ تعالى ــ لك . ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رُفعت الأقلام وجفت الصحف " [٣] . يقول ابن رجب في شرحه لهذا الحديث : " معناه أن من حفظ حدود الله رراعى حقوقه وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه ، يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة النحل : آية١٢٨] [٤] .

١ــ آل سعود : مرجع سابق ، ص٢٢٩ .

٢ــ بكار ، عبدالكريم: دليل التربية الإسلامية ، دار الأعلام ، ط١ ، الأردن ، عمان ، (١٤٢٢هـ) ، ص٢٥ .

٣ــ الترمذي : مرجع سابق ، ح٢٥١٦ ، ص٤٠٩ ؛ وصححه الألباني : " صحيح الترمذي " ، مرجع سابق ، حـ٢ ، ح٢٥١٦ ، ص٦٠٩ .

٤ــ ابن رجب ، زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين :جامع العلوم والحكم ، مؤسسة الكتب الثقافية ،ط٢،لبنان، (١٤١٠هـ) ، ص١٨٧.

ويمكن للأسرة أن تعلق قلب الطفل بالله ــ تعالى ــ من خلال عدة أمور : بالسؤال بالتعليم والتلقين بالقصة بالتوجيه فمثلاً : إذا طلب شراء شيء يقال له : أطلبه من الله حتى يرزق أباك ويحضره لك . وإذا لوحظ على الابن أنه يكذب يقال له : ألا تشعر أن الله مطلع عليك ويعرف أنك تكذب ؛ وهكذا تتم تنمية الوازع الداخلي وتكوين أحاسيس المحبة والمراقبة لله تعالى ــ والشعور بمعيته [١] .

ثانياً : في المدرسة :

إن المدرسة ــ وهي إحدى وسائط التربية ــ ينبغي أن تحسن تربية طلابها وتعليمهم وتثقيفهم وتهذيبهم والأخذ بأيديهم إلى ما فيه خيرهم وخير مجتمعهم . ففي الجانب العقدي عليها أن تربي الجيل على الإيمان الحقيقي كما ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيل الأول حيث كان يعلمهم الإيمان الحقيقي قبل تعلم القرآن " قال جندب بن عبدالله : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة * فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً " [٢] .

فوجب على المعلم أن يربي التلاميذ على معرفة الله حق المعرفة ومن ذلك استشعارهم لمعية الله ، معيته العامة فينشئون على مراقبته سبحانه ، ومعيته الخاصة فينشئون على حبه والثقة به والاعتماد عليه ؛ فإذا لم يُحضر التلميذ الواجب المدرسي وأراد أن يختلق الأسباب للاعتذار ذكره معلمه بمعية الله له فيتذكر ، وإذا ظهر عليه الخوف والقلق من الامتحان أو غيره ذكره بمعية الله له فيطمئن ويسكن ، بهذا سوف يتعلم التلميذ من أستاذه استشعار معية الله له في كل حال فيصبح شاباً سوياً تقياً . يقول العقيلي : "إن المؤمن إذا تربى على الإيمان بالله سبحانه وتعالى ومراقبته في السر والعلانية

١ــ بكار : مرجع السابق : ص٢٦ .

* حزاورة جمع حَزْوَرٍ وحزورٍ وهو : الذي قارب البلوغ . انظر : ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات : النهاية في غريب الحديث والأثر ، المكتبة العلمية ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، جـ ١ ، ص٣٨٠ .

٢ــ ابن ماجة ، أبي عبدالله محمد بن يزيد : سنن ابن ماجه ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د . ت) ، ح٦١ ، ص٥٧ ؛ وصححه : الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٨هـ) ، ح٥٢ ، ص١٦ .

وخشيته في المنقلب والمثوى فإنه يصبح إنساناً سوياً ، وينشأ شاباً تقياً .. لاتستهويه مادة، ولا تستعبده شهوة ، ولا يتسلط عليه شيطان ، ولا تختلج في أعماقه وساوس النفس الأمارة " [١] .

من هنا وجب على المدرسة الاجتهاد في ترسيخ المعاني الربانية في نفوس التلاميذ وتوثيق الصلة بينهم وبين ربهم بحيث يصبح إيمانهم نابعاً من يقين ومعايشة واستشعار لمعية الله وإحاطة علمه وإدراكه لحقيقة الربوبية والألوهية وفهم واضح لمعنى العبودية وتقديم ذلك بصورة ميسرة تتناسب مع عقليات التلاميذ ونفسياتهم ، وترتقي مع نموهم المضطرد بحيث تكون حياتهم المستقبلية قائمة عليها اعتقاداً وقولاً وعملاً [٢] .

ثالثاً : في المجتمع :

دور المجتمع في التربية مكمل لدور البيت والمدرسة ، فلا تعارض ولا تناقض في الاتجاه بل تكامل وتكاتف . فالمجتمع يرعى المفاهيم العقدية التي غرسها الوالدان ويتعهدها وينميها ويحفظها من الانحراف أو الذبول تحت وطأة ركام أفكار وعقائد تهلجم المسلم من كل حدب وصوب بالوسائل كلها [٣] ؛ فوظيفة المجتمع في الجانب العقدي هي ترسيخ المبادئ الصحيحة ، والعقيدة الصافية . يقول القرضاوي في بيان قيام المجتمع المسلم على العقيدة الإسلامية :

> هذه هي العقيدة التي يقوم عليها المجتمع المسلم : عقيدة " لا إله إلا الله ، محمد رسول الله " ، ومعنى قيام المجتمع المسلم على العقيدة الإسلامية : أنه يقوم على احترام هذه العقيدة وتقديسها ، ويعمل على تثبيتها في العقول و القلوب ، ويربي ناشئة المسلمين عليها ، ويرد عنها أباطيل المفترين ، وشبهات المضلين ، ويجلي فضائلها وآثارها في حياة الفرد والمجتمع ، عن طريق الأجهزة التوجيهية التي تؤثر على سير المجتمع [٤] .

١ــ العقيلي ، يحي بن سليمان : العفة ومنهج الاستعفاف ، دار الدعوة ، ط٢ ، الكويت ، (١٤١٢هـ) ، ص ١١٨ .

٢ــ آل سعود : مرجع سابق ، ص٧٨ .

٣ــ المرجع السابق : ص٩٠ .

٤ــ القرضاوي ، يوسف : ملامح المجتمع الذي ننشده ، مكتبة وهبة ، ط١ ، مصر ، القاهرة ، (١٤١٤هـ) ، ص٢٣ ــ ٢٤ .

أما إذا فشل المجتمع المسلم في تمثل هذه العقيدة الصحيحة فكيف يكـــون مجتمعـــاً مسلماً ؟! يقول القرضاوي :

وليس بمجتمع مسلم ذلك الذي يجعل العقيدة على هامش حياته ، فلا تأخذ مـن مناهـج التربية والتعليم ، ولا من مناهج الثقافة والفكر ولا مـن منـاهج الإعـلام والإرشاد ، ولا من أجهزة التوجيه والتأثير ، بصفة عامة ، إلا حيزاً ضئيلاً ، وموضوعاً محدوداً ، فليس هي الموجه الأول ، ولا المحرك ، ولا المؤثر الأول في حيـاة الأفـراد ، والأسر ، والجماعات ، وإنما هي شيء ثانوي يجيء في ذيل القافلة ، وفي المكان الأخير إن بقي له مكان [1] .

مـن هنـا وجـب على المجتمـع المسلـم أن يقـوم بدوره العمـلـي فـي المـحـافظـة عـلـى العقيـدة الإسـلاميـة ونشـرهـا والـدفاع عنـها عـن طـريـق جميـع قنـواتـه : عن طـريـق المسجـد والتعليـم والإعـلام وجميـع أجهـزتـه المختلفـة لكـي يعيـش أبنـاؤه هـذه العقيـدة في جميـع جوانـب حيـاتهـم المختلفـة .

هـذا بالنسبـة لأمر العقيدة بشكـل عـام ، أمّا بالنسبة لموضوع المعية الألهيـة على وجه الخصوص فإن على المجتمع بجميع أفـراده ، ومؤسساته ، وأجهزته ، ونظمـه أن يستشعروا معية الله لهم فيراقبوه سبحـانـه حق المراقبة ومن ذلك : إخلاص الموظف في وظيفته ، وأمانة التاجر في تجارته ، وصـدق الإعـلام في رسـالته ، فـإن ذلـك جميعـاً هـو تطبيـق عملي وأثر ملموس لاستشعـار معيـة الله العـامـة .

كما أن على المجتمـع المسلـم أن يعـيش الثقـة بوعـد الله وبنصـره له علـى أعـدائـه فالله معـه بنصـره وتأييـده وتوفيقـه وحفظـه ، ما دام سـائر علـى نهجـه وشريعتـه ، فلا يـأس ولا حـزن ، ولا تخـاذل ولا وهـن فالله يقـول :﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سـورة آل عمـران:آيـة ١٣٩] ، ويقـول سبحـانـه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [سورة النحل:آية ١٢٨] .

١ــ المرجع السابق :ص٢٦ ــ٢٧ .

المحور الثاني : الموالاة والمعاداة

الموالاة في اللغة :

" الموالاة : مشتقة من الولي بسكون اللام وتخفيف الياء وهو القرب والدنو . والوليّ : بكسر اللام وتشديد الياء : هو المحب والصديق والنصير " [١] ." والموالاة ضد المعاداة والولي ضد العدو وتولاه : اتخذه ولياً " [٢] ." والتولي : يأتي بمعنى الولاية وهي النصرة والاتباع ، وذلك إذا عدى بنفسه كقوله تعالى :﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة المائدة : آية ٥١] "[٣] .

والموالاة والتولي بينهما عموم وخصوص ، فالتولي أخص من الموالاة ، فكل تولي داخل في مفهوم الموالاة وليس كل موالاة داخلة في مفهوم التولي ؛ إذ الموالاة هي المحبة بغض النظر عن درجة هذا الحب ومرتبته ، أمَّا التولي فيكون بمعنى الاتخاذ والاتباع المطلق ، وهو يعني الانقطاع الكامل في نصرة المتبع وتقريبه وتأييده [٤] .

والناظر في كتب اللغة يجد أن " معنى الموالاة والتولي في أغلب الأحايين هو المحبة ، والموالاة ، والمتابعة ، والقرابة والنصرة " [٥] .

١ــ الفيروز أبادي : مرجع سابق ، ص١٧٣٢ .

٢ــ ابن منظور : مرجع سابق ، جـ ٢٠، ص٢٩٢ .

٣ــ القرطبي : مرجع سابق ، جـ٦ ، ص٢١٧ .

٤ــ الجلعود ، محماس بن عبدالله : الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، ط١، المملكة العربية السعودية ، الرياض،(١٤٠٧هـ)، جـ١،ص ص١١ ــ ١٣.

٥ــ المرجع السابق : جـ١ ، ص٢٢ ؛ انظر :دوكوري، عثمان: التدابير الواقيةمن التشبه بالكفار ، مكتبة الرشد ، ط١، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) ، جـ١ ، ص٤٢٤ .

المعاداة في اللغة :

" المعاداة : مصدر عادى يعادى معاداةً وعداءً ، والعِدَاءُ مصدر عادَى ، أي خاصمه ، وصار له عَدُوّاً ، والعداوة : اسم بمعنى الخصومة والمباعدة والعَدُو ، والعَدَاوَة أخص من البغضاء ، لأن كلّ عَدُوّ مُبْغَض، وقد يُبْغَضُ من ليس بعدو " [١] " والعدو ضد الولي وضد الصديق " [٢] .

ومما تقدم يتضح أن المعاداة هي على العكس من الموالاة فالمعاداة في أغلب استعمالاتها تدور حول المباعدة والمجافاة والمباغضة والمخاذلة ، بينما الموالاة في أغلب استعمالاتها على المحبة والمودة والمتابعة والنصرة والقرابة [٣] .

الموالاة والمعاداة في المفهوم الشرعي :

إن المعنى الشرعي للموالاة والمعاداة لا يبعد عن معناهما اللغوي فالمعنى الشرعي لهما مأخوذ من معانيهما اللغوية [٤] .يقول ابن تيمية في تعريفه لهما :" الولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية : المحبة والقرب ، وأصل العداوة : البغض والبعد، والولي : القريب ، فيقال : هذا يلي هذا : أي يقرب منه ، ومنه قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فلأولى رجل ذكر " [٥] ، أي لأقرب رجل إلى الميت"[٦]. ويعرفهما عبداللطيف آل الشيخ بقوله :

١ــ البستاني ، بطرس : محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، جـ٢ ، ص١٣٥٣ .

٢ــ ابن منظور : مرجع سابق ،: جـ١٩ ، ص٢٦٢ .

٣ــ الجلعود : مرجع سابق ، جـ١ ص٢٦ ؛ دوكوري : مرجع سابق ، جـ١ ، ص٤٢٥ .

٤ــ دوكوري : مرجع سابق ، جـ١ ، ص٤٥٥ .

٥ــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح١٦١٥ ، ص٦٥٨ .

٦ــ ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، (١٤١٥هـ) ، ص٣١ .

" وأصل الموالاة : الحب ، وأصل المعاداة : البغض ، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة، كالنصرة والأُنس والمعاونة ، وكالجهاد والهجر ونحو ذلك من الأعمال ، والولي : ضد العدو " [١] .

المكانة التربوية للموالاة والمعاداة في الإسلام :

إن للموالاة والمعاداة في الإسلام مكانة عظيمة ، فهي أوثق عُرى الإيمان ومعناها توثيق عُرى المحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الدين . يقول صلى الله عليه وسلم : " أوثق عُرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله ، والحب في الله والبغض في الله "[٢]. فوجب على المسلم أن يكون ولاؤه لله وعداؤه لله وحبه لله وبغضه لله ، فيحب المسلمين وينا صرهم ويعادي الكافرين ويتبرأ منهم يقول تعالى:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾ [سورة المائدة : آية ٥١] ، ويقول تعالى:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [سورة المائدة :آية ٥٥ ــ٥٦]، فهذه الآيات وغيرها كثير في هذا الموضوع تبين وجوب موالاة المؤمنين وما ينتج عن ذلك من خير ووجوب معاداة الكفار والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه من شر [٣] .

١ــ ابن قاسم ، عبد الرحمن : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، مطبوعات دار الإفتاء السعودية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٣٥٨هـ) ، م٢ ، جـ٢ ، ص١٥٧ .

٢ــ الألباني : " السلسلة الصحيحة " ، مرجع سابق ، جـ٤ ، ح١٧٢٨ ، ص٣٠٦ .

٣ــ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد : كتاب أصول الإيمان ، مجمع الملك فهد ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ،(١٤٢١هـ)، ص٢٦٥.

المداهنة والمداراة وأثرهما على الموالاة والمعاداة :

" المداهنة : هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب على المسلم من الغيرة على الدين .. أما المداراة فهي : درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له "[١] ، " والمداراة لا تتنافى مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشر والتأليف أوتقليل الشر وتخفيفه ، وهذا من منهاج الدعوة إلى الله تعالى " ، "وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لغير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا " [٢] .

موالاة العصاة والمبتدعين :

كثيراً ما يجتمع في المرء الواحد خير وشر ، وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة فهل يُوالى لخيره وطاعته وسنته ، أم يعادى لشره ومعصيته وبدعته ، يقول أهل العلم في هذه المسألة :

إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة ، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر . فقد يجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويُعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ويُتصدق عليه . هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة [٣] .

١ــ وزارة الشؤون الإسلامية : مرجع سابق ، ص٢٦٦ .

٢ــ المرجع السابق : ص ٢٦٧ .

٣ــ المرجع السابق : ص٢٦٨ .

معاملة الكفار في الأمور الدنيوية ؛ هل تدخل في الموالاة ؟

يتساءل البعض عن حكم معاملة الكفار في الأمور الدنيوية من بيع وشراء وغير ذلك هل يدخل ضمن النهي عن موالاة الكفار أم له حكم خاص ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل ينقل الباحث نص ما ذكره أهل العلم في هذه المسألة حيث جاء في كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ما نصه :

دلت النصوص الصحيحة على جواز التعامل مع الكفار في المعاملات الدنيوية كمسائل البيع والشراء والإيجار والاستئجار والاستعانة بهم عند الحاجة والضرورة على أن يكون ذلك في نطاق ضيق وأن لا يضر بالإسلام والمسلمين . (فقد استأجر النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عبد الله بن أُرَيْقط هادياً خِرّيتاً) [١] . والخريت هو الخبير بمعرفة الطريق . ورهن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ درعه عند اليهودي في صاع من شعير وأجر علي ـــ رضي الله عنه ـــ نفسه ليهودية يمتح لها الماء من البئر فمتح لها ست عشرة دلواً كل دلو بتمرة . وقد استعان النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ باليهود الذين كانوا في المدينة في قتال المشركين . واستعان بخُزاعة ضد كفار قريش . وهذا كله لا يؤثر على الولاء والبراء في الله على أن يلتزم الكفار الذين يقيمون بين المسلمين بالآداب العامة وأن لا يدعوا إلى دينهم [٢] .

ويجب التنبيه هنا إلى أمر آخر له صلة بمعاملة الكفار " وهو أن الموالاة شيء والمعاملة بالحسنى شيء آخر والأصل في هذا قوله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الممتحنة : آية ٨] " [٣] ، يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية بعد أن أورد أقوال أهل التفسير فيها :

١ـــ البخاري : مرجع سابق ، ح٢٢٦٣ ، ص٤٢١ .

٢ـــ وزارة الشؤون الإسلامية : مرجع سابق ، ص٢٦٨ .

٣ـــ القحطاني ، محمد سعيد : الولاء والبراء في الإسلام ، دار طيبة ،ط٤، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١١هـ) ، ص٣٥٢.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عني بذلك : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم . لأن الله ــ عز وجل ــ عم بقوله : (الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم) جميع من كان ذلك صفته ، فلم يخصص به بعضاً دون بعض ، ولا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ . لأن برّ المؤمن أحداً من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب ، أو ممن لا قرابة بينهما ولا نسب غير محرم ، ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام ، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح . ويبيّن ذلك الخبر المروي عن ابن الزبير في قصة أسماء مع أمّها [١] .

وقصة أسماء مع أمها كما في الصحيحين من حديث أسماء ــ رضي الله عنها ــ قالت : " قدمت عليّ أُمّي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : إن أُمّي قدمت علي وهي راغبة أَفأَصل أُمّي ؟ قال : نعم صِلي أُمّك " [٢] .

كيف عالجت سورة المجادلة موضوع الموالاة والمعاداة ؟

عالجت سورة المجادلة موضوع الموالاة والمعاداة في ١٠ آيات بدءاً من الآية الرابعة عشرة إلى الآية الثانية والعشرين حيث يقول سبحانه :

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ

١ــ الطبري : مرجع سابق ، م١٤ ، جـ٢٨، ص٨٤ .

٢ــ البخاري : مرجع سابق : ح ٢٦٢٠ ، ص٤٩٥ ؛ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح١٠٠٣ ، ص٣٨٨ .

أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١٤ ــ ٢٢] .

فيتبين من الآيات السابقة أن السورة عالجت موضوع الموالاة والمعاداة من خلال عدة أمور :

١ــ جعل الله سبحانه وتعالى موالاة غير المؤمنين من صفات المنافقين وذلك لينفر النفوس المؤمنة من هذه الصفة الذميمة . فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١٤] ، **يقول الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية : " والمراد إنكار الله على المنافقين توليهم القوم الذين غضب الله عليهم ، وهم اليهود والكفار . وهذا الإنكار يدل على شدة منع ذلك التولي "** [1] .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ملازمة هذه الصفة ــ تولي أعداء الله ــ للمنافقين في أكثر من موضع في كتابه ومن ذلك غير ما ذكر في هذه السورة قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الحشر: آية ١١] ، **وقوله سبحانه :** ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [سورة النساء :آية ١٣٨ ــ١٣٩]

١ــ الشنقيطي : مرجع سابق : جـ٧ ، ص٨٢٠ .

وبالمقابل جعل الله دليل الإيمان الصادق مودة أهل الإيمان ومعاداة أهل الكفر والعصيان فقال سبحانه : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٢٢]، يقول السعدي في تفسيره لهذه الآية : " أي : لا يجتمع هذا وهذا ، فلا يكون العبد مؤمناً بالله واليوم الآخر حقيقةً، إلا كان عاملاً على مقتضى إيمانه ولوازمه ، من محبة من قام بالإيمان وموالاته ، وبغض من لم يقم به ، ومعاداته ، ولو كان أقرب الناس إليه .وهذا هو الإيمان على الحقيقة ، الذي وجدت ثمرته ، والمقصود منه " [١].

٢ــ وَسَمَ الله ــ سبحانه وتعالى ــ من والى الكفار بأنهم حزب الشيطان فبعد أن ذكر صفات المنافقين التي يتقدمها موالاة الكفار ذكر في خاتمة الصفات أن هؤلاء هم حزب الشيطان حيث قال :﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾ من هنا يقف الذي يتولى الكفار من حزب الشيطان " تحت لوائه ، ويعمل باسمه ، وينفذ غاياته . وهو الشر الخالص الذي ينتهي إلى الخسران الخالص:﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١٩] " [٢] .

وبالمقابل فإن من حقق ولاءه وعداءه لله وفي الله جعله ذلك من حزب الله﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..... أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ﴾ " فهم جماعته ، المتجمعة تحت لوائه ، المتحركة بقيادته ، المهتدية بهديه ، المحققة لمنهجه ، الفاعلة في الأرض ما قدره وقضاه ، فهي قدر من قدر الله " [٣] .

١ــ السعدي: مرجع سابق ، ص٧٨٥ .

٢ــ قطب، سيد : مرجع سابق : جـ٦ . ص٣٥١٣ .

٣ــ المرجع السابق : جـ٦ . ص٣٥١٥

٣ــ ذكر الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن الذّلة والصغار والهوان من نصيب أعداء الله وأعداء رسله ومن تولاهم حيث قال سبحانه:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ يقول الجزائري في معنى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ أي "المغلوبين المقهورين "[1] وبالمقابل النصر والعزة والتمكين لحزب الله وأوليائه ولذا عقب سبحانه على الآية السابقة بقوله :﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٢١] .

يقول السعدي في تفسيره للآيتين السابقتين :

هذا وعد ووعيد ، وعيد لمن حادّ الله ورسوله بالكفر والمعاصي ، أنه مخذول مذلول ، لا عاقبة له حميدة ، ولا راية له منصورة . ووعد لمن آمن به ، وبرسله ، واتبع ما جاء به المرسلون ، فصار من حزب الله المفلحين ، أن لهم الفتح والنصر والغلبة ، في الدنيا والآخرة ، وهذا وعد لا يُخْلف ، ولا يُغيّر ، فإنه من الصادق القوي العزيز ، الذي لا يعجزه شيء يريده [2] .

٤ــ يبين الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن حزب الشيطان الذين من ضمنهم الموالين للكفار المعادين لأولياء الرحمن متوعدون بالعذاب والنار:﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ ،﴿ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ، وبالمقابل فإن حزب الله الذين من أولى صفاتهم تحقيق الموالاة والمعاداة في الله ولله موعودون بالجنّة والرضى :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٢٢] .

١ــ الجزائري ، أبي بكر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (١٤٠٧هـ) ،ج٤،ص ٤٣٨ .

٢ــ السعدي : مرجع سابق ، ص٧٨٦ .

الآثار التربوية المترتبة على تطبيق مبدأ الموالاة والمعاداة في الله :

١ــ تماسك الأمة ووحدتها :

إن الأمة الإسلامية عندما تطبق مبدأ الموالاة والمعاداة في الله الذي هو أوثق عُرى الإيمان كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم : " أوثق عُرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله " [١] تصبح وحدة واحدة وكلاً لا يتجزأ وبناءاً متماسكاً لا ينهدم لا إحن ولا أحقاد ولا بغضاء ولا شحناء ولا عداوة ولا أثرة ولا كراهية ولا فرقة ولا تنافر بل أفراد الأمة على الحب والإخاء والود والصفاء والتباذل والتعاون والتسامح والتناصح والإيثار والتواضع . وخفض الجناح لبعضهم البعض [٢] .

٢ــ تأكيد ذاتية الأمة الإسلامية وربطها بمنابع أصالتها الكتاب والسنة :

إن الأمة الإسلامية أمة حملها الله ــ تعالى ــ مهمة الشهادة على الناس :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [سورة البقرة : آية ١٤٣] .

وهذه المهمة تتطلب من الأمة الإسلامية مخالطة الأمم الأخرى ، والاحتكاك بها من أجل أداء واجب الشهادة عليها ، وهذا الاحتكاك يتطلب من الأمة أن تكون متميزة ومستقلة في شخصيتها ، مما يصوغها

١ــ أنظر : تخريجه : ص٥٤ ، الحاشية رقم ٢ .

٢ــ عوض : مرجع سابق ، ص٤٢١ .

من التفسخ والذوبان في غيرها . لأن واجب الشهادة كما يقول العلواني في تحقيقه لكتاب الورداني : " لا تقوم به إلا الأمة الوسط الخيرة ، المتميزة بشخصيتها الإسلامية المستقلة ، الممتنعة عن الذوبان في غيرها ، أو فقدان شيء من معالم شخصيتها ، لتكون مثلاً يُحتذى ، ونموذجاً به يُقتدى ، وأسوة للأمم تتأسى بها ، وتترسم خطاها "[1] . ومن أقوى العوامل المؤدية إلى تكوين الشخصية الإسلامية المتميزة تطبيق مبدأ الموالاة والمعاداة الذي من أبرز الآثار التربوية المترتبة على تطبيقه تأكيد ذاتية الأمة الإسلامية وربطها بمنابع أصالتها الكتاب والسنة وصونها في نفس الوقت من التميع والتفسخ في العقائد والأخلاق والأفكار والعادات المناقضة للإسلام إذ أن مبدأ الموالاة والمعاداة يعتبر من العوامل الأساسية لتحقيق التمايز بين المسلم والكافر ، وصمام الأمان لصيانة المسلم من التأثر بالكافر أو التشبه به والأخذ عنه ، من هنا حرص أعداء الأمة على توهين هذا المبدأ من خلال وسائل وأساليب مختلفة من مثل دعوات مشبوهة تنادي بتقريب الأديان ، والتقريب بين الأمم والشعوب على اختلاف عقائدها وأفكارها ، وهذه الدعوات تأخذ شعارات متعددة ، فمرة باسم العالمية ومرة باسم الإنسانية ، وأخرى باسم زمالة الأديان ، أو المجتمع الدولي ، أو التعايش السلمي إلى غير ذلك من الشعارات ، يهدفون من وراء هذا كله إلى سلخ المسلمين من عقيدتهم فمن هنا تبرز أهمية إحياء هذا المبدأ العظيم ــ مبدأ الموالاة والمعاداة ــ في نفوس المسلمين لتأكيد ذاتية الأمة الإسلامية وربطها بمنابع أصالتها الكتاب والسنة ولتأكيد التمايز بين المسلم والكافر وصيانة للمسلم من التأثر بأعداء الله [2] .

١ــ الورداني ، مصطفى محمد : النهي عن الاستعانة والاستنصار في أمور المسلمين بأهل الذمة والكفار . دار النصر ، مصر . تحقيق : العلواني ، طه جابر فياض ، (د.ت) ، ص١٨ .

٢ــ انظر : دكوري : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ص٤١٩ ــ ٤٤٠ ؛ قطب ، محمد : لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة . دار الوطن ، المملكة العربية السعودية ، الرياض (١٤١٣هـ) ، ص١٦٣ ؛ الجليل ، عبد العزيز ناصر : وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، دار طيبة ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) ، جـ٣ ، ص١٤٧ ــ ١٤٨ .

٣ــ خلع الولاءات الجاهلية من قومية وعرقية ووطنية ...

إن من الآثار المترتبة على تطبيق مبدأ الموالاة والمعاداة في الله ما نتج عنه من سقوط وخلع الولاءات الجاهلية التي كانت قائمة قبل ذلك من قومية وعرقية ووطنية وغيرها ، حيث حل محلها جميعاً الموالاة في الله والمعاداة في الله بغض النظر عن الأرض واللون واللغة فالمسلم أخو المسلم أياً كان موطنه أولغته والكافر عدو المسلم وإن وافق المسلم في نسبه وأرضه ولغته ولونه فلا صداقة ولا عداوة إلا على أساس الإيمان . " بهذا تم القضاء على مختلف أنواع الشرور والفساد التي تتولد عن طريق التعامل على أساس الروابط الأرضية الفانية والتي قطع الإسلام دابر التعامل على أساسها منذ اللحظة الأولى " [١] يقول تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٣].

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يعلنها مدوية أمام الناس جميعاً محطماً الفوارق القائمة على أساس الدم واللون والأرض مقيماً أساس العقيدة مكانها ليصبح المؤمنون جميعاً جسداً واحداً لا تفصل بينهم فواصل العرق أو اللسان أو الأرض أو اللون كلهم أخوة في الله [٢] فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: " يا أيها الناس ! إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر ؛ إلا بالتقوى﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٣]، ألا هل بلغت ؟ ". قالوا بلى يا رسول الله . قال :" فليبلغ الشاهد الغائب " [٣] .

١ــ عوض : مرجع سابق ، ص٤٢٠ .

٢ــ المرجع السابق : ص٤٢٠ ــ٤٢١ .

٣ــ الألباني : "صحيح الترغيب والترهيب " ، مرجع سابق ، جـ٣ ، ح٢٩٦٤ ، ص١٣٥ .

يقـــول قطـــب في هذا الصدد :

الوشيجة الـــتي يتجمـــع عليها النـــاس في هـــذا الدين وشيجة فريدة تتمـــيز بهـــا طبيعة هذا الدين ، وتتعلـــق بآفـــاق وآمـــاد وأهـــداف يختص بها ذلك المنهج الربـــاني الكريم .إن هذه الوشيجة ليست وشيجة الـــدم والنســـب ؛ وليست وشـــيجة الأرض والوطن ، وليست وشيجة القـــوم والعشـــيرة ، وليســـت وشـــيجة اللـــون واللغـــة ، وليست وشيجة الجنس والعنصر ، وليست وشيجة الحـــرفة والطبقة .. إن هذه الوشـــائج جميعهـــا قـــد توجـــد ثم تنقطـــع العـــلاقـــة بـــين الفـــرد والفـــرد ؛ كمـــا قـــال الله ـــ سبحـــانه وتعـــالى ـــ لعبـــده نـــوح ـــ عليـــه السلام ـــ وهو يقول :﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ ..﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ثم بـــين لـــه لمـــاذا يكـــون ابنه .. ليـــس مـــن أهلـــه ..﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ .. إن وشيجـــة الإيمـــان قد انقطعت بينكمـــــا يـــا نـــوح :﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ فأنت تحسب أنه مـــن أهلك ، ولكـــــن هـــذا الحسبـــان خـــاطـــئ . أمـــا المعلـــوم المســـتيقن فهـــو أنـــه ليـــس مـــن أهلـــك ، ولـــو كـــان ابنـــك مـــن صلبك ! وهـــذا هـــو الْمَعْلَـــم الـــواضـــح البـــارز علـــى مفـــرق الطـــريق بـــين نظـــرة هـــذا الديـــن إلى الوشـــائج والـــروابـــط ، وبين نظـــرات الجـــاهلية المتفرقة .. إن الجاهليات تجعل الرابطة آناً هـــي الـــدم والنســـب ؛ وآناً هي الأرض والوطن ، وآناً هي القوم والعشيرة ، وآناً هي الجنس والعنصر ، وآناً هي الحـــرفة والطبقة ! تجعلها آناً هي المصالح المشتركة ، أو التـــاريـــخ المشـــترك ، أو المصـــير المشترك .. وكلها تصورات جاهلية ـــ على تفرقها وتجمعـــها ـــ تخـــالـــف مخـــالفـــة أصيلـــة عميقة عن أصل التصور الإســـلامـــــي ! والمنهـــج الربـــاني القـــويم ـــ ممثـــلاً في هـــذا القـــرآن الذي يهدي للـــتي هـــي أقـــوم وفي تـــوجيهـــات الـــرسول صلى الله عليه وسلم ـــ وهي مـــن هـــذا القـــرآن وعلـــى نسقـــه واتجـــاهـــه ـــ قـــد أخذ الأمة المسلمة بـــالـــتربيـــة علـــى ذلـــك الأصـــل الكبـــير .. والْمَعْلَـــم الـــواضح البـــارز في مفـــرق الطـــريـــق .. " [1].

فيتبـــين بـــهذا طـــرح جميـــع الـــوشـــائج الـــتي يتجمـــع عليها النـــاس إن لم تكـــن منطـــويـــة ومتـــوافقـــة مـــع وشيجـــة الإيمـــان .

١ـــ قطب ، سيد : مرجع سابق ، جـــ٤ . ص١٨٨٦

التطبيقات التربوية للمضمون التربوي للموالاة والمعاداة

إن تعاليم هذا الدين العظيم ليست تعاليم نظرية جاءت لتبقى حبراً على ورق ليس لها نصيب في أرض الواقع ، بل لها مقتضيات يظهر أثرها في سلوك المسلم " فمن سمات هذا الدين البارزة وخصائصه الفريدة أنه يربط القول بالعمل " [١] ، يقول قطب : " لقد كانت الآية أو الآيات تنزل في الحالة الخاصة أو الحادثة المعينة ، تحدث الناس عما في نفوسهم ، وترسم لهم منهج العمل في المواقف المتعددة " [٢].

وبالنسبة لمبدأ الموالاة والمعاداة في الله فقد طبق واقعاً عملياً في حياة سلف هذه الأمة ، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ــ رضي الله عنهم ــ فوالوا في الله وعادوا في الله على هدى وبصيرة من وحي الله ، والنماذج التطبيقية في هذا الجانب كثيرة جداً [٣] ويكفي إيراد صورة واحدة تبين تحقيق السلف للموالاة والمعاداة في الله وذلك ما حدث في غزوة بدر الكبرى حينما مر مصعب بن عمير بأخيه أبي عزيز بن عمير وقد خاض الغزوة مع الكفار ضد المسلمين . فمر به مصعب وأحد الأنصار يضع القيد في يده ." فقال مصعب للأنصاري شُدّ يديك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك . فقال أبو عزيز لأخيه مصعب : أهذه وصاتك بي ؟! فقال مصعب إنه ــ أي الأنصاري ــ أخي دونك " [٤] .

ولكي نطبق الموالاة في الله والمعاداة في الله كما طبقها سلفنا الصالح هناك بعض الخطوات العملية في هذا الجانب منها :

أولا : في الأسرة :

١ــ على الأسرة أن تربي الناشئة على مبدأ الموالاة والمعاداة منذ مراحل طفولتهم الأولى حتى يشبوا وهم على هذا المبدأ الذي هو أوثق عرى الإيمان .

١ــ الجلعود : مرجع سابق : جـ١ ، ص٢٤٢ .

٢ــ قطب ، سيد : معالم في الطريق ، مكتبة وهبة ، مصر ، (١٣٨٤هـ) ، ص١٨ .

٣ــ انظر في ذلك : القحطاني :مرجع سابق : ص٣٨٥ وما بعدها ؛ الجلعود : مرجع سابق : ص ص٣٠١ ــ ٣٣٠ .

٤ــ با شميل ، أحمد محمد : غزوة بدر الكبرى ، شركة الطبع والنشر اللبنانية ، لبنان ، بيروت ، (١٣٦٨هـ) ، ص١٧٦ .

ينقل الجليل عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قوله : " إن الواجب على الرجل أن يعلم عياله وأهل بيته الحب في الله والبغض في الله ، والموالاة في الله والمعاداة فيه ، مثل تعليم الوضوء والصلاة ؛ لأنه لا صحة لإسلام المرء إلا بصحة الصلاة ، ولا صحة لإسلامه أيضاً إلا بصحة الموالاة والمعاداة في الله " [١] .

٢ــ على الأسرة أن تحقق مبدأ الموالاة والمعاداة فلا تستخدم لعمالتها من حارس وسائق وخادم وغير ذلك إلا من المسلمين .

٣ــ على رب الأسرة والقائم عليها أن يعرف أسرته بأحوال المسلمين في العالم بجلب الكتب والمطويات في هذا الموضوع وكذلك متابعة أحوالهم عبر وسائل الإعلام ومشاركة المسلمين في أفراحهم وأحزانهم فيفرح لفرحهم ويبتهج لذلك ويحزن لحزنهم ويقدم لهم يد العون بما يستطيع ولو بالدعاء ويربي أسرته على هذا الأمر الذي هو تطبيق عملي للموالاة في الله والمعاداة فيه .

ثانياً : في المدرسة :

المدرسة لها أهميتها البارزة في تربية الأجيال تربية إسلامية ، وتتمم دور الأسرة وتكمله ، ولا تعمل بمعزل عنه . وتعزز في نفوس طلابها المبادئ العظيمة التي جاء بها هذا الدين ومن الجوانب التطبيقية لتحقيق مبدأ الموالاة والمعاداة الآتي :

١ــ ينبغي على المدرسة وخاصة تلك التي يكثر فيها تعدد الجنسيات المختلفة من البلاد الإسلامية أن تنمي في نفوس طلابها أنهم جميعاً أخوة في الله جمعهم هذا الدين بغض النظر عن جنسياتهم المختلفة أو قبائلهم المتباعدة أو غير ذلك من الروابط فرابطة الإيمان هي الأصل فينشأ الطلاب متحابين على الولاء لله .

٢ــ طرح موضوع الموالاة والمعاداة وتبيين صوره المختلفة عن طريق الإذاعة المدرسية والصحافة المدرسية وجماعة التوعية الإسلامية بالمدرسة بوسائل مختلفة : محاضرة ، ندوة ، كتابة مقال ، مسابقة ، إلى غير ذلك من الوسائل .

١ــ الجليل : مرجع سابق : جـ٣ ، ص١٤٨ .

٣ــ زيارة الطلاب للمراكز والمؤسسات التي تهتم بحال المسلمين في العالم مثل : رابطة العالم الإسلامي ، الندوة العالمية للشباب المسلم ، مؤسسة الحرمين الخيرية وغيرها حتى يتعرف الطلاب على حال إخوانهم في العالم الإسلامي .

٤ــ وضع صندوق بالمدرسة لجمع التبرعات لفقراء المسلمين في داخل البلاد وخارجها .

٥ــ محاربة التشبه بالكفار في اللبس وقصات الشعر وغيرها فإن هذا له تأثيره السلبي على الموالاة والمعاداة يقول ابن تيمية :" الموالاة والمودة وإن كانت متعلقة بالقلب لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم ، ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن ذريعة أو سببا قريباً أو بعيداً إلى نوع من الموالاة والمودة فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة ، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة كما توجبه الطبيعة ، وتدل عليه العادة "[١] .

ثالثاً : في المجتمع :

إن المجتمع بتطبيقه مبدأ الموالاة والمعاداة في الله يكون بذلك متمثلاً قول النبي صلى الله عليه وسلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " [٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم : " ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "[٣] فهذه الأحاديث هي عبارة عن صورة لحال المجتمع إذا قام بتطبيق ما شرعه الله له من الموالاة والمعاداة فيه .وهذه بعض الخطوات العملية في هذا الجانب من خلال المجتمع ويمكن تقسيم ذلك إلى قسمين :

أ ــ جوانب تطبيقية لتحقيق موالاة المؤمنين ويكون ذلك بالقيام

١ــ ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم : اقتضاء الصراط المستقيم ، دار العاصمة ،ط٦ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض . تحقيق : ناصر عبد الكريم العقل ، (١٤١٩هـ) ، جـ١ ، ص ص١٨٣ ــ ١٨٤ .

٢ــ البخاري : مرجع سابق : ح٦٠٢٦ ، ص١١٦٦ .

٣ــ المرجع السابق : ح ٦٠١١ ، ص١١٦٤ .

بحقوق الأخوة الإيمانية ومنها في جانب الموالاة والمعاداة المودة والنصرة :

١ــ المودة : إن من لوازم الموالاة المودة ومن هذه المودة حب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " [١] .

٢ــ النصرة : وهذا واجب على كل مسلم لأخيه المسلم ، وهي تعني " أن يقف المسلم في صف إخوانه المسلمين فيكون معهم يداً واحدة على أعدائهم ولا يخلي بتاتاً ــ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ــ بين مسلم وعدوه " [٢] ولذلك جاء الوعيد لمن يترك ذلك وهو قادر عليه . حيث قال صلى الله عليه وسلم : " ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تُنتهك فيه حرمته ويُنتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته " [٣] .

وفي هذا الجانب يقول الجلعود : " يجب على المسلمين شعوباً وحكومات أن يمدوا يد العون والمساعدة بسخاء إلى المسلمين الذين يقاومون الحكومات الطاغية والأحزاب الكافرة ، ودعمهم في ذلك بلا خجل أو حياء أو خوف من الناس ، لأن هذا واجب شرعي من واجبات الإسلام ، يؤديه المسلمون كما يؤدون غيره من الواجبات الشرعية "[٤] .

١ــ البخاري . مرجع سابق : ح١٣ ، ص ٢٦ ؛ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح٤٥ ، ص٥٠ .

٢ــ عبد الخالق : عبدالرحمن ، الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ، الدار السلفية ، (د . ت) ، ص٩٥ .

٣ــ الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ، ط٣ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٨هـ) ، جـ٢ ، ح٥٦٩٠ ، ص٩٩٢ ــ ٩٩٣ .

٤ــ الجلعود : مرجع سابق : جـ١ ، ص٢٩٢ .

ب ــ جوانب تطبيقية لتحقيق معاداة الكافرين :

إن تحقيق مبدأ معاداة الكافرين يقتضي تطبيقات كثيرة منها [١] :

١ ــ عدم الركون إليهم أو اتخاذهم أُمَنَا أو مستشارين امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [سورة هود : آية ١١٣]

يقول القرطبي ــ عليه رحمة الله ــ في بيان معنى الركون : " الركون حقيقة الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به "[٢] . ويبين دلالة قوله تعالى : ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ **في الآية فيقول : " دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم ، فإن صحبتهم كفر أو معصية ؛ إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة " [٣] .**

٢ ــ عدم الخضوع أو التذلل لهم فالمسلم عزيز مستعل بإيمانه على أهل الكفر يقول تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة المنافقون : آية ٨]. **فلا يليق بالمسلم الذي أعزه الله بالإيمان أن يخضع لكافر ، والخضوع يتخذ صوراً عديده منها :**

ــ القيام للكافر بعمل مع وجود الإهانة والاحتقار .

ــ الانحناء لهم عند ملاقاتهم ، أو الوقوف عندهم وهم جلوس .

ــ المبالغة في مخاطبتهم بألفاظ التبجيل والتعظيم . أو مدحهم والثناء عليهم بما لا يستحقون .

٣ ــ عدم التشبه بالكفار في الأقوال والأفعال والعادات وذلك لتحقيق المفاصلة التامة بين منهج الحق وطرق الباطل ، لأن المشابهة في الأقوال والأفعال تورث شيئاً من الموالاة بين المتشابهين .

١ــ انظر : دكوري : مرجع سابق : جـ١ ، ص ص٤٤١ ــ ٤٥٢ ؛ الجلعود : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ص٢٩٢ــ٣٠٠.

٢ــ القرطبي : مرجع سابق : ج ٩ ، ص ١٠٨ .

٣ــ المرجع السابق : ج٩ ، ص١٠٨ .

٤ ــ كشف مخططات الكفار وفضح جرائمهم تجاه الإسلام وأهله في مناهج التعليم ووسائل الإعلام .

٥ ــ جهادهم في سبيل الله وينقسم هذا الجهاد إلى قسمين :

القسم الأول : جهادهم بالدعوة ببيان محاسن الإسلام وما يترتب على الدخول فيه من الخير والفلاح في الدنيا والآخرة .وما يترتب على عدم الدخول فيه من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة .

القسم الثاني : جهادهم بالقتال إذا عاندوا واستكبروا ولم يستجيبوا للدعوة وحاولوا الصد عن سبيل الله . وفق شروط وضوابط وآداب تسمو بهذا الجهاد عن الظلم والعدوان ، وعن المطامع الشخصية والأعراض الذاتية وهذه الشروط والضوابط والآداب معلومة من الشرع المطهر مدونة في كتب الفقه الإسلامي وليس هذا محل بسطها .

الفصل الرابع

((التوجيهات المُتَضَمَّنة في الجانب التعبدي))

- المحور الأول : مكانة النبي صلى الله عليه وسلم .
- المحور الثاني : الكفّارات في الشريعة .

مقدمة :

إن العبادة في عرف الشرع تتحقق بطاعة الله القائمة على امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، سواءً في ذلك الاعتقاد ، والعمل الظاهر ، والعبادة هي الغاية من خلق الإنسان ، يقول تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات : آية ٥٦] ، فالعبادة هنا تشمل الجانب العقدي ، وتشمل الجانب العملي الظاهر ، فالعبادة كما يعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية : " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه : من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة " [١] . هذا تعريف العبادة على وجه العموم غير أن العلماء اصطلحوا على إطلاق لفظ العبادات على خصوص بعض التكاليف التي تحتاج إلى نية وأهمها : الصلاة والزكاة والصيام والحج ؛ لأن غاية التذلل والخضوع ظاهرة فيها أكثر من غيرها من سائر التكاليف ، وهي عنوان الاستسلام لله تعالى الذي أخذ منه اسم الإسلام [٢] . وقد جاء منصوصاً عليها في عدة أحاديث منها : إجابة النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل حين سأله عن الإسلام حيث قال : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، إن استطعت إليه سبيلا " [٣] . ومنها حديث :" بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان " [٤] .

والعبادات بهذا الاصطلاح تلي العقائد في الأهمية ــ وإن كان الجميع يشمله تعريف العبادة بالمفهوم الشامل كما تقدم ــ لذلك نجد أن الشريعة الإسلامية اهتمت بها غاية الاهتمام فجاءت عشرات الآيات القرآنية ، ومئات الأحاديث النبوية ترغب فيها وتنوه بشأنها [٥] .

١ــ ابن تيمية : " مجموع الفتاوى " ، مرجع سابق ، ج١٠ ، ص٨٥ .

٢ــ صقر ، عطية : توجيهات دينية واجتماعية ، دار نشر الثقافة ، مصر ، القاهرة ، (١٤٠٠هـ) ، ص٦٩ .

٣ــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح٨ ، ص٣٦ .

٤ــ البخاري : مرجع سابق ، ح٨ ، ص٢٥ .

٥ــ الندوي ، أبو الحسن علي الحسني : العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية ، ط٢ ، دار القلم ، الكويت ، (١٤٠٣ هـ) ، ص ص ٨١ ــ ٨٢ .

والباحث في هذا الفصل تطرق للحديث عما اشتملت عليه سورة المجادلـــــة مـــن توجيهات تربوية في الجانب التعبدي وكان ذلك من خلال محورين :

المحور الأول : مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتي تنبثق من الركن الأول من أركان الإسلام ، وما تقتضيه هذه المكانة من الإتباع والتأسي .

المحور الثاني : الكفارات في الشريعة ، وما تضمنته من معنى التعبد لله سبحانه وتعالى .

المحور الأول : مكانة النبي صلى الله عليه وسلم .

مدخل :

إن الله بعلمه وحكمته ـ سبحانه ـ فضّل أزمنة عن أخرى ، وأمكنة عن غيرها وأشخاص عمن سواهم ، فهو سبحانه ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [سورة القصص : آية٦٨] ، فضّل رمضان على سائر الشهور ، و فضّل الحرمين على سائر البلدان ، و فضّل المساجد على سائر البيوت و فضّل بني آدم على كثير ممن خلق تفضيلا ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [سورة الإسراء : آية٧٠] .

وبعد هذا التفضيل و الاختصاص لبني آدم بشكل عام ، يأتي الاجتباء والاصطفاء الخاص لفئات منهم و يأتي على رأسهم اصطفاء الأنبياء و الرسل و في ذلك يقول سبحانه بعد أن ذكر طائفة من الأنبياء :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾ [سورة مريم : آية ٥٨] .

فالأنبياء اصطفاهم الله من أكرم خلقه ، و أعدّهم لتبليغ رسالته و إقامة حجته ، وإنقاذ عباده ، فهم القسم العالية ، والمنائر الهادية ، و المنابر الداعية . فلهم من المكانة ما ليس لغيرهم يُلحَظ ذلك ابتداءً من اشتقاق مسماهم فكلمة " نبي " تشير في أصل وضعها إلى شرف موضع الأنبياء و علو مكانتهم و رفعة درجتهم فإن كانت من النبأ ـ و هو الخبر المفيد لما له شأن مهم ـ كان معنى " النبي " المنبئ عن الله أو المنبأ من الله ، و إن كانت من النبوة أو النباوة ـ و هي المكان العالي ـ كان معنى " النبي " الرفيع المكانة العظيم الشأن ، وإن كانت من "النبي " ـ وهو الطريق ـ كان معنى "النبي " الطريق إلى الله عز وجل [1].

١ـ ابن منظور ، مرجع سابق ، ج١،ص ص١٥٦ـ١٥٩ .

و مع ما للأنبيـــاء جميعـــاً من الفضل و المكـــانـــة إلا أن الله ســـبحانه كذلـــك رفـــع بعضهم فوق بعض درجـــات يقـــول ســـــبحانه :﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [سورة الإسراء : آية ٥٥] ، و يقول ســـبحانه : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٥٣] .

ومن هذا التفضيـــل كـــان لنبينـــا محمد صلى الله عليه وسلم النصيب الأوفـــر، فقـــد خصه ربه بالخصـــائص العظيمة و المنح والعطـــايا الكريمـــة التي ليس لأحـــد عليه فيها مزيد ولا يلحقـــه فيهـــا عبد من العبيد ؛ فالنـــاظر في كتـــاب الله الكـــريم وسنة سيد المرســـلـــين يجد من الأدلـــة الشـــيء الكثـــير التي تبيّن علـــو مكـــانته صلى الله عليه وسلم وعظيـــم قدره عند ربه و عند الخلق أجمعـــين .

ومعرفة مكـــانـــة النبي صلى الله عليه وسلم وما تقتضيه مـــن وجوب الإيمـــان به واتّبـــاعه وطـــاعته وحبه وتعظيمـــه هي مـــن ركـــائز الديـــن و أساســـياته ومـــا استفـــاضت به النصـــوص الشـــرعيـــة بيـــاناً له و تأكيـــداً عليه .

ولقد كتب علمـــاء المسلمـــين في بيـــان مكـــانته صلى الله عليه وسلم الكـــتب وصنّفوا فيهـــا المصنفـــات قديمـــاً وحديثـــاً من خـــلال دواوين الســـنة وكـــتب الســـيرة والمصنفـــات المستقلـــة والبـــاحـــث في هـــذا المحـــور ســـوف يبـــين مكـــانـــة النبـــي صلى الله عليه وسلم من خـــلال ســـورة المجـــادلـــة .

مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه :

المكانة : مأخوذة من الفعل كان ، و هي بمعنى الموضع ، أو المنزلة من الشـــئ ، وفي التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ [سورة يس : آية ٦٧] (١) .

ومكانـــة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه رفيعة و قدره عظيم ، حيث بيّن ذلـك في كتابه العزيز في مظـــاهر مختلفة ، ونوّعـــه في جملـــة أســـاليب ، وقـــرّره في عـــدة منـــاسبـــات ، ومن أمثلهـــا وأروعهـــا ما جاء في ســـورة الـــمجادلـــــة في قولـــه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١٢ــ١٣]

وقبل أن يقف الباحث مع هاتين الآيتين وما فيهما من تعظيم لرسول الله صلـــى الله عليه وسلم يدل على رفعة مكانته ، وعظيم قدره ، يذكر تمـــهيداً لذلـــك طرفـــاً مـــن الأساليب التي طرقها القرآن لبيان رفعة مكـــانته صلى الله عليه وسلم وعظيم قـــدره ، فمن تلك الأساليـــب :

١ــ أن الله ــ سبحانه و تعالى ــ أخذ العهد له صلى الله عليه و سلم من جميع الأنبيـــاء والرسل ــ عليهم الصلاة و السلام ــ بالإيمان به و نصرته .

يقـــول سبحـــــانه وتعـــالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [سورة آل عمران : آية٨١]

يقول ابن كثير : " يقول تعالى مهما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رســـول بعد هذا كله ، فعليكم الإيمان به ونصرته ، و إذا كان هذا الميثاق شاملاً لكـــل منـــهم

١ــ أنيس ، وآخرون : مرجع سابق ، ج٢ ، ص٨٠٦ .

تضمن أخذه لمحمد صلى الله عليه و سلم من جميعهم ،و هذه خصوصية ليست لأحد منهم سواه"[١] .

كما أخرج الطبري في تفسيره عن علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ في تفسير هذه الآية قوله : " لم يبعث الله عز وجل نبياً ، آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد : لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، ويأمره فيأخذ العهد على قومه " [٢].

٢ــ أن الله جعله خاتم الأنبياء يقول سبحانه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٤٠] ، وفي هذا تنويه بعلو مكانته و عظيم قدره و شأنه . وفي الحديث المتفق عليه يقول صلى الله عليه و سلم : " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية . فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلاّ وضعت هذه اللبنة؟!قال:فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[٣] .

٣ــ أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ تولّى الدفاع عنه مما رماه به قومه .

كان الأنبياء ــ عليهم السلام ــ إذا رماهم المكذبون بالضلال و السفه تولوا هم بأنفسهم الرد عليهم فهذا نوح لما رماه قومه بالضلال رد عليهم قائلاً:﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴾ [سورة الأعراف :آية٦١] ، وهذا هود يرد عن نفسه السفه الذي رماه به قومه قائلاً:﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ ﴾ [سورة الأعراف:آية ٦٧] ، أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد تولى الله عنه الرد فيقول سبحانه : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة الطور: آية ٢٩ ــ ٣٣]

١ــ ابن كثير ، إسماعيل : الفصول في سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، دار بن كثير ، سوريا ، دمشق ، (١٤١٣هـ) ،ص٢٨٦.

٢ــ الطبري : مرجع سابق ، م٣ ، ج٣ ، ص٤٥٠ .

٣ــ البخاري : مرجع سابق ، جـ٣٥٣٥ ، ص٦٧٩ ؛ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح٢٢٨٦ ، ص٩٣٩.

يقـــول صاحب خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء " و في هذا مـــن التشـــريف لنبينا صلى الله عليه و سلم ما تحار فيه العقول و تزداد به محبة الرسول صلى الله عليـــه وسلم " [١].

٤ــ أن الله أقسم بحياته : قال تعالى :﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة الحجر : آية٧٢].

قـــال ابن كثـــير . " أقسم الله بحياة نبيه صلوات الله و سلامه عليه ، و في هـــذا تشريف عظيم و مقام رفيع و جاه عريض "[٢] . وقال ابن عبد السلام : " و الإقســـام بحياة المُقسَم بحياته يدل على شرف حياته وعزها عند المُقسِم بها ، و لم يثبت هذا لغـــيره صلى الله عليه و سلم "[٣] .

٥ــ أن الله رفع ذكره : يقول سبحانه :﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [سورة الشرح : آية ٤] .

رفع الله ذكـــر نبيه صلى الله عليه و سلم فلا يذكر سبحانه إلا ذكر معه فـــأوجب ذكره في الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام و في الصلاة التي هي عمـــاد الديـــن وفي الآذان الذي هو شعار الإسلام إلى غير ذلك من المواضع .

٦ــ أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر : يقول ســـبحانه :﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [سورة الفتح : آية ٢] .

يقول ابن عبد السلام :

> و لم ينقـــل أنه أخـــبر أحداً من الأنبيـــاء بمثل ذلك بل الظـــاهر أنه لم يخـــبرهم ، لأن كل واحـــد منهم إذا طلبت منهم الشفـــاعـــة في الموقف ذكر خطيئته الـــتي أصابهـــا وقال : " نفسي نفسي " و لو علم كـــل واحد منهم بغفـــران خطيئته لم يؤجل منـــها في ذلك المقـــام ، و إذا استشفعت الخـــلائق بالنبي صلى الله عليه و سلم في ذلـــك المقـــام قـــال : " أنا لها" [٤] .

١ــ إبراهيم ، الصادق بن محمد : خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء ، مكتبة الرشـــد ،ط١ ، المملكـــة العربيـــة السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـــ) ، ص٤٧ .

٢ــ ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٥٧٥ .

٣ــ ابن عبد السلام ، العز : بداية السول في تفضيل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بـــيروت ، تحقيـــق : الألبـــاني ، (١٤٠٦هـــ) ، ص٣٧ .

٤ــ المرجع السابق : ص٣٥ ــ٣٦ .

٧ــ أن الله وقّره في ندائه فناداه بأعز أوصافه .

لم يناد الله نبيه في القرآن باسمه قط ، وإنما كان يناديه بقولـــه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [سورة الأنفال: آية ٦٤]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [سورة المائدة: آية ٤١] . **بخلاف ما كان ينادى إخوانه من الأنبيـاء فإنه كان يناديهم بأسمائهم .**

يقول ابن عبد السلام :

وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره بل إن كلاً منهم نودي باسمه فقال الله تعـالى:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [سورة البقرة : آية٣٥] ،و قال تعالى :﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ ﴾[سورة المائدة: آية١١٠] وقال تعالى : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ [سورة القصص: آية٣٠] و قال تعـــالى :﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا ﴾ [سورة هود : آية٤٨] وقال تعـــالى :﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [سورة الصافات : آيـة ١٠٤ــ١٠٥]. و لا يـخفـى على أحد أن السيد إذا دعا أحد عبيده بأفضل ما وجد فيه مـن الأوصاف العلية و الأخلاق السنية ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام لا يشـعر بوصـف مـن الأوصـاف و لا بخلـق من الأخلاق ، إن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء و الأوصـاف أعـز عليه و أقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم[١] .

٨ــ أن الله تعالى نهى الأمة أن تناديه باسمه العلم بل أمرها أن تكنيه بالنبوة أو الرسالة :

يقول تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [سورة النور : آية٦٣]

أورد ابن كثير عن ابن عبـاس في تفسيره لهذه الآية : " كانوا يقولون : يا محمد ، يا أبـا القـاسم ، فنهـاهم الله عز و جل عن ذلك إعظاماً لنبيه صلى الله عليه و سلم ، قـال : فقولوا : يا نبي الله يا رسول الله "[٢] .

قال الأصبهاني :

فخصـه الله تعـالى بهذه الفضيلـة من بين رسلـه و أنبيـائه و أخبر سبحـانه عن سـائر الأمم أنهم كـانوا يخاطبـون رسلهم و أنبيـاءهم بأسمـائهم كقـول قـوم موسى له :﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٣٨] و قـول قـوم عيسى له : ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ [سورة المائدة : آية ١١٢] وقـول قـوم هـود لـه : ﴿ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ [سورة هود : آية ٥٣][٣] .

١ــ المرجع السابق ، ص ٣٨ .

٢ــ ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٣١٨ .

٣ــ الأصبهاني ، أبو نعيم : دلائل النبوة ،دار الباز ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (د.ت) ، ص١٢ .

٩ــ أن الله نهى الناس أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته صلى الله عليه و سلم .

قــال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [سورة الحجرات : آية ٢ ــ ٤] ، **وفي هذا الأمر تعظيم لرسول الله صلى الله عليه و سلم و توقير له وذلك بالأمر بخفــض الصوت بحضرته صلى الله عليه و سلم و عند مخاطبته [١].**

١٠ــ صلاة الله و ملائكته عليه صلى الله عليه و سلم و أمر المؤمنين بذلك .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٥٦]

مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في سورة المجادلة :

هذه بعض الأساليب والمقام ليس مقام تفصيل وإنما المقصود ذكر طرفاً منها ، ويعود الباحث ليقف مع آيتي سورة المجادلة لبيان رفعة مكانته صلى الله عليه وســلم وعظيــم قدره من خلالها ، يقول سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾

[سورة المجادلة : آية ١٢ ــ ١٣] .

المعنى :

يقول ابن كثير ــ رحمه الله ــ في تفسيره لهاتين الآيتين :

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رســول الله ــ صلــى الله عليه وسلم ــ أي يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيــه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى﴿ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ ﴾ ثم قــال تعــالى﴿ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ ﴾ أي إلا من عجز عن ذلك لفقره﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ فما أمر بهــا إلا مــن قــدر عليها. ثم قــال تعالى ﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ ﴾أي أخفتم من اســتمرار

١ــ القرطبي : مرجع سابق ، ج١٦ ، ص٢٠٢ .

هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ﴿ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فنسخ وجوب ذلك عنهم وقد قيل إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١] .

سبب النزول :

أورد أهل التفسير في سبب نزول هاتين الآيتين روايات متعددة مختلفة ، ولكن الذي يظهر أنها من قبيل الأمثلة على حال مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل فرضية الصدقة بين يدي نجواه صلى الله عليه وسلم ، وليس من قبيل أسباب النزول ، وفي هذا يقول ابن عاشور :

وقد اختلف المتقدمون في سبب نزول هذه الآية ، وحكمة مشروعية صدقة المناجاة . فنقلت عن ابن عباس وقتادة وجابر بن زيد وزيد بن أسلم ومقاتل أقوال في سبب نزولها متخالفة ، ولا أحسبهم يريدون منها إلا حكاية أحوال للنجوى كانت شائعة ، فلما نزل حكم صدقة النجوى أقل الناس من النجوى . وكانت عبارات الأقدمين تجري على التسامح فيطلقون على أمثلة الأحكام وجزئيات الكليات اسم أسباب النزول .[٢]

ومن أمثلة هذه الروايات ما أورده ابن الجوزي في زاد المسير في سبب نزولهما حيث يقول :

في سبب نزولها قولان :

أحدهما : أن الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عن نبيه ، فأنزل هذه الآية ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنها نزلت في الأغنياء ، وذلك أنهم كانوا يكثرون مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويغلبون الفقراء على المجالس ، حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فنزلت هذه الآية ، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً ، وأما أهل الميسرة فبخلوا ، واشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت الرخصة ، قاله مقاتل بن حيان ، وإلى نحوه ذهب مقاتل بن سليمان ، إلا أنه قال : فقدر الفقراء حينئذ على مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يُقدِّم أحد من أهل الميسرة صدقة غير علي بن أبي طالب.[٣]

١ــ ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج٤ ،ص ٣٤٩ .

٢ــ ابن عاشور : مرجع سابق ، ج٢٧ ، ص٤٢ .

٣ــ ابن الجوزي : مرجع سابق ، ج٨ ، ص١٩٤ــ١٩٥ .

هذه بعض الروايات في سبب النزول والتي هي كما تقدم من قبيل الأمثلة على حال النجوى قبل فرضية الصدقة ، ومن هنا يعلق قطب على هذه الروايات بقوله :

فيبدو أنه كان هناك تزاحم على الخلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدثه كل فرد في شأن يخصه ؛ ويأخذ فيه توجيهه ورأيه ؛ أو ليستمتع بالانفراد به مع عدم التقدير لمهام رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعية ؛ وعدم الشعور بقيمة وقته، وبجدية الخلوة به ، وأنها لا تكون إلا لأمر ذي بال . فشاء الله أن يشعرهم بهذه المعاني بتقرير ضريبة للجماعة من مال الذي يريد أن يخلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتطع من وقته الذي هو حق من حق الجماعة.في صورة صدقة يقدمها قبل أن يطلب المناجاة والخلوة [١] .

الحكم والفوائد التربوية المستنبطة من الآيتين :

١ــ بيان علو مكانته صلى الله عليه وسلم وشرفه وعظيم قدره عند ربه وعند المؤمنين :

في هذه الآيات يعلمنا ربنا ــ سبحانه وتعالى ــ كيف يكون الأدب الشرعي مع رسولنا صلى الله عليه وسلم وذلك بأسلوب قرآني عجيب في فرضية تقديم الصدقة بين يدي نجواه ، يقول السعدي : " يأمر تعالى المؤمنين بالصدقة ، أمام مناجاة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم تأديباً لهم ، وتعليماً ، وتعظيماً للرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا التعظيم خير للمؤمنين وأطهر " [٢].

ولا يُشكل على هذا نسخ وجوب تقديم الصدقة فإن الأمر الذي من أجله فرضت وهو تعظيمه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم ينسخ باق على حاله ، يقول السعدي: " وبقي التعظيم للرسول والاحترام بحاله ، لم ينسخ ؛ لأن هذا من باب المشروع لغيره، ليس مقصوداً لنفسه ،وإنما المقصود هو الأدب مع الرسول والإكرام له "[٣].

هذا وبقاء هذه الآيات تتلى في كتاب الله " يُوجد في النفوس أثراً تربوياً عميقاً تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وانطباعاً خاصاً في التعرف على عظيم مكانته عند ربه بعد مماته "[٤] .

١ــ قطب ، سيد : " في ظلال القرآن " ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص٣٥١٢ .

٢ــ السعدي : مرجع سابق ، ص٧٨٥ .

٣ــ المرجع سابق : ص٧٨٥ــ٧٨٦ .

٤ــ الراشد : مرجع سابق ، ص٢٦٠ .

كذلك مما يدل على عظيم قدره ، وشرف مقامه ما تدل عليه كلمة " الصدقة " من التطهر بحيث لا يليق بمحدثه صلى الله عليه وسلم إلا أن يكون طاهراً مُزكًّى وفي هذا يقول ابن كثير : " أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام " [١].

٢ــ التخفيف عنه صلى الله عليه وسلم ودفع التكاثر من غير حاجة مهمة تستدعي ذلك [٢].

٣ــ انتفاع أهل الحاجة من الفقراء والمساكين بالصدقة المقدمة قبل المناجاة .

٤ــ أن لا يستحوذ الأغنياء بمجلس الرسول صلى الله عليه وسلم دون الفقراء[٣] .

٥ــ الزجر عن الإفراط في السؤال من غير حاجة ، والاقتصار على الأمور المهمة [٤] .

وبعد بيان هذه الحكم والفوائد التربوية المستنبطة من هاتين الآيتين العظيمتين يتضح أن المقصود الأساس ــ وإن كان هناك مقاصد أخرى ــ في فرضية الصدقة قبل يدي نجواه صلى الله عليه وسلم هو تعظيمه وبيان رفعة مكانته صلى الله عليه وسلم فما هو التعظيم ؟ وما الذي يقتضيه ؟

جاء في لسان العرب " التعظيم : التبجيل ، يقال لفلان عظمة عند الناس : أي حرمة يعظم لها " [٥] .

ولفظ التعظيم و إن لم يرد في النصوص الشرعية إلا أنه استعمل لتقريب المعنى المراد من لفظي التعزير و التوقير الواردة [٦]في قوله تعالى :﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [سورة الفتح : آية ٩] .

يقول الإمام الطبري في تفسيره " و أما التوقير فهو التعظيم و الإجلال والتفخيم " [٧].

١ــ ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٣٤٩ .

٢ــ الأوسي : مرجع سابق ، ج ٢٨ ، ص٣٠ .

٣ــ الرازي ، الفخر محمد بن عمر : التفسير الكبيرومفاتيح الغيب ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٣١٠هـ) ، م١٥ ، ج٢٩ ، ص٢٧٢ .

٤ــأبو السعود ،محمد بن محمد العمادي : تفسير أبي السعود ، دار احياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) ، ج٧ ، ص ٢٢٠ .

٥ــ ابن منظور : مرجع سابق : ج١٥ ، ص٣٠٤ ــ ٣٠٥ .

٦ــ التميمي ، محمد بن خليفة : حقوق النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أمته ، مكتبة أضواء السلف ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٨هـ) ، ج٢ ، ص٤٢٢ .

٧ــ الطبري : مرجع سابق : م١٣ ، ج٢٦ ، ص٩٨ .

ويقول ابن كثير في تفسيره : " قال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ و غير واحد تعظموه و توقروه ، من التوقير ، و هو الاحترام و الإجلال و الإعظام " [١].

وحاصل ما قيل في معنى التعزير و التوقير ما ذكره ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول " التعزير اسم جامع لنصره و تأييده و منعه من كل ما يؤذيه . و التوقير : اسم جامع لكل ما فيه سكينة و طمأنينة من الإجلال والإكرام ، وأن يعامل من التشريف و التكريم و التعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار " [٢] .

والتعظيم منزلة فوق المحبة ؛ لأنه ليس كل محب معظماً ، فالوالد يحب ولده ، ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه دون تعظيمه ، بخلاف محبة الولد لأبيه فإنه يجمع له بين التكريم و التعظيم [٣] .

وتعظيمه صلى الله عليه و سلم بإجلاله و توقيره و تشريفه و تكريمه و نصره وتأييده شعبة عظيمة من شعب الإيمان ، و حق من عظيم حقوقه صلى الله عليه وسلم وهو عبادة من العبادات محلها القلب و اللسان و الجوارح :

ــ فالتعظيم بالقلب هو ما يستلزم كونه رسولاً مصطفى له من رفعة المكانة و جلالة القدر ورفع الذكر و إخلاص المحبة و تقديمها على النفس و الولد و الوالد و الناس أجمعين .

ــ والتعظيم باللسان يكون بالثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه أو أثنى به على نفسه من غير غلو و لا تقصير ، و من أعظم ذلك و أجله الصلاة و السلام عليه كما يشمل تعظيمه باللسان الأدب في الخطاب عند ذكره و كذلك نشر فضائله و بيان علو مكانته عند الناس و تعريفهم بذلك .

١ــ ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص١٩٩.

٢ــ ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم : الصارم المسلول على شاتم الرسول ، دار بن حزم ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٧هـ) ، ج٢ ، ص٨٠٣ .

٣ــ الحليمي ، أبي عبدالله الحسن بن الحسين : المنهاج في شعب الإيمان ، بتحقيق حلمي فودة ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) ، ج٢ ،ص١٢٤ .

ـــ والتعظيم بالجوارح يكون بالعمل بشريعته و تجريد متابعته ظاهراً و باطناً و السعي في إظهار دينه و نصرته و الذب عنه و صون حرمته [١] .

وليعلم بعد هذا أن أساس تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وقاعدته التي يبنى عليها هي تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله و ما تقتضيه من طاعته فيما أمر و تصديقه فيما أخبر و اجتناب ما عنه نهى و زجر و أن لا يُعبد الله إلا بما شرع و ما تقتضيه كذلك من كونه صلى الله عليه وسلم عبداً لا يُعبد و رسولاً لا يُكذّب و لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع و الضر إلا ما شاء الله [٢]. فمن ضبط هذا الأساس كان تعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم هو التعظيم المشروع و من أخل به أو فقده أوقعه ذلك في التعظيم غير المشروع ، من هنا وجب على المسلم في تعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتنبه إلى أمرين [٣]:

الأول : أن يفرق بين حقوق الله التي لا تصرف إلا له و بين حقوق رسوله صلى الله عليه و سلم .

الثاني : أن يفرّق بين التعظيم المشروع الذي أساسه الاتباع و الاقتداء ، والتعظيم غير المشروع الذي هو خلاف الاتّباع و الاقتداء .

يقول ابن عبد الهادي :

فالتعظيم نوعان :

أحدهما : ما يحبه المعظم و يرضاه و يأمر به و يثني على فاعله ، فهذا هو التعظيم في الحقيقة .

والثاني : ما يكرهه و يبغضه و يذم فاعله ، فهذا ليس بتعظيم ، بل هو غلو مناف للتعظيم ، و لهذا لم يكن الرافضة معظمين لعلي بدعواهم الإلهية و النبوة أو العصمة و نحو ذلك ، و لم يكن النصارى معظمين للمسيح بدعواهم فيه ما ادعوا ، و النبي صلى الله عليه و سلم قد أنكر على من عظمه بما لم يشرعه، فأنكر على معاذ سجوده له ، و هو محض التعظيم [٤] .

١ـــ التميمي : مرجع سابق ، ج٢ ، ص٤٧٠ ـــ٤٧٤ .

٢ـــ العثيمين ، محمد بن صالح : شرح ثلاثة الأصول ، دار الثريا ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) ، ص٧٥ .

٣ـــ عثمان ، عبدالرؤوف : محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٤هـ) ، ص ٨٣ـــ٨٤ .

٤ـــ ابن عبد الهادي ، شمس الدين محمد بن أحمد : الصارم المنكي في الرد على السبكي ، دار الكتب العلمية ،ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٥هـ) ، ص٢٨٨ .

من هنا وجب التفصيل شيئاً ما في معنى الاتباع الذي هو أساس التعظيم المشروع: فالإتباع في اللغة : مصدر اتبع الشئ و تبعه إذا سار في أثره ، و الكلمة تدور معانيها حول التطلب و الاقتفاء و الاقتداء و التأسي [١]. فيكون اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هو : الاقتداء به و التأسي به واقتفاء آثاره في جميع الجوانب اعتقاداً وقولاً و فعلاً إيجاداً و تركاً [٢].

وبالنسبة لأفعال النبي صلى الله عليه وسلم فإنها من حيث الإتباع تنقسم إلى ثلاثة أقسام [٣] :

أولاً : الأفعال الجبلية :

كالقيام و القعود و الشرب و نحو ذلك فهي نوعان من جهة الاتباع :

١ ــ نوع جاء النص ــ الخارج عن الفعل ــ بإيجابه أو ندبه فهذا هو المشروع فيه الاتباع مثل الأكل باليمين ، والنوم على الشق الأيمن .

٢ ــ نوع لم يأت نص يدل على مشروعيته فهذا يبقى على الأصل من حيث الإباحة للجميع مثل الأوصاف التي يُطبع عليها الإنسان كالشهوة إلى الطعام والشراب وهذا النوع محل خلاف من حيث مشروعية الاتباع على جهة الندب على قولين :

أ ــ الاتباع فيه مندوب و كان ابن عمر يفعل مثل ذلك .

ب ــ أنه لا يشرع الاتباع فيه و هذا قول جمهور الصحابة .

ويشار هنا إلى أنه يلحق بالأفعال الجبلية كذلك الأفعال التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم بمقتضى العرف والعادة مثل لبس العمامة و إطالة الشعر فهي لا تدل ــ على الأظهر ــ على غير الإباحة إلا إذا ورد دليل على مشروعيتها .

١ــ ابن منظور : مرجع سابق ، ج٩ ، ص٣٧٥ ــ٣٧٦ .

٢ــ البعداني ، فيصل بن علي : "اتباع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ضوء الوحيين" ، كتاب المنتدى ٣٥ ، "حقوق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الإجلال والإخلال" ، مطابع أضواء البيان ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٢هـ) ، ص ٩٣ــ٩٤ .

٣ــ الآمدي ، أبي الحسن : الإحكام في أصول الأحكام ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، (١٤٠٢هـ) ، ج١ ، ص١٧٣ .

ثانياً : الأفعـــال التي علم أنها من خصائصه صلى الله عليه وسلم فهذه خاصة بالنبي صلـــى الله عليه وسلم لا يشرع لأحد متابعته فيها مثل الزيادة على أربع نسوة ، وجـــوب التهجد ، حرمة الأكل من الصدقة ، يقول الشوكاني :"والحق أنه لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم فيما صرح لنا بأنه خاص به كائناً ما كان إلا بشرع يخصنا " [١].

ثالثاً : الأفعال التعبدية و هي الأفعال المجردة عما سبق و إنما المقصود بها التشريع فـــهذه يطالب فيها المرء بالإتباع و التأسي به صلى الله عليه وسلم فيها ، إلا أن صفتـــها الشرعية تختلف من حيث الإيجاب أو الندب أو الإباحة بحسب القرائن .

وبعد هذا التقسيم لأفعاله صلى الله عليه وسلم من حيث مشروعية الإقتـــداء بـــه فيهـــا و حكمـــه يورد البـــاحث بعض النصـــوص التي جاء فيها الأمر من الله باتباعـــه صلى الله عليه و سلم والتأسي به و الأخذ بما شرعه و منها :

قولـــه سبحـــانـــه :﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران :آية ٣١] وقولـــه ســـبحانه :﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٥٨]

وقوله سبحانه:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : آية٢١]

وأخيراً فإن للإتباع منزلة عظيمة في الشريعة يكفي لبيانها ـــ مع مـــا ســـبق ـــ أن الإتباع شرط لقبول العبادات فلا يقبل عمل من الأعمال التعبدية إلا بالإتباع والموافقة لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يقول النـــبي صلى الله عليه وسلم : " من عمل عمـــلاً ليس عليه أمرنا فهو رد " [٢].

يقول الحسن البصري : " لا يصح القول إلا بعمل ، و لا يصح قول و عمـــل إلا بنية ، و لا يصح قول و عمل و نية إلا بالسنة " [٣].

١ـــ الشوكاني ، محمد بن علي : إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط٢ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : أبي مصعب محمد سعيد البدري ، (١٤١٣هـــ) ، ص ٧٣ .

٢ـــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح١٧١٨ ، ص٧١٤ .

٣ـــ الالكائ ، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق : أحمد سعد الغامدي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ج١ ، ص٥٧ .

ثم ليعلم أن الإتباع لا يتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشرع في ستة أمور هي :

السبب ، والجنس ، والقدر ، والكيفية ، والزمان ، والمكان ، وذلك على النحو التالي [١] :

١ــ السبب : قد تكون العبادة مشروعة مثل قيام الليل ، ولكن السبب غير مشروع مثل إحياء ليلة السابع والعشرين من رجب بدعوى أنها ليلة الإسراء والمعراج ، فيكون إحياء هذه الليلة بالقيام غير مشروع وبدعة من أجل هذا السبب غير المشروع .

٢ــ الجنس : الأضحية عبادة مشروعة وتكون من جنس بهيمة الأنعام ، فلو ضحى إنسان بغزال لم تقبل منه وكان عمله بدعة لأنه خالف الشريعة في الجنس .

٣ــ القدر : صلاة الفجر عبادة مشروعة فلو أراد إنسان أن يزيد فيها ركعة لكان ذلك العمل بدعة مردودة عليه لأنه خالف الشرع في العدد والقدر .

٤ــ الكيفية : الوضوء عبادة من العبادات صفته الشرعية معلومة فلو قام إنسان بتنكيسه لعد ذلك بدعة لمخالفته الكيفية الشرعية .

٥ــ الزمان : بعض العبادات لها زمن مشروع محدد مثل الوقوف بعرفة فلو وقف حاج يوم الثامن بعرفة بدلاً عن اليوم التاسع من ذي الحجة لكان عمله غير مشروع لمخالفته في الزمان المشروع .

٦ــ المكان : هناك عبادات لها أماكن مشروعة محددة ، مثل الاعتكاف مكانه المسجد ، فلو اعتكف شخص في بيته لعد عمله بدعة مردودة ، لمخالفته الشرع في المكان .

فإذا اختل أحد هذه الأمور الستة فيكون العمل غير مشروع ؛ لذا وجب الاعتناء بها ليكون عمل المرء موافقاً للشرع ، محققاً للمتابعة ، مجتنباً للبدعة ولمخالفة .

١ــ العثيمين ، محمد بن صالح : الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع ، دار الوطن ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د.ت) ، ص٢٠ ــ ٢٣ .

التطبيقات التربوية

لم يوجد جيل عرف للنبي صلى الله عليه وسلم مكانته الرفيعة وقام له بما تقتضيه هذه المكانة من جيل الصحابة فقد ضربوا أروع الأمثلة في توقيره ومعرفة قدره ورفعة مكانته صلى الله عليه وسلم وكان لهم في هذا المجال النصيب الأوفى [١] ، ومن أبلغ ما يصور هذا الأمر ما جاء عن عروة بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ حين بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفاوضه في صلح الحديبية فرأى من تعظيم الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم ما رأى فلما رجع إلى قريش وصف ذلك قائلاً : " أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيتُ ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً ، والله إن تنخم نخامةً إلا وقعت في كف رجلٍ منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له " [٢] .

ومما يصور ذلك كذلك ما جاء عن أبي سفيان ــ رضي الله عنه ــ حين بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ليشدّ في عقد صلح الحديبية ويزيد في المدة فحينما رجع إلى مكة قالت له قريش : " ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا والله قد أبى علي وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له " [٣] .

فهاتان صورتان تبينان حال الصحابة وما كانوا عليه من تعظيم وتوقير للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك التوقير والتعظيم المبني على معرفتهم بعلو قدره ورفعة مكانته صلى الله عليه وسلم . فكيف يحقق المسلمون في هذا العصر وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ما حققه الصحابة في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حياته من تطبيق لما

١ــ انظر : التميمي : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ص ٤٤٧ ــ ٤٦١ .

٢ــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢ ، ص ٥٢٢ .

٣ــ ابن كثير ، أبي الفداء اسماعيل : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، ط ٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠١هـ) ، جـ ٤ ، ص ٢٨٢ .

تقتضيه رفعة مكانته صلى الله عليه وسلم وعظيم قدره ؛ لتحقيق ذلك يذكر الباحث طرفاً من المظاهر التطبيقية ليعمل كل مربٍ على تطبيقها في نفسه ومن ثم يربي عليها غيره ممن هو تحته فيربي عليها الأب أبناءه وأهل بيته والمدرس تلاميذه والداعية مدعويه ، ومن هذه الجوانب ما يلي :

١. تجريد متابعته والتأسي به .

يقول سبحانه :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٢١] ؛ يقول ابن كثير : " هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله " [١] ؛ وفي هذا تجريد لمتابعته صلى الله عليه وسلم والتأسي به ظاهراً وباطناً ، " فلا اعتقاد ولا عبادة ، ولا معاملة ولا خلق ولا أدب ولا نظام اجتماعي ولا اقتصادي أو سياسي إلا عن طريقه ، وعلى وفق ما جاء من أحكام وتعاليم " [٢] .

هذا هو حال المسلم الصادق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢. سلوك الأدب معه صلى الله عليه وسلم .

إن من تعظيم المسلم لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يتأدب معه بالأدب الكامل ويتحقق ذلك بأمور منها [٣] :

أ ــ الثناء عليه صلى الله عليه وسلم بما هو أهله والإكثار من ذكره ، وأبلغ ذلك وأفضله : الصلاة والسلام عليه ؛ لأمر الله ــ عز وجل ــ وتوكيده :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب : آية٥٦] ، والصلاة عليه مشروعة في عبادات كثيرة كالتشهد ، والخطبة ، وصلاة الجنازة ، وبعد الأذان ، وعند الدعاء وغيرها من المواطن [٤] .

١ــ ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٤٨٣ .

٢ــ البعداني : مرجع سابق ، ص ١١٦ .

٣ــ انظر : الحسن ، عبداللطيف بن محمد : " محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه " ، كتاب المنتدى ٣٥ ، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بين الإجلال والإخلال ، مطابع أضواء البيان ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٢هـ) ، ص ٧٤ .

٤ــ انظر : ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ، دار العروبة ، ط ٢ ، الكويت ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، (١٤٠٧هـ)، ص ص ٣٢٧ ــ ٤٤٣ .

ب ــ التأدب عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذلك بأن لا يُذكر باسمه مجـــرداً ، بـــل يوصف بالنبوة أو الرسالة فلا يقال : محمد ، ولكن : نبي الله ، أو الرسول ، ونحو ذلك ، ثم يتبع بالصلاة والسلام عليه لقوله صلى الله عليه وسلم : " البخيل ؛ الذي من ذكـوت عنده فلم يصل علي " [١] .

جـ ــ الأدب في مسجـده ، وكـذا عنـد قبره ، وترك اللغط ورفـع الصـوت ، فعـن السـائب بن يزيـد قـال : " كنت قائمـاً في المسجـد ، فحصبني رجـل ، فنظـرت فـإذا عمر بن الخطـاب فقـال : اذهب فائتني بـهـذين ، فجئته بهمـا ، قال : من أنتما ، أو من أين أنتمـا ؟ قالا : من أهـل الطـائف ، قـال : لـو كنتمـا من أهـل البـلـد لأوجعتكمـا ، ترفعـان أصواتكمـا في مسجد رسول الله صلـى الله عليه وسلم " [٢] .

د ــ حفظ حرمـة بلده المدينة النبوية وتعظيمها ،"والمقصـود من تعظيم المدينـة هـو تعظيم حرمها ، وهـذا أمر واجب في حـق من سكـن بهـا أو دخـل فيها ، مـع ما يجب على ساكنيهـا من مراعـاة حق المـجاورة وحسن التأدب فيها ؛ وذلك لما لهـا من المنزلة والمكانة عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم " [٣] .

هـ ــ توقير حديثه ، والتأدب عند سماعه ومدارسته .قال أبو سلمة الخزاعي : " كـان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث ؛ توضأ وضوءه للصلاة ، ولبس أحسن ثيابـه ، ولبس قلنسوة ، ومشط لحيته ! فقيل له في ذلك ، فقال : أوقر به حديـث رسـول الله صلـى الله عليـه وسلـم " [٤] .وقـال ابـن أبي الـزنـاد : كـان سـعيد بن المسيب ــ وهومريض ــ يقول : " أقعدوني ؛ فإني أعظـم أن أُحـدث حديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع " [٥] .

١ــ الترمذي : مرجع سابق ، ح ٣٥٤٦ ، ص ٥٥٧ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ح ٣٥٤٦ ، ص ٤٥٨ .

٢ــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٤٧٠ ، ص ١١١ .

٣ــ التميمي :مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٤٩٣ .

٤ــ الخطيب ، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٧هـ) ، ص ٢١٢ .

٥ــ المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

٣ــ الذب عنه صلى الله عليه وسلم وذلك يقتضي أمور منها :

أ ــ الذب عن شخصه الكريم ضد أعداء الدين من مستشرقين وغيرهم ممن يتكلم في شخصه الكريم ويطعن فيه فإن هذا من أعظم واجباته ومن الزم ما تقتضيه رفعة مكانته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وما سمي الأنصار أنصاراً إلا لنصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الله نصر رسوله والدفاع عنه من علامات الصدق في الدين فكانت من أولى صفات المهاجرين يقول سبحانه :﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [سورة الحشر : آية ٨] .

ب ــ الذب عن سنته ونشرها في العالمين . والذب عن السنة يقتضي أموراً منها : حفظها وتنقيحها ، وحمايتها من انتحال المبطلين وتحريف الضالين وتأويل الجاهلين ، ورد شبهات الزنادقة والعلمانيين وغيرهم من الطاعنين في سنة سيد المرسلين ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبيان أكاذيبهم . ومن الذب عن سنته كذلك : الرد على شبهات المستهزئين بما ثبت من هديه في القول أو الفعل أو الاعتقاد ، كاستهزاء بعضهم بالحجاب ، أوباللحية ، أو بالسواك ونحوها . والاستهزاء بالسنة الصحيحة الثابتة من نواقظ الدين ، يقول رب العالمين :﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [سورة التوبة : آية ٦٥ ــ ٦٦] .

ومن الذب عن سنته نشرها وتبليغها وتعليمها للناس أجمعين فإن في ذلك إعلاءٌ لها ، وإماتة للبدع والضلالات المخالفة لها .

جـ ــ الذب عن زوجاته وآله الطيبين .

إن من الذب عن النبي صلى الله عليه وسلم الذب عن عرضه وعرض زوجاته الطاهرات المطهرات والقيام لهن بحقهن من التعظيم والإجلال ونشر فضائلهن وما قمن به من دور في مؤازرة النبي صلى الله عليه وسلم ونصره في حياته ومن حفظ للدين ونشره

بعد وفاته وتربى على ذلك زوجاتنا وبناتنا ليكون لهن في زوجاته صلى الله عليه وسلم الأسوة والقدوة .

كما أن من الذب عنه صلى الله عليه وسلم الذب عن آله الطيبين فتلك وصاته للناس أجمعين حين قال : " وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي " [١] .

يقول ابن كثير : " ولا نُنكِر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين " [٢] .

د ــ الذب عن صحابته الكرام رضوان الله عليهم وحسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم ، والإمساك عما شجر بينهم من خلاف ، والإضراب عن أخبار المؤرخين ، وجهلة الرواة وضُلال الشيعة والمبتدعين ، القادحة في أحد منهم ، والتماس أحسن التأويلات فيما نقل مما كان بينهم من الفتن وتخريجها أصوب المخارج إذ هم أهل لذلك [٣] فالواجب لهم ذكر فضائلهم ومحبتهم والترضي عنهم والاهتداء بهديهم والاقتداء بسيرتهم وتربية النشء على ذلك .

هذه بعض المظاهر التطبيقية الدالة على رفعة مكانته صلى الله عليه وسلم في نفوس المؤمنين وغيرها كثير ، فعلى كل مسلم صادق أن يحقق ذلك في نفسه ، وعلى كل مربٍ فاضل أن يربي النشء عليها بالوسائل التربوية المختلفة لينشئوا وهم لرسولهم محبين وعلى سنته سائرين ولرفعة مكانته معظمين فإن ذلك من أصول الدين .

١ــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢٤٠٨ ، ص ٩٨٠ .

٢ــ ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، مرجع سابق ، جـ ٤، ص ١٢٢ .

٣ــ اليحصبي ، القاضي أبي الفضل عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٩هـ)، جـ ٢ ، ص ص ٥٢ــ٥٣ .

المحور الثاني : الكفارات في الشريعة

مدخل :

جاءت الشريعة الإسلامية لتزكية النفوس البشرية ، وتخليصها من قيود الذنوب والمعاصي ؛ فنهت عن المحظورات والمعاصي ، وحذرت من الوقوع فيها ، وأنذرت فاعليها بعقوبة الآخرة بصور مختلفة تبعث في نفوس المؤمنين شدة الخوف من الإقدام على شئ منها ، ولكن لما كان الخطأ من طبيعة البشر " كل ابن آدم خطاء " [١]؛ لطف الله بعباده ، وشملهم برحمته ، ففتح لهم أبواباً كثيرة يكون لهم فيها المخرج مما يقعون فيه من الأخطاء من أوسعها باب التوبة " وخير الخطائين التوابون "[٢] ، ومن هذه الأبواب الاستغفار ، ومنها الكفارات .

فالكفارات في الشريعة من الأبواب العظيمة التي تفضّل الله بها على عباده الخاطئين، ليزيل عنهم درن الذنوب والمعاصي ؛ فيصبحوا من عباده الطاهرين ، يقول الحميد في حديثه عن عقوبة الكفارات : "من لطف الله بعباده ورحمته بهم أن جعل لهم عقوبات أدبية تعبدية تعينهم على تكفير ما اقترفوه من ذنوب عظيمة في هذه الحياة .. فشرع سبحانه لبعض الجرائم هذه الكفارات مع العقوبة في بعضها ..والاكتفاء بها وحدها في البعض الآخر "[٣] .

والحديث في هذا المحور سيكون عن المضمون التربوي للكفارات في الشريعة من خلال كفارة الظهار الواردة في السورة موضوع الدراسة . نسأل الله التوفيق والسداد .

١،٢ــ الألباني : "صحيح الترغيب والترهيب" ، مرجع سابق ، ج٣ ، ح٣١٣٩ ، ص ٢١٦ .

٣ــ الحميد ، عبدالله بن سالم : التشريع الجنائي الإسلامي ، طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع ، ط٤، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٣هـ) ، ص ١٢٧ .

يقول تعالى في مطلع سورة المجادلة :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١ــ٤]

ذكر الله ــ سبحانه ــ في هذه الآيات الظهار وحكمه وكفارته ، وقد تقدم في الفصل الثاني[١] بيان سبب نزول هذه الآيات والذي ملخصه :

أن أوس ابن الصامت ظاهر من زوجته بقوله : " أنت عليّ كظهر أمي "،وكان يُعد هذا تحريماً أو طلاقاً للمرأة في الجاهلية ، فهرعت خولة بنت ثعلبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لعلها تجد عنده الحل لِمَا وقع بها ، ولم يكن قد أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الظهار شئاً ، فقال لها لا أراك إلا قد حرمت عليه ، فما زالت تحاوره و تراجعه في ذلك ، وتشتكي إلى الله ما وقع بها حتى أنزل الله هذه الآيات التي بَيّن فيها حكم الظهار و كفارته .

من التوجيهات التربوية للآيات :

١ــ سعة سمعه وبصره ــ سبحانه وتعالى ــ وأنه على الحقيقة ، يقول ابن القيم : " فلا يشك صحيح الفهم البتة في هذا الخطاب أنه نص صريح لا يحتمل التأويل بوجه في إثبات صفة السمع للرب تعالى حقيقة وأنه بنفسه سمع "[٢] . وفي هذا تقول عائشة : " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه

١- انظر : الفصل الثاني ص ١٥ .

٢ــ ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه : يسري السيد محمد ، (د.ت) ، ج٤ ، ٣٩٥ .

وسلم ، وأنا في ناحية من البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها " [١] .

وفي هذا تربية للنفوس على مراقبة الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ في السر والعلن وتقدم بسط هذه المسألة عند الحديث عن معية الله لعباده في الفصل الثالث [٢] .

٢ـــ رعايته الخاصة ـــ سبحانه وتعالى ـــ لعباده المؤمنين وعنايته بهم والتي تتمثل في إجابته لهذه المرأة الفقيرة ـــ خولة بنت ثعلبة ـــ ، يقول السعدي في حديثه عن أحكام هذه الآيات ومنها : " لطف الله بعباده ، واعتناؤه بهم ، حيث ذكر شكوى هذه المرأة المصابة ، وأزالها ، ورفع عنها البلوى ، بل رفع البلوى بحكمه العام عن كل مبتلى بمثل هذه القضية " [٣] .

٣ـــ الرفع من شأن المرأة وحفظ حقوقها و يتمثل ذلك في شرع هذه الأحكام لحفظ كيان الأسرة من أحكام الجاهلية المضطهدة للمرأة والتي منها الظهار [٤] .

٤ـــ إبطال وتحريم الظهار ـــ وهو قول الرجل لزوجته : أنت عليّ كظهر أمي أو غيرها من الألفاظ مما يأخذ حكمها مما فصله الفقهاء في كتبهم ـــ وبيان أنه قائم على غير أصل فإنه من منكر القول وزوره .

٥ـــ بيان كفارة الظهار وهي على الترتيب كما ذكرت في الآيات الإعتاق فالصيام فالإطعام .

٦ـــ الوقوف عند حدود الله والتزام أحكامه والعمل بها من الإيمان ، وتعدي حدوده والعمل على خلاف أحكامه من الكفران .

١- البخاري : مرجع سابق ، تعليقاً بصيغة الجزم باب قوله تعالى : (وكان الله سميعاً بصيراً) [النساء : ١٣٤] ، ص١٤٠٨ ؛ ووصله وصححه : ابن حجر ، أحمد بن علي : تغليق التعليق على صحيح البخاري ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٥هـ ـــ) ، ج٥ ، ص٣٣٨ .

٢ـــ أنظر : الفصل الثالث ص ٤١ .

٣ـــ السعدي : مرجع سابق ، ص ٧٨٤ .

٤ـــ عوض : مرجع سابق ، ص ص٨٤ ـــ ٩٠ .

هذه جملة من التوجيهات التربوية تضمنتها الآيات ، ويمكن بيان المضمون التربوي للكفارات في الشريعة والتي يمثلها في هذه السورة كفارة الظهار على النحو التالي :

أولاً : تعريف الكفارة

التعريف اللغوي :

الكفارة في اللغة : مأخوذة من الكَفْر ومعناه : الستر والتغطية .. و الكافر الليل المظلم ، لأنه يغطي بظلمته كل شيء ، وكل شيء غطى شيئاً فقد كفره . قال ابن السكيت : ومنه سمي الكافر لأنه يستر نعم الله عليه ، والكافر الزرّاع ، لأنه يستر الحب ، وتكفير اليمين فعل ما يجب بالحنث فيها ، والاسم الكفارة [١] . فالكفّارة : بالتشديد : ما كُفِّر به من صدقة وصوم ، ونحوهما ، كأن هذا المُكفِّر غطى ما ارتكبه بهذه الكفارة لأنها تكفر الذنوب أي تسترها [٢] .

تعريف الكفارة في الاصطلاح الشرعي :

يعرف أهل التفسير الكفارة في الاصطلاح الشرعي بمدلولها اللغوي فمن ذلك قول أبو حيان :

" الكفارة الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها " [٣] .

ويقول الألوسي :

" هي الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة وتسترها ، والمراد بالستر المحو لأن الممحو لا يُرى كالمستور " [٤] .

ويعرفها رضا في الاصطلاح الشرعي بأنها :

" اسم لأعمال تكفر الذنوب والمؤاخذات أي تغطيها وتخفيها حتى لا يكون لها أثر يؤاخذ به في الدنيا ولا في الآخرة " [٥] .

١ــ الرازي ، محمد : مرجع سابق ، ص ص٥٧٣ ــ ٣٧٤ .

٢ــ ابن منظور :مرجع سابق ، ج٦ ، ص ص ٤٦٢ ــ ٤٦٤ ؛ الأزهري ، محمد بن أحمد : تهذيب اللغة ، مطابع سجل العرب ، مصر ، القاهرة ، تحقيق : علي حسن هلالي ، (د.ت) ، ج١٠ ، ص٢٠٠ .

٣ــ أبو حيان ، أثير الدين محمد بن يوسف : التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ، دار إحياء التراث العربي ، ط٢ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١١هـ)، ج٤ ، ص١٠.

٤ــ الألوسي : مرجع سابق ، ج٧ ، ص١٠ .

٥ــ رضا ، محمد رشيد : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، دار المعرفة ، ط٢ ، لبنان ، بيروت ،(د.ت) ، ج٧ ، ص٣٦ .

فمن التعريفات السابقة يتضح أن المعنى الاصطلاحي للكفارة عبارة عن المدلول اللغوي لها . ولا يضيق هذا المعنى إلا إذا أردنا بالمعنى الاصطلاحي المعنى الفقهي للكفارة فهنا تظهر بعض الحدود التي تضيق المعنى اللغوي للكفارة ، فهذا النووي يرى أن الكفارة في الاصطلاح الشرعي :

" تستعمل فيما وجد فيه صورة مخالفة أو انتهاك ، وإن لم يكن إثماً كمن قتل خطأً وغيره "[١] . ويعلق المطرفي على هذا التعريف بأن مقصود النووي : بعض ما وجد فيه مخالفة أو انتهاك وليس كل ما فيه مخالفة أو انتهاك فيه كفارة [٢] .

ويعرف أحد الباحثين الكفارة في الاصطلاح الفقهي بقوله : " اسم لأشياء مخصوصة طلبها الشارع عند ارتكاب مخالفات معينة " [٣] .

ثانياً : أنواع الكفارات

من خلال الأخذ بالتعريف اللغوي للكفارة وكذلك ما ذكر من حدود في التعريفات الاصطلاحية وبالنظر في النصوص الشرعية يمكن القول أن الكفارات تتنوع إلى ثلاثة أنواع [٤] :

النوع الأول :

ما يقوم به المسلم من فرائض ونوافل من مختلف أنواع العبادات وقد جاءت النصوص دالة على ذلك ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : " ألا أدلكم على ما يُكفِّر الله به الخطايا ويزيد به في الحسنات ؟ قالوا بلى يا رسول الله ! قال: إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخُطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة " [٥] .

١ــ النووي ، محيي الدين بن شرف : المجموع شرح المهذب ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٦ ، ص ٣٣٣ .

٢ــ المطرفي ، رجا عابد : الكفارات في الفقه الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، شعبة الفقه ، (١٤٠٥هـ) ، ج١ ، ص ٣ .

٣ــ فرج ، محفوظ إبراهيم : بحث مقارن في الكفارة ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الأزهر ، مصر ، القاهرة ، كلية الشريعة والقانون ، (١٣٩١هـ) ، ص٢٣ .

٤ــ انظر : المطرفي : مرجع سابق ، ص٤ .

٥ــ ابن ماجه : مرجع سابق ، ح٤٢٧ ، ص٦٠ ؛ والحديث:حسن صحيح قاله الألباني : "صحيح سنن ابن ماجه" ، مرجع سابق ، ح٣٤٢ ، ص٧٢ .

ـ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات ما بينهنّ إذا اجتنبت الكبائر " [١] .

ـ ومنه كذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " العمرة إلى العمرة تكفر ما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " [٢] .

ـ ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم : "من قال سبحان الله وبحمده في يومٍ مائة مرة حطت خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر" [٣] .

والنصوص في هذا النوع من الكفارات كثيرة جداً كلها تفيد تكفير السيئات وزيادة الدرجات من : طلب العلم ، وحضور مجالسه ، وإطعام الطعام ، ومساعدة المحتاجين والسماحة في البيع والشراء إلى غير ذلك مما يبين أن القيام بالفرائض والنوافل تكفير لما يقع من الإنسان من خطايا وسيئات ، فما أحوج المربين لفقه هذه المسألة والعمل بها وتربية النشء على فقهها والعمل بها لتزكية النفوس وتطهيرها من الذنوب والمعاصي والآثام .

النوع الثاني :

مَا يقع على المؤمن من البلايا والمصائب سواءً كان ذلك في نفسه أو أهله أو ماله وقد دلت على ذلك النصوص فمنها : قوله صلى الله عليه وسلم : " ما من مرض أو وجع يصيب المؤمن إلا كان كفارة لذنبه حتى الشوكة يشاكها أو النكبة ينكبها• " [٤] .

ـ ومنها كذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " ما يصيب المسلم من نصب ولا

١ـ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح٢٣٣ ، ص١٢٢ .

٢ـ الترمذي :مرجع سابق ، ح٩٣٣ ، ص١٧٠ ؛ وصححه الألباني : "صحيح سنن الترمذي" ، مرجع سابق : ج١ ، ح ٩٣٣ ، ص٤٧٨.

٣ـ البخاري : مرجع سابق ، ح٦٤٠٥ ، ص١٢٣٠ .

• النكبة ينكبها : ما يصيب الإنسان من الحوادث ؛ أنظر : ابن الأثير : مرجع سابق ج٥ ، ص١١٣ .

٤ـ ابن حنبل : مرجع سابق ،ج٨ ، ح٢٥٨٥٢ ، ص٣١٢ .

وصب* ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه " [١] .

ـ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة "[٢] .

ـ وكذلك يدخل في هذا الباب إقامة الحدود ، يقول صلى الله عليه وسلم : "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولاتعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارةٌ له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه " [٣] .

وغير هذا من النصوص كثيرة كلها تدل على أن ما يصيب العبد المؤمن من الأمراض والهموم ومختلف المصائب بل حتى الحدود مكفرات لسيئاته ، فما أعظمه من منهج تربوي يشيع في النفس الصبر والرضا فلا تتزعج بما يحل بها من البلايا والمصائب طالت أم قصرت فكل ذلك خير له فعلى كل مرب أن يَلحظ هذا الملحظ فهو من أعظم ما يُعين على الصبر والرضا بالقضاء والقدر .

النوعُ الثالث :

كفارات خاصة ، وهذه الكفارات هي محل بحث الفقهاء حيث تكون في أفعال مخصوصة بخصال محدودة وتشمل : كفارة الظهار ، كفارة الأيمان ، كفارة القتل ، كفارة الوطء في نهار رمضان ، كفارة الوطء في الحيض .

ومن الكفارات التي تذكر في هذا الباب أيضاً ما يتعلق بالمناسك : من ترك نسك أو ارتكاب محظور ، وكذلك منها ما يتعلق بالحرم من قطع شجره واصطياد صيده ومنها ما يتعلق بالصوم من كفارة الحامل والمرضع والهرم وتأخير القضاء .

---

*الوصب : دوام الوجع ولزومه / النصب : التعب ؛ أنظر : ابن الأثير : مرجع سابق ج٥ ، ص١٩٠ .

١ـ البخاري : مرجع سابق ، ح٥٦٤١ ، ٥٦٤٢ ، ص ١١٠٩ .

٢ـ الترمذي : مرجع سابق ، ح٢٣٩٩، ص٣٩٣ ؛ والحديث حسن صحيح قاله : الألباني : "صحيح سنن الترمذي" ، مرجع سابق ، ج٢ ، ح٢٣٩٩ ، ص٥٦٥.

٣ـ البخاري : مرجع سابق ، ح١٨ ، ص٢٧ .

فهذه جملة من الكفارات الخاصة وهي محل بحث الفقهاء . وهي المقصودة إذا أطلق لفظ الكفارات وأريد به المصطلح الفقهي .

والمُلاحَظ أن جهل الناس وخاصة العامة منهم بمسائل الكفارات الفقهية كبير جداً ، فوجب على العلماء وطلبة العلم والدعاة أن يقوموا بواجبهم في مثل هذا الأمر من تبصير الناس بأُمور دينهم بأُسلوب مبسط يفهمه العامة ليتمكنوا من إقامة شرع ربهم على نور وبصيرة ، ويُبين الباحث هنا أربع أنواع من الكفارات الفقهية مما يحتاج إليه الناس في حياتهم وهي :

١ــ كفارة اليمين : إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام . كما قال تعالى :﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ [سورة المائدة : آية٨٩] .

٢ــ كفارة الظهار : عتق رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً . كما قال تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٣ــ٤] .

٣ــ كفارة الجماع في نهار رمضان : نفس كفارة الظهار السابقة : عتق رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً . فعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : " بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجلٌ فقال : يا رسول الله ، هلكت . قال : مالك . قال : وقعت على امرأتي وأنا صائم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تجد رقبةً تعتقها ؟ قال : لا . قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا . فقال : فهل تجد إطعام ستين مسكيناً ؟ قال : لا . قال : فمكث النبي صلى الله عليه وسلم . فبينا نحن على ذلك أُتيَ النبي صلى الله عليه وسلم

بِعَرَقٍ فيها تمرٌ ، والعَرَق المِكتَل ، قال : أين السائل ؟ فقال : أنا . قال : خذها فتصدق به . فقال الرجل : أعلى أفقر مني يا رسول الله ؟ فوالله ما بين لابتيها ، يريد الحرتين ، أهل بيتٍ أفقر من أهل بيتي . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال : أطعمه أهلك [١] .

٤ــ كفارة قتل الخطأ : عتق رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين . كما قال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[سورة النساء:آية ٩٢] [٢].

ثالثاً : الآثار التربوية للكفارات

إن الله ــ سبحانه وتعالى ــ العليم الحكيم ما شرع حكماً من الأحكام إلا لحكمة ، والمتأمل لحكمة تشريع الكفارات يجد لها مجموعة من الآثار التربوية والتي يمكن أن نقسمها إلى قسمين :

١ــ آثار تربوية من الناحية النفسية .

٢ــ آثار تربوية من الناحية الاجتماعية .

الآثار التربوية للكفارات من الناحية النفسية :

الكفارات في التربية الإسلامية لها مدلولها العجيب وآثارها في نفسية المُكفِّر وصلاحه وتظهر الآثار في الأمور التالية :

أ ـ تقويم الغرائز :

لما كانت بعض النفوس البشرية قد يغلب عليها ــ بحكم فطرتها ــ دواعي الشهوة والغضب فتتعدى ما حد الشرع لها ؛ اقتضت حكمة الله ــ سبحانه

١ــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ١٩٣٦ ، ص٣٦٧ ؛ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح١١١١ ، ص ٤٣٠ .

٢ــ أنظر : الجارالله ، عبدالله بن جار الله : إتحاف الأمة بفوائد مهمة ، مكتبة دار السلام ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٢هـ) ، ص٢٧.

وتعالى ــ أن يشرع لهذه النفوس في دار الدنيا ما هو كفيل بتقويمها فكان تشريع الكفارات صدى لما جاءت به الشريعة الإسلامية من تقويم الغرائز الإنسانية في سلوكها [١] .

ب ـ تزكية للنفوس وراحة للقلوب [الجبر] :

إن العبد المؤمن عندما يقع فيما يوجب الكفارة سرعان ما يندم ويشعر أنه قد ارتكب أمراً يثقل كاهله وأحدث زلة تجاه ربه [٢] وهذا ما يصوره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه " [٣] .

وفي هذه الحال لا شيء أحب إليه من شيء يزيل هذا الذنب ويمحوه ليعود طيباً مطمئن القلب ، فكانت الكفارات علاجاً له تبعث فيه الرجاء بعد أن خضع لغرائزه فجاوز حدود الله فلا يستسلم لليأس أو يعيش في هجير من لفح الشعور بالخطيئة [٤] .

ج ـ الزجر والردع :

إن الله ــ سبحانه وتعالى ــ وعد وأوعد ورغب ورهب وأبان طريق الخير وطريق الشر ولكن لما كان الترهيب القولي قد لا يكفي رغم جلال قدره وعظيم تأثيره ، وذلك لأن هناك نفوساً معاندة ، الخراب في عقولهم أعمق من أن تؤثر فيه كلمات ترهيبية ، وهناك نفوس غافلة يتأثرون بالكلمات عند السماع ، فتذرف الدموع ، وتقشعر الجلود، لكن سرعان ما يتبخر أثر تلك الكلمات [٥] كان لا بد من ترهيب عملي لهذه النفوس يزجرها ويردعها وغيرها عن تعدي حدود الله فكان من هذا الترهيب العملي الكفارات زجراً عملياً

١ــ فرج : مرجع سابق ، ص ص٢٥ ــ ٢٦ .

٢ــ عوض : مرجع سابق ، ص١٠١ .

٣ــ البخاري : مرجع سابق ، ح٦٣٠٨ ، ص١٢١٣ .

٤ــ فرج : مرجع سابق ، ص٢٧ .

٥ــ القرضاوي : يوسف : الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، دار وهبة ، مصر ، القاهرة ، " ١٩٧٧ م " ، ص١٧٤ ، ١٧٥ .

للمُكفِّـر ومنعـاً لـه من العـودة إلى ما ارتكبه وردعاً لغيره من التشـبه وسـلوك طريقه[١].

٢ ـ الآثار التربوية للكفارات من الناحية الاجتماعية :

إن الكفارات لها إسهاماتها في بناء المجتمع وإصلاحه وتظهر الآثار التربوية للكفارات من الناحية الاجتماعية من خلال النقاط التالية :

أ ـ المحافظة على النظام الذي تقوم عليه الجماعة :

إن مما أجمعت عليه الشرائع وجوب حفظ الضرورات الخمس ـ الديـن والنفـس والنسل والمال والعقل ـ ومن أجل ذلك فرض سبحانه وتعالى عقوبات مختلفة لحمايـة هذه الضرورات كالحدود والتعزيرات والكفارات .

وبهذا تسهم الكفارات في " المحافظة على النظام الذي تقوم عليه الجماعة ، وحمايـة مصالح الأمة من أن يتهددها مستهزئ وعابث " [٢] .

ب ـ الإسهام في القضاء على مشكلة الرق :

عندما جاء الإسلام كان الرق نظاماً معترفاً به في جميع أرجاء العالم آنذاك " بل كـان عملية اقتصادية واجتماعية لا يستنكرها أحد ، ولا يفكر في إمكان تغييرها أحد ؛ لـذا شرع الإسلام التشريعات لتحرير الأرقاء [٣] ، وكان من هذه التشريعات الكفارات الـتي كان عتق الرقبة يتصدر جميع أنواعها[٤] حيث نجد أن الإسلام أوجب على من حصل منـه القتل الخطأ عتق رقبة مؤمنة ، وخير من حلف وحنث أن يكفر بواحدة من ثلاث ومنـها تحرير رقبة ، وأوجب على من ظاهر من زوجته ثم عاد لها عتق رقبة •، وأمر من ضـرب

١ـ نيـاز ، رقية نصر الله محمد : الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة ، دار اشبيليا ، المملكـة العربيـة السعوديـة ، الريـاض ، (١٤٢٠ هـ) ، ص٩٣ـ١٤٢ .

٢ـ المطرفي : مرجع سابق ، ص٢٨ .

٣ـ قطب ، محمد : شبهات حول الإسلام ، دار الشروق ، ط١٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠١هـ) ، ص٣٦ .

٤ـ الأهدل ، عبدالله أحمد قادري : المسؤلية في الإسلام ، دار العمير ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤١٢هـ) ، ص ص ١٥٨ ـ ١٦٤.

• أنظر أدلة هذه المسائل ص ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

مملوكه فأوجعه أن يعتقه ، وجعل ذلك كفارة له وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه " [١] . فيتبين مما سبق حرص الإسلام على تحرير الإرقاء وكيف ساهمت الكفارات في هذا الجانب ، ويعلق الحميد على هذا الأمر وهو يتحدث عن عقوبة انكفارات فيقول :

ومما يستدعي الانتباه ، ويلفت النظر أن تتصدر جميع هذه العقوبات " عتق الرقبة " .. ولا بدّ من ميزة تمتاز به هذه العقوبة عن غيرها من العقوبات .. والذي يظهر لنا من ذلك ـــ والله أعلم ـــ هو حرص الإسلام الشديد على تحرير الرقاب من قيود الرق و العبودية وخاصة المؤمنين لأنه يشترط في أكثر الكفارات ذلك لكرامة المؤمن وجلال قدره وقيمته على سواه .. فتشريع كفارة العتق ذو شأن عظيم ابتداء من أكبر جريمة وهي القتل إلى أصغر جريمة وهي "الحنث " ... فالإسلام يلمح في هذا المقام إلى أفضلية عتق الرقاب ، وتحرير المماليك ويحث عليه ويرغب فيه وذلك أن الإسلام دين العدالة والمساواة ، وتحرير الإماء ينطوي تحت ذلك لأن في الرق خضوعاً شخصياً .. ولأن الأرقاء مزدرون ممتهنون إذا ظلوا كذلك والإسلام لا يريد أن يبقوا كذلك دائماً .. بل يريد أن يسعدوا في الحياة ، وينطلقوا أحراراً أعزاء مثلهم مثل غيرهم من الأحرار الطلقاء إذ لا فرق بينهم وبين أولئك إلا بالتقوى قال تعالى:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ ، وقال صلى الله عليه وسلم : " لا فرق بين عربي ولا أعجمي ، ولا أسود ولا أحمر إلا بالتقوى " فهدف الإسلام من وراء هذا عميق ، ونظرته دقيقة وذات أهداف سامية نبيلة كعادته في كل تشريعاته الحكيمة [٢] .

وبهذا ساهمت الكفارات في علاج مشكلة الرق أكبر مساهمة وكان لها في ذلك أكبر الأثر .

ج ـ الإسهام في علاج مشكلة الفقر :

إن من أعظم المشاكل الاجتماعية في كل زمان مشكلة الفقر ، ولعلاج هذه المشكلة " سلك الإسلام سبيل التكافل الاجتماعي بين الأسرة وبين الأمة وفي المجتمعات الصغيرة ، وجعل لهذا التكافل منابع وطرقاً عديدة نذكر منها على سبيل الاستشهاد غير محاولين الاستقصاء والاستيعاب ، الزكاة ، وزكاة الفطر ، والنفقات على الأقارب وإحياء الموات والجزية ، والخراج ، والعشور ، والوقف والكفارات" [٣] ،فالكفارات في

١ــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ١٦٥٧ ، ص ٦٨٢ .

٢ــ الحميد : مرجع سابق ، ص١٢٧ .

٣ــ عبدالعال ، عبدالعال أحمد : التكافل الاجتماعي في الإسلام ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، مصر ، القاهرة ، " ١٤١٨ ه " ، ص١١٣ .

الإسلام من طرق التكافل الاجتماعي ذلك لأن الإسلام جعل " كفارة كثير من الذنوب إطعام الفقراء والمساكين أو كسوتهم وفي ذلك نفع لهم وسد للحاجة الطارئة وجبر للخلل الاجتماعي الذي قد يكون بعد جمع الزكاة أو لعدم علم ولي الأمر بحال أولئك الفقراء " [1]، وبهذا تسهم الكفارات في علاج مشكلة الفقر ويكون لها هذا الأثر الاجتماعي العظيم .

١ــ المرجع السابق : ص١٤٤ ؛ وانظر : أبو زهرة ، محمد : التكافل الاجتماعي في الإسلام ، دار الفكر العربي " د . ت " ، ص٩٨ .

التطبيقات التربوية للكفارات

إن الإسلام يتسم بنظرته الواقعية للإنسان ، فالإنسان في نظر الإسلام ليس ملكـاً لا يخطئ ، وكذلك ليس شيطاناً متمرداً لا يطيع ، بل الإنسان في نظر الإسلام كائن عـاقل رفيع كريم ، فيه من أشواق الروح وتطلعاتها ما يرتفع به إلى عليين ، وبالمقابل فيـه مـن رغبات الجسم وأهواء النفس ما يقرنه بالمزخرفين من انشياطين .. فمن طبيعته التسـامي والارتقاء ، ومن طبيعته كذلك السقوط والالتواء ، وقد خُلق هكذا بقضاء الله الكـوني ، وإرادة الله وحكمه الديني جاء منسجماً مع قضائه الكوني ، فما دامت طبيعة البشر قابلـة للوقوع في الذنب والخطأ " كل ابن آدم خطاء " [١] ، فإن الباب لا يوصد أمامـه ، وإن الرحمة لا يطرد عنها لئلا يظل في شقاء دائم وخطيئات يتبع بعضها بعضاً [٢] . بل فتـح أمامه باب تكفير الذنوب عن طريق المكفرات المتنوعة مما سبقت الإشارة إليـه [٣] مـن أنواع المكفرات وهنا يذكر الباحث طرفاً من التطبيقات التربوية لتلك الأنواع مما يعـين المربين على تحقيق المضامين التربوية للكفارات الشرعية فمن الجوانب التطبيقية ما يلي :

١ـ التوبة

لا شك أن التوبة من أعظم المكفرات ومن هنا أمر الله بها جميع عبـاده المؤمنـين بقوله :﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور : آية ٣١] .

وأمر بها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بل كان هو الأنموذج التطبيقي حيـث قال صلى الله عليه وسلم :

" ياأيها الناس ، توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة " [٤] .

فعلى كل مرب أن يوجـه من يربيـه إلى التـوبة باستمـرار بل عليه أن يكـون هـو القـدوة في ذلك كما جـاء في هـذا الـحديث . والتوبة لا تقتصر على أحـدٍ

١ـ سبق تخريجه ، ص ٩٤.

٢ـ العُمري ، أكرم ضياء : التربية الروحيـة والاجتماعية في الإسلام ، دار اشبيليا ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الريـاض ، (١٤١٧هـ) ، ص ٨٠ .

٣ـ أنظر : أنواع المكفرات ، ص ص ٩٨ـ١٠٢.

٤ـ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢٧٠٢ ، ص ١٠٨٣ .

دون أحد أو فئة دون غيرها بل باب التوبة مفتوح أمام الجميع حتى أولئك الذين أسرفوا على أنفسهم بالذنوب والخطايا بل وتشمل حتى من خرج عن دائرة الإيمان وكان من أهل الكفر والعصيان يقول سبحانه : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة الزمر : آية ٥٣]، فإن باب التوبة مفتوح أمام الجميع، نقل الطبري في تفسيره عن علي ابن أبي طالب أنه قال : إن هذه الآية أوسع ما في القرآن من الآيات معنىً ، تسع العباد وتجبرهم وتحيي آمالهم في العودة إلى الله ، ونقل عن ابن مسعود : أنها أكثر آية فرجاً في القرآن [١] .

والتائب موعود بتبديل السيئات حسنات فضلاً من فاطر الأرض والسموات يقول تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الفرقان : آية ٧٠] .

ومما ينبغي على المسلم في هذا الجانب تعجيل التوبة من الذنوب فإن الإنسان قد يفاجئه الموت وهو لم يتب فيتمنى التوبة عندئذ بل ويعلن التوبة فلا تقبل منه ففي الحديث : " إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر " [٢] . الغرغرة : بلوغ الروح الحلقوم عند الموت قال تعالى :﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سورة النساء : آية ١٨].

والتوبة لها شروط ذكرها أهل العلم في كتبهم يقول النووي :

قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب ، فإذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي ، فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية .

والثاني : أن يندم على فعلها .

١ــ الطبري : مرجع سابق ، م١٢ ، جـ ٢٤ ، ص ص ٢٠ــ٢١ .

٢ــ الترمذي : مرجع سابق ، ح ٣٥٣٧ ، ص ٥٥٦ ؛ حسنه الألباني : " صحيح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ح ٣٥٣٧، ص ٤٥٤ .

والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً . فإن فُقِدَ أحد الثلاثة لم تصح توبته .

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة : هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه ، وإن كانت حدّ قذف ونحوه مكّنه منه أو طلب عفوه ، وإن كانت غيبةً استحلّه منها* [١] .

وليعلم بعد هذا أن فتح باب التوبة في الإسلام له أهدافه السامية ومن أعظم أهدافه التربوية هو ربط أتباعه به حتى في حالات ضعفهم وانتكاسهم يبين ذلك العُمري بقوله :

ولا شك أن فتح باب التوبة في الإسلام يحقق هدفاً استراتيجياً مهمّاً هو استمرار ربط الأتباع في حالات ضعفهم وارتكابهم الذنوب والمعاصي أو تمردهم على بعض تعاليمه ، فحتى أولئك الذين بلغ بهم العداء إلى حد شهر السلاح لقتاله أو شهر القلم واللسان ضده أبقى الإسلام باب التوبة مفتوحاً أمامهم ، فرحمة الله وسعت كل شيء ، وبالطبع فإن نتيجة ذلك هو الاستمرار في الاستقطاب للأتباع وعدم اليأس من كسب الخصوم ، ففي لحظة تألق واستبصار ينفذ النور الإلهي إلى القلب فيحييه ، وعندئذ تتحول السكين الموجهة للإسلام للدفاع عنه [٢] .

فليلحظ المربون هذا الأمر فلا ييأسوا من العصاة والمذنبين وليستمروا في طريق التربية مؤملين رحمة رب العالمين .

٢. المحافظة على فرائض العبادات والإكثار من النوافل

إن المحافظة على فرائض العبادات والإكثار من نوافلها باب من أبواب المكفرات ربَّى عليه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله وفعله والنصوص في ذلك أكثر من أن تحصر وقد تقدم بعضها عند ذكر أنواع المكفرات [٣] ونذكر هنا جوانب يظهر فيها التطبيق لهذا الأمر فمن ذلك : ما جاء عن أبي عثمان قال : " كنت مع سلمان رضي الله

---

* هذا إذا لم يترتب على الاستحلال نفسه مفسدة أخرى ، وإلا فالواجب الاكتفاء بالدعاء له . النووي : " رياض الصالحين " ، مرجع سابق ، ص ١١ ، حاشية ١ .

١ــ النووي : " رياض الصالحين " ، مرجع سابق ، ص١١ .

٢ــ العُمري : مرجع سابق ، ص ٨٤ .

٣ــ انظر ص ص٩٨ــ٩٩ .

عنه تحت شجرةٍ ، فأخذ غصناً منها يابساً فهزّه ، حتى تحاتّ ورقُه ، ثم قال : ياأبا عثمان ! ألا تسألني لِمَ أفعلُ هذا ؟ قلت : ولِمَ تفعلُه ؟ قال : هكذا فعل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا معه تحتَ الشجرة ، فأخذ منها غصناً يابساً فهزّه ، حتى تحاتّ ورقُه ، فقال : " يا سلمانُ ! ألا تسألني لِمَ أفعلُ هذا ؟ " قلت : ولِمَ تفعلهُ ؟ قال :" إنّ المسلم إذا توضّأ فأحسنَ الوُضوءَ ، ثم صلّى الصلوات الخمسَ ، تحاتّتْ خطاياه كما تحاتّ هذا الورقُ ، وقال :﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [سورة هود : آية ١١٤] " [1] .

ومن الصور التطبيقية كذلك ما جاء عن معاذ بن جبل قال : " احتبس عنّا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداةٍ عن صلاة الصبح ، حتى كدنا نتراءى عين الشمس ، فخرج سريعاً ، فَثُوّب بالصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجوّز في صلاته ، فلما سلّم ؛ دعا بصوته ، فقال لنا : " على مصافّكم كما أنتم " ، ثم انفتل إلينا ، ثم قال : " أما إني سأُحدّثكم ما حبسني عنكم الغداة ؛ أنّي قمت من الليل ، فتوضأت وصليت ما قُدّرَ لي ، فنعست في صلاتي ، فاستثقلت ؛ فإذا أنا بربّي ــ تبارك وتعالى ــ في أحسن صورةٍ ، فقال : يا محمد ! قلت : لَبّيْكَ ربّ ! قال فيم يختصم الملأ الأعلىٰ ؟ قلت : لا أدري ربّ ! قالها ثلاثاً ــ قال ــ ، فرأيته وضع كفّه بين كتفيّ ، حتى وجدت برد أنامله بين ثدييّ ، فتجلّى لي كل شيء وعرفت ، فقال : يا محمد ! قلت : لَبّيْك ربّ ! قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : في الكفارات ، قال : ما هنّ ؟ قلت : مشي الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء في المكروهات ــ قال ــ ، ثم فيم ؟ قلت : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة بالليل والناس نيام ، قال : سل ، قُلِ : اللهمّ ! إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة قومٍ ؛ فتوفني غير مفتونٍ ، أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عملٍ يقرّب

١ــ الألباني : " صحيح الترغيب والترهيب " ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ح ٣٦٣ ، ص ٢٦٨ .

إلى حبك ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ ؛ إنها حق ؛ فادرسوها ، ثم تَعَلّمُوهَا " [١] .

فهذان الحديثان وغيرهما كثير يبينان كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على المحافظة على الفرائض والإكثار من النوافل وأن ذلك من أعظم المكفرات وفي هذا الأمر منهج تربوي لكل مرب في هذا الجانب .

٣ـ العمل بمقتضى الكفارات الفقهية في مواطنها

تقدم أن من أنواع الكفارات : الكفارات الخاصة في الاصطلاح الفقهي ، وهي كما عرفها أحد الباحثين كما تقدم بأنها : " اسم لأشياء مخصوصة طلبها الشارع عند ارتكاب مخالفات معينة " [٢] ، وتقدم أن هذه الكفارات تشمل أنواع كثيرة في أبواب متعددة [٣] ذكرها الفقهاء في كتبهم ، ومن المؤسف أن الكثير يجهل أحكام هذه الكفارات حتى في بعض الأنواع التي يكثر وقوع المرء فيها ويحتاج إلى معرفة أحكامها مثل : كفارة اليمين فتجد كثير من الناس يظن أن كفارة اليمين على التخيير فله أن يصوم ثلاثة أيام تكفيراً ليمينه بل بعضهم يظن أن صيام ثلاثة أيام هي فقط كفارة اليمين ، لذلك وجب على كل مسلم أن يتفقه في هذه المسائل فهي أمور تعبدية توقيفية ليس للمرء أن يجتهد فيها رأيه ، كما يجب على العلماء وطلبة العلم وأئمة المساجد أن يقوموا بدورهم في مثل هذه الأمور بتبصير الناس وتفقيههم في أمور دينهم عن طريق الخطبة والموعظة والمحاضرة والندوة مستخدمين في ذلك وسائل الإعلام المرئية والمقروءة ليؤدوا هذا الواجب المناط بهم . وعلى رب كل أسرة أن يقوم بتعليم أهل بيته في مثل هذه المسائل التي يحتاجون إليها . وكذلك على المعلم وخاصة معلم التربية الإسلامية أن يكون لديه إلمام بمثل هذه المسائل ليعلمها لتلامذته عند حاجتهم إليها عن طريق الإذاعة المدرسية أو جماعة التوعية الإسلامية أو غيرها من الأنشطة المدرسية .

١ــ الترمذي : مرجع سابق ، ح ٣٢٣٥ ، ص ٥١٤ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ح ٣٢٣٥ ، ص ٣١٨ .

٢ــ فرج : مرجع سابق ، ص ٢٣ .

٣ــ انظر : ص ص١٠٠ــ١٠٢ .

الفصل الخامس

((التوجيهات المُتَضَمَّنَة في الجانب الاجتماعي))

ـ المحور الأول : آداب النجوى .
ـ المحور الثاني : آداب التحية .
ـ المحور الثالث : آداب المجالس .

مدخل :

لقد حرص الإسلام على توجيه أفراده إلى أكمل الآداب وأفضل الأخلاق ، ولم يترك مجالاً من مجالات الحياة دون توجيه وتربية وإرشاد ، وهذا من تمام النعمة ، وكمال الدين الذي ذكره ـ سبحانه وتعالى ـ في قوله :﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة : آية ٣]

فالمسلم في جميع شؤونه ينطلق من خلال آداب شرعية تلقاها من التوجيهات الربانية من كتاب ربه الكريم ، أو سنة سيد المرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي لم يترك خيراً إلا دلنا عليه ، ولم يترك شراً إلا حذرنا منه ، وقبل كل ذلك كان الأنموذج العملي لما جاء في القرآن من آداب حتى قالت عنه عائشة ـ رضي الله عنها ـ للسائل الذي سألها عن خلقه صلى الله عليه وسلم : ألست تقرأ القرآن ؟ فقال لها : بلى : قالت : " فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن " [١]

ومن هنا وجب على المسلم الحرص على أن يكون في جميع أموره متبعاً للآداب الشرعية التي لا تنفك عن جميع أموره عبادات أو معاملات ، إقداماً أو إحجاماً ، حريصاً على الفقه فيها ، وما تستوجبه من حكم شرعي ، فمن الآداب ماهو واجب وآخر على نقيضه محرم ، ومنها ماهو مستحب ويقابله آخر مكروه ، ومنها ماهو مباح .

وعلماء الإسلام لم يتركوا هذا الباب دون تصنيف بل ألفت فيه الرسائل والكتب الكثيرة لعل من أشهرها : كتاب الآداب الشرعية لابن مفلح ، وغذاء الألباب للسفاريني ، وغيرهما من المصنفات .

والباحث في هذا الفصل سوف يقف مع المضامين التربوية لثلاثة آداب من الآداب الاجتماعية مما اشتملت عليه سورة المجادلة ، وهي : آداب النجوى ، آداب التحية ، آداب المجالس . نسأل الله التوفيق والسداد .

١ـ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح٧٤٦ ، ص٢٩٣ .

آداب النجوى

يقول تعـــالى :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٧ــ ١٠]

تتضمن الآيات السابقة الحديث عن ثلاثة أمور :

١ــ معية الله لعباده وتقدم الحديث عنها في المبحث الثاني في الفصل الثالث .

٢ــ مخالفة اليهود والمنافقين لآداب تحية الإسلام وهو موضوع المحـــور الثـــاني في هـــذا الفصل .

٣ــ آداب النجوى وهو المحور الأساس لهذه الآيات الأربع وهو موضوع الحديـــث في هذا المحور .

فهذه الآيات الأربع المحور الأساس لها ــ كما تقدم ــ هو الحديث عن النجـــوى فالآية الأولى تصور وتقرر علم الله الشامل بالمتناجين وما يدور بينهم مثالاً لإحاطة علـــم الله بكل شيء فهي كالتنبيه والتحذير للمتناجين بأمر غير مشـــروع لأن الله يعلـــم مـــا يقولون ومن ثم تبين الآية الثانية ما بدر من المنافقين واليهود في هذا الموضوع وما كـــان يقوم به اليهود من تحريف تحية الإسلام ومن ثم تحذر الآية الثانية المؤمنين من أن يصنعـــوا صنيع اليهود والمنافقين وتأمرهم بأن يكون تناجيهم بالبر والتقوى وتبين الآية الرابعـــة أن النجوى المنهي عنها إنما هي من أمر الشيطان ليحزن الذين آمنوا وأنه ليس له ســـلطان

عليهم وليس بضارهم شيئاً إلا بشـــيء قد كتبه الله ومن ثم على المؤمن أن يفوض أمـــره إلى الله ويتوكل عليه وبذلك ينجلي همه ويذهب حزنه وينشرح صدره[١] .

تعريف النجوى

جاء في اللسان " النجو : السر بين اثنين ، يقال : نجوته نجواً أي ساررته وكذلـــك ناجيته ، والاسم النجوى "[٢] .

النجوى والسر

من أهل التفسير من يسوي بين الكلمتين في المعنى فيفسر النجوى بالسر ويقـــول : كل سرار نجوى ، وبعضهم يفرق بينهما فيقول : النجوى ما يكون في خلـــوة ثلاثـــة أو أكثر يسرون شيئاً يتناجون به ، والسرار ما كان بين اثنين كما جاء عن ابن ســـراقة : " السرار ما كان بين اثنين والنجوى ما كان بين أكثر " [٣] .

أقسام النجوى :

بالنظر في الضوابط الشرعية مما جاء في سورة المجادلة وما يعضده مـــن النصـــوص الشرعية الأخرى فإنه يمكن القول بأن النجوى تنقسم إلى قسمين : نجوى منـــهي عنـــها ونجوى مباحة .

أولاً : النجوى المنهي عنها :

تكون النجوى في دائرة المنهي عنه إذا اشتملت على أمرٍ من الأمور التالية :

١ـ الإثم :

يقول تعالى في صفة اليهود والمنافقين :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ ﴾[سورة المجادلة:آية٨]

ويقول آمراً المؤمنين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ ﴾[سورة المجادلة : آية٩].

١ـــ الراشد : مرجع سابق ، ص١٦١

٢ـــ ابن منظور : مرجع سابق ، ج٢٠ ، ص ١٧٩ .

٣ـــ أبو حيان : مرجع سابق ، جـــ٨ ، ص٢٣٥ ؛ القرطبي : مرجع سابق ، جـــ١٧ ، ص ص ٢٨٩ ـــ ٢٩٠ .

في هاتين الآيتين ينهى الله ــ سبحانه وتعالى ــ عن التناجي بالإثم فيبين في الآية الأولى أنه من صفات اليهود والمنافقين ، وفي الآية الثانية يأمر المؤمنين بمخالفة طريق اليهود والمنافقين في المناجاة فعليهم إذا تناجوا أن يجتنبوا الإثم في نجواهم .

يقول الأصفهاني في بيان معنى الإثم : " الإثم والآثام : اسمٌ للأفعال المبطئة عن الثواب . وجمعه آثام، وقُوبل الإثم بالبر ، فقال صلى الله عليه وسلم :" البر ما اطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك في صدرك " وهذا القول منه حكم البر والإثم لا تفسيرهما " [١] .

وجاء في اللسان " هو أن يعمل مالا يحل له [٢]وفي التنزيل﴿ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف : آية ٣٣] .

ويقول الشوكاني : " ومعنى الإثم ما هو إثم في نفسه كالكذب والظلم " [٣] .

وبهذا يكون الإثم يشمل كل ما حرمه الله ، وكانت مناجاة اليهود والمنافقين إثم لاشتمالها على ما حرم الله [٤] .

٢ـ العدوان :

العدوان هو المحذور الثاني المنهي عنه في المناجاة فهو كذلك من صفات اليهود والمنافقين ﴿ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٨] والمؤمن مأمور بتجنبه ﴿ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٩]

"والعدوان والاعتداء والتعدي : الظلم ، والعادي الظالم ، وأصله من تجاوز الحد في الشيء "[٥] .

فاليهود والمنافقين عدوانهم بتعديهم شرع الله وتعديهم الحق وتحريض بعضهم بعضاً على إيذاء المسلمين ومخالفة تعاليم الدين وما جاء به خاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم[٦] .

١ـ الأصفهاني : مرجع سابق : ص ص ٦٣ــ٦٤ .

٢ــ ابن منظور : مرجع سابق ، جـ١٤ ، ص ٢٧٠ .

٣ــ الشوكاني ، محمد بن علي : فتح القدير ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، جـ٥ ، ص١٨٧ .

٤ــ شلبي ، عبد الجليل : " مع سورة المجادلة " ، الأزهر ، السنة ٦٧ ، الجزء ٧ ، (رجب ١٤١٥هـ) ، ص٨٨١ .

٥ــ ابن منظور : مرجع سابق ، جـ ١٩ ، ص٢٥٩ .

٦ــ شلبي : مرجع سابق ، ص٨٨١

علاقة الإثم بالعدوان

يقول ابن القيم مبيناً العلاقة بين الإثم والعدوان :

وأما " الإثم والعدوان " فهما قرينان ، قال الله تعالى :﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [سورة المائدة : آية ٢] وكل منهما إذا أُفرد تضمن الآخر ، فكل إثم عدوان ، إذ هو فعل ما نهى الله عنه ، أو ترك ما أمر الله به ، فهو عدوان على أمره ونهيه ، و كل عدوان إثمٌ ، فإنه يأثم به صاحبه ، ولكن عند اقترانهما فهما شيئان بحسب متعلقهما ووصفهما .فالإثم ما كان محرم الجنس كالكذب ، والزنا ، وشرب الخمر ، ونحو ذلك . والعدوان ما كان محرم القدر والزيادة .

فالعدوان تعدي ما أبيح منه إلى القدر المحرم والزيادة ، كالاعتداء في أخذ الحق ممن هو عليه ، إما بأن يتعدى على ماله أو بدنه أو عرضه ، فإذا غصبه خشبةً لم يرض عوضها إلا داره ، وإذا أتلف عليه شيئاً أتلف عليه أضعافه ، وإذا قال فيه كلمة قال فيه أضعافها ، فهذا كله عدوان وتعد للعدل .

وهذا العدوان نوعان : عدوانٌ في حق الله ، وعدوانٌ في حق العبد ، كما إذا تعدى ما أباح الله له من الوطء الحلال في الأزواج والمملوكات إلى ما حرم عليه من سواهما ، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ [سورة المؤمنون : آية ٥ ــ ٧] وكذلك تعدى ما أبيح له من زوجته وأمته إلى ما حرم عليه منها ، كوطئها في حيضها أو نفاسها أو في غير موضع الحرث ، أو في إحرام أحدهما، أوصيامه الواجب ، ونحو ذلك [١].

٣ـ معصية الرسول صلى الله عليه وسلم :

من المحاذير الوارد النهي عنها في النجوى اشتمالها على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم فإن هذا الأمر كذلك كان من صفات اليهود والمنافقين . ومما نهى عنه الشرع الحكيم يقول تعالى في اليهود والمنافقين : ﴿ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٨] **ويقول في نهيه للمؤمنين :** ﴿ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ

١ــ ابن القيم : " مدارج السالكين " : مرجع سابق ، جـ١ ، ص٣٦٨ .

وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٩] . "والعصيان خلاف الطاعة ، يقال عصى العبد ربه إذا خالف أمره "[١] . ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم هنا تعني ما كان يدبره اليهود والمنافقين ويتواصون به من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

٤. تناجي اثنين دون الثالث :

يضاف إلى ما سبق من المحاذير المنهي عنها في النجوى من الإثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم أمرٌ رابعٌ وهو تناجي اثنين دون ثالث أو جماعة دون فرد ، وهذا المحذور بينته السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول :" إذا كانوا ثلاثة ، فلا يتناجى اثنان دون الثالث "[٣] . وفي رواية " إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه "[٤] .

والنهي هنا يشمل كل عدد يخلف فرداً واحداً بعيداً عن المناجاة وفي هذا يقول القرطبي : " يستوي في ذلك كل الأعداد ، فلا يتناجى أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف مثلاً ؛ لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكثير أمكن وأوقع ، فيكون بالمنع أولى . وإنما خص الثلاثة بالذكر ؛ لأنه أول عدد يتأتى ذلك المعنى فيه "[٥] .

ويرتفع هذا النهي ويذهب هذا المحظور الوارد في الحديث إذا اختلطوا بالناس حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس ، أجل أن يحزنه "[٦].

ثانياً : النجوى المباحة :

النجوى المباحة هي على الضد من النجوى المنهي عنها لذلك يشترط لإباحة النجوى أن تكون خالية من الأمور المتقدمة في النجوى المنهي عنها وهي : الإثم والعدوان

١ــ ابن منظور : مرجع سابق ، جـ ١٩ ، ص٢٩٧ .

٢ــ شلبي : مرجع سابق ، السنة ٦٧ ، الجزء ٨ ، (شعبان ١٤١٥هـ) ، ص١٠٣٠ .

٣ــ البخاري : مرجع سابق ، ح ٦٢٨٨ ، ص١٢١١ ؛ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٨٣ ، ص ٨٩٩ .

٤ــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٨٤ ، ص٩٠٠ .

٥ــ القرطبي : مرجع سابق ، جـ١٧ ، ص٢٩٥ .

٦ــ البخاري : مرجع سابق ، ح ٦٢٩٠ ، ص ١٢١١ ؛ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٨٤ ، ص٨٩٩ .

ومعصية الرسول وتناجي اثنين دون الثالث وأن يكون موضوعها البر والتقوى كما قال سبحانه :

﴿ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٩] .

فبينت الآية الكريمة ما يجب أن تكون عليه نجوى المؤمنين ألا وهو البر والتقوى ، فما هو البر ؟ وما هي التقوى ؟

البر : جاء في مفردات ألفاظ القرآن في بيان معنى البر أنه " التوسع في فعل الخير " [١] .

يقول السعدي : " البر اسم جامع لكل خير وطاعة ، وقيام بحق الله وحق عباده " [٢] .

أمَّا التقوى فيقول ابن رجب في جامع العلوم والحكم : " وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه " [٣] .

ويقول السعدي : " والتقوى اسم جامع لترك جميع المحارم والمآثم " [٤] .

فبهذا يجب أن تكون نجوى المؤمن في خير وطاعة وتؤدي إلى خير وطاعة .

من الآثار التربوية للنجوى

الحديث والكلام وسيلة للتنفيس عن مكنونات النفوس ، فكثيراً ما تحمل الصدور أكداساً من الشجون ، لا يخفف عبئها غير البث والنجوى من هنا كانت أحاديث النلس ونجواهم في مجتمعاتهم عامة كانت أو خاصة ضرورة نفسية بل علاجاً شافياً ؛ حيث يتم عن طريقها التفريغ الانفعالي ، وعن طريقها يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعن طريقها يؤمر بالصدقة ــ صدقة المال للمحتاجين من فقراء ومساكين وصدقة العلم لطلابه ولعامة المسلمين ــ وعن طريقها يتم الإصلاح بين الناس في الأنفس والأموال

١ــ الأصفهاني : مرجع سابق ، ص١١٤ .

٢ــ السعدي : مرجع سابق ، ص٧٨٥ .

٣ــ ابن رجب : مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

٤ــ السعدي : مرجع سابق ، ص٧٨٥ .

والأديان ، كل ذلك يتم إذا اتجهت النجوى في مسارها الصحيح حسب الضوابط الشرعية التي بينها لنا الشارع الحكيم .

أما إذا عدلت المناجاة عن طريقها السديد ولم تتقيد بالضوابط الخلقية والشرعية فإنه يقع بذلك الانحراف عن تحقيق هدفها ويحصل بذلك المحظور مما يشتمل على مفاسد وأضرار[١] من إثم كالكذب والغيبة والزور والبهتان ، وعدوان كالظلم والتعدي على الآخرين .

التطبيقات التربوية :

إن التطبيق التربوي للمضمون التربوي للنجوى يتمثل في الأخذ بالضوابط المذكورة في النجوى المباحة والابتعاد عن الأمور المنهي عنها في النجوى ، ويذكر الباحث صورة من كتاب الله الكريم يظهر فيها هذا الأمر جلياً ويتبين لكل مربٍ كيف يمكنه أن يُفعل النجوى لتكون في دائرة المباح خارجة عن دائرة المحرم وهذه الصورة هي ما جاء في قوله تعالى :﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة النساء : آية١١٤] ، ففي هذه الآية يبين الله أن نجوى كثير من الناس لا خير فيها فهي إما لا فائدة فيها كفضول الكلام المباح .وإما شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه من غيبة ونميمة وزور وبهتان إلى غير ذلك من الكلام المحرم . ثم استثنى تعالى من النجوى المنهي عنها الأمر بالصدقة فقال :﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾ والصدقة هنا عامة تشمل المال ، والعلم ، وأي نفع كان . بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة كالتسبيح ، والتحميد ، ونحوه . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة "[٢] الحديث.

١ــ البيومي ، محمد رجب : " التناجي في سورة المجادلة " ، التضامن الإسلامي ، السنة ٤٦ ، الجزء ٣ ، (رمضان ١٤١١هـ) ، ص ص ١٧ ــ ٢٠ .

٢ــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ١٠٠٦ ، ص ٢٨٩ .

وكذلك استثنى سبحانه الأمر بالمعروف ﴿ أَوۡ مَعۡرُوفٍ ﴾ والمعروف هنا يشمل كل إحسان وطاعة ، وكذلك يشمل النهي عن المنكر ؛ وذلك أنه إذا أُطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر ؛ وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف . وأيضاً لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر .

وكذلك استثنى سبحانه الإصلاح بين الناس ﴿ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ والإصلاح هنا يشمل الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض بل وفي الأديان ، كما قال تعالى :﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٠٣] . وقال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ [سورة الحجرات : آية ٩] . وقال تعالى :﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ ﴾[سورة النساء : آية ١٢٨]. والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة ،والصيام، والصدقة . والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله . كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ، ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ . فهذه المستثنيات من الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس حيثما فعلت فهي خير كما دل على ذلك الاستثناء [١] .

وبعد عرض هذه الصورة المضيئة من كتاب الله وجب التنبيه على القائمين على الأسرة والمدرسة ومؤسسات المجتمع المختلفة بتطبيق هذه الضوابط والأخذ بها :

ففي الأسرة :

وجب على القائمين عليها من أب وأم أن تكون نجواهم مع أفراد أسرهم وأولادهم وفق الضوابط الشرعية المذكورة آنفاً ، بعيدة عما حرمه الله من إثم أو عدوان وأن يربوا على ذلك جميع أفراد الأسرة .

١ــ السعدي : مرجع السابق ، ص١٦٥ .

وفي المدرسة :

يجب على القائمين عليها من إدارة ومعلمين أن يربوا الناشئة على ما مر ذكره من ضوابط تجعل النجوى في دائرة المباح خارجة عن دائرة المحرم مستخدمين في ذلك مختلف الوسائل والأساليب من إذاعة ومطوية ومجلة ومحاضرة وندوة ، وقبل ذلك كله أن يكونوا هم قدوة حسنة لتلاميذهم في هذا الجانب .

وفي المجتمع :

يجب على جميع مؤسساته المختلفة من مسجد وإعلام وناد أن ينشروا هذه الآداب بين أفراد المجتمع بالوسائل المختلفة ، فالمسجد عن طرق الخطبة والمحاضرة والندوة والدرس ، والإعلام بالبرامج المباشرة والمفتوحة من ندوات وغيرها والنوادي بالدورات والمسابقات إلى غير ذلك .

آداب التحية

يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٨] .

جاء في بيان سبب نزول هذه الآية ما روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ إذ تقول[١]: " أتى النبي صلى الله عليه وسلم أناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم ، قال : وعليكم ، قالت عائشة : قلت بل عليكم السام والذّام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة لا تكوني فاحشة ، فقالت : ما سمعت ما قالوا ؟! فقال : أو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا ؟ قلت وعليكم . وفي رواية ففطنت بهم عائشة فسبتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش والتفحش وزاد فأنزل الله عز وجل﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ إلى آخر الآية [٢] .

فيتبين من هذه الرواية في سبب النزول مخالفة اليهود ـ عليهم لعنة الله ـ لآداب التحية مع سيد الأولين والآخرين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية : " حيوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية "[٣] .

فما هي التحية التي شرعها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ولعباده المؤمنين . وما أحكامها وما آدابها ؟

تعريف التحية :

تطلق التحية ويراد بها عدة معاني يقول الزاوي : " والتحية السلام والبقاء والملك "[٤]

١ـ الواحدي ، علي بن أحمد : أسباب نزول القرآن ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط٢ ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، (١٤٠٤هـ) ، ص٤٣٦ .

٢ـ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٦٥ ، ص ٨٩٤ .

٣ـ الطبري : مرجع سابق ، م ١٤ ، جـ ٢٨ ، ص١٩ .

٤ـ الزاوي ، مرجع سابق ، ص١٦٥ .

والذي عليه مدار البحث في هذا المحور من معنى التحية هو السلام وهو ما نقله ابن منظور عن ابن الهيثم في اللسان إذ يقول : "وروى عن ابن الهيثم أنه يقول : التحية في كلام العرب ما يحيّي بعضهم بعضاً إذا تلاقوا . قال : وتحية الله التي جعلها في الدنيا والآخرة لمؤمني عباده إذا تلاقوا ودعا بعضهم لبعض بأجمع الدعاء أن يقولوا : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قال الله عز وجل﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٤٤]، وقال في تحية الدنيا﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [سورة النساء : آية ٨٦] "[١] .

إذاً فالمقصود بالتحية " السلام ، الاسم من التسليم "[٢] وهو مرادف للتحية بالمعنى الذي أراده الباحث ، جاء في اللسان " وقال أبو الهيثم : السلام والتحية معناهما واحد ومعناهما السلامة من جميع الآفات "[٣] .

فالخلاصة أن المراد من التحية في هذا المحور هو السلام من التسليم وهو قول المسلم : " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " .

حكم التحية " السلام " :

١ـ ابتداء السلام :

يقول ابن مفلح : " السلام سنة عين من المنفرد وسنة على الكفاية من الجماعة ، والأفضل السلام من جميعهم ولا يجب إجماعاً ، نقله ابن عبد البر وغيره "[٤] . وهذا القول الذي قال به ابن مفلح هو قول عامة أهل العلم تقريباً .[٥]

١ــ ابن منظور : مرجع سابق ، جـ١٨ ، ص٢٣٧ .

٢ــ الرازي ، محمد : مرجع سابق ، ص٣١١ .

٣ــ ابن منظور : مرجع سابق ، جـ١٥ ، ص١٨١ .

٤ــ ابن مفلح ، عبدالله محمد : الآداب الشرعية ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : شعيب الأرنووط وعمر القيام ، (١٤١٩هـ) ، جـ١ ، ص٣٥١ .

٥ــ الفالح ، مساعد قاسم : فتح السلام في أحكام السلام ، مكتبة العبيكان ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٦هـ) ، ص ص ٢٩ ــ ٣٢ .

٢ـ رد السلام :

أـــ إذا كان المسلَّم عليه فرداً تعين عليه الرد [١] وفي ذلك يقول البهوتي : " ورده فرض عين على المسلَّم عليه المنفرد "[٢] .

ب ـــ أما إذا كان المسلم عليه جماعة فهل هو فرض على الكفاية فيكفي الرد من أحدهم لإسقاط الوجوب ؟ أم فرض عين ؟ خلاف بين أهل العلم مع اتفاقهم على أفضلية الرد من الجميع . والجمهور على أن الرد فرض كفاية [٣] . وقول الجمهور هو الراجح ودليل ذلك ما جاء عن علي ابن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ قال : " يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم " [٤] .

فضل تحية الإسلام وأثرها التربوي

جاءت النصوص الشرعية تحث على تحية الإسلام وتبين فضلها وأثرها التربوي ومن تلك النصوص :

ـــ ما رواه عبدالله بن عمرو ـــ رضي الله عنهما ـــ أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الإسلام خير ؟ قال : " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف "[٥] .

ـــ ومنها ما رواه أبو هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم "[٦] .

١ـــ المرجع السابق ، ص٣٧ .

٢ـــ البهوتي ، منصور بن يونس إدريس : كشاف القناع عن متن الإقناع ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٢هـ) ، جـ٢ ، ص١٥٢ .

٣ـــ الفالح : مرجع سابق ، ص٣٩

٤ـــ أبو داوود ، مرجع سابق، ح ٥٢١٠ ، ص ٥٦٠ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داوود " ، مرجع سابق ، ح ٤٣٤٢ ، ص٩٧٨ .

٥ـــ البخاري : مرجع سابق ، ح ٢٨ ، ص ٢٩ ؛ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٣٩ ، ص ٤٩ .

٦ـــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٥٤ ، ص ٥٣ .

ـــ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم :" إن السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه الله في الأرض فأفشوا السلام بينكم " [١] .

ـــ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : "حق المسلم على المسلم ست . قيل ما هن يا رسول الله ؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه " [٢] .

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تحث على تحية الإسلام ـــ السلام ـــ وتبين فضلها وأثرها التربوي . فالسلام من الأمور التي تجلب المحبة ، وتنشر المودة بين الناس : فكم دُفِع من شرٍ بسبب السلام ، وكم حل من خيرٍ وبركةٍ بسبب السلام ، وكم وصلت من رحمٍ بسبب السلام ، وفي المقابل : كم حل من نكدٍ وبلاءٍ وبؤسٍ وشقاءٍ وقطيعة رحمٍ وإدبارٍ وتنافرٍ بسبب ترك السلام ![٣] من هنا كان حري بكل مسلم الحرص على إفشاء هذا الشعار العظيم تحية الإسلام "السلام" .

كيفية السلام ومراتبه :

جاء النص بأن السلام على ثلاثة مراتب : أعلاها وأكملها وأفضلها " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " ، ثم يليها " السلام عليكم ورحمة الله " ثم يليها " السلام عليكم " .

والأصل في ذلك ما رواه أبو هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ أن رجلاً مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلس فقال : السلام عليكم ، فقال : " عشر حسنات " . فمر رجل آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فقال : "عشرون حسنة " فمر رجل آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال : " ثلاثون حسنة "[٤] .

١ـــ البخاري ، محمد بن اسماعيل : الأدب المفرد ، دار مكتبة الحياة ، لبنان ، بيروت ، (١٩٨٠ م) ، ص١٩٨ ؛ وحسنه الألباني ،محمد ناصر الدين : صحيح الأدب المفرد ، مكتبة الدليل ، ط ٤ ، المملكة العربية السعودية ، الجبيل ، (١٤١٨هـ) ، ح٧٦٠ ، ص٣٨٠ .

٢ـــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح٢١٦٢ ، ص٨٩٣ .

٣ـــ العدوي ، مصطفى : فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين ، دار ابن رجب ، ط١ ، (١٤١٨هـ) ، ص ص ٥٣ـــ٥٧ .

٤ـــ البخاري : "الأدب المفرد" ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ ؛ وصححه الألباني : " صحيح الأدب المفرد " ، مرجع سابق، ح ٩٨٦ ، ص ٣٧٨ .

هذا في صفة إلقاء السلام وابتدائه أما صفة الرد فإنها تكون بمثل السلام أو بأحسن منه [١] وذلك لما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [سورة النساء : آية ٨٦]

فإذا اقتصر المسلم على قوله " السلام عليكم " رد عليه بـ " وعليكم السلام " أو زيد على ذلك " ورحمة الله " وكذا إذا قال " السلام عليكم ورحمة الله " فيرد عليه بـ"وعليكم السلام ورحمة الله " أو يزاد عليها " وبركاته " فإذا جاء بالسلام الأكمل "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " فإنه يرد عليه بـ " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته " ولا يزاد على بركاته هذا ما عليه جمهور الفقهاء أن السلام ينتهي عند بركاته ابتداءً وأداءً ولا تستحب الزيادة على ذلك[٢] ، يقول ابن عبد البر : " قال ابن عباس وابن عمر : انتهى السلام إلى البركة ، كما ذكر الله عز وجل عن صالح عباده﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ ﴾ [سورة هود : آية ٧٣] ، وكانا يكرهان أن يزيد أحد في السلام على قوله : وبركاته[٣] .

ويبين ابن القيم ـ عليه رحمة الله ـ الحكمة في نهاية السلام عند البركة وعدم شرعية الزيادة عليها فيقول :

" كمالُ التحية عند ذكر البركات إذ قد استوعبت هذه الألفاظ الثلاثة جميع المطالب من رفع الشر وحصول الخير وثباته وكثرته ودوامه فلا معنى للزيادة عليها ، ولهذا جاء في الأثر المعروف : " انتهى السلام إلى وبركاته " [٤] .

١ـ الشلهوب ، فؤاد بن عبد العزيز : كتاب الآداب ، دار القاسم ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠هـ) ، ص ٤١ .

٢ـ الفالح : مرجع سابق ، ص ص ٦٣ ـ ٨١ .

٣ـ ابن عبد البر : " التمهيد " ، مرجع سابق ، جـ ٥ ، ص ٢٩٣ .

٤ـ ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب : بدائع الفوائد ، مكتبة نزار مصطفى الباز ،ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٤١٦هـ) ، جـ ٢ ، ص ٤٠٦ .

من آداب التحية :

١ـ أن تكون بالصيغة المشروعة وقبل الكلام :

إن الصيغة المشروعة للتحية ـــ كما تقدم ـــ هي لفظ " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " لذا وجب على المسلم أن يتقيد بها ومن هنا نهى النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من خالفها فعن جابر بن سليم الهجيمي ـــ رضي الله عنه ـــ أنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت عليك السلام . فقال : " لا تقل عليك السلام ، ولكن قل : السلام عليك "[١] .

كما ينبغي للمسلم أن تكون تحيته بالسلام قبل كل كلام وكل ترحيب فإذا حيا بتحية الإسلام فله أن ير حب بعد ذلك بما شاء من الترحيب الجائز . يقول النووي : " السنة أن المسلم يبدأ بالسلام قبل كل كلام ، والأحاديث الصحيحة وعمل سلف الأمة وخلفها على وفق ذلك مشهورة ، فهذا هو المعتمد في دليل الفصل "[٢] .

٢ـ الجهر بالتحية " السلام " أداءً ورداً :

لقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يرفع صوته بالسلام وكذلك رده[٣] . ومن هنا قال جمهور العلماء بسنية الجهر بالسلام ابتداءً مع وجوب الجهر رداً[٤] ويستثنى من سنية الجهر بالسلام ما إذا كان السلام على أيقاظ عندهم نيام فيسن في هذه الحال خفض الصوت بحيث يُسمِع اليقظان ولا يُوقظ النائم وقد جاء ذلك في هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول المقداد بن الأسود حاكياً عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في سلامه في الليل " فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً ، ويسمع اليقظان " [٥] .

١ـ الترمذي : مرجع سابق ، ح ٢٧٢٢ ، ص ٤٣٩ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ح ٢٧٢٢ ، ص ٨٨ .

٢ـ النووي ، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف : الأذكار النووية ، دار الفكر ، ط ١ ، سوريا ، دمشق ، تحقيق : أحمد راتب حموش ، (١٤٠٣هـ) ، ص٣٦٥ .

٣ـ ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : زاد المعاد في هدى خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٤ ، لبنان ، بيروت ، حققه : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، (١٤١٠هـ) ، جـ ٢ ، ص ٤١٩ .

٤ـ الفالح ، مرجع سابق ، ص٨٩ .

٥ـ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢٠٥٥ ، ص ٨٥١ .

٣. تكرار السلام ثلاثاً :

ويكون ذلك إذا كان الجمع كثيراً أو شك في سماع المُسلّم عليه فعن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم سلم ثلاثاً ، وإذا تكلم أعادها ثلاثاً "[١] . قال النووي : " وهذا محمول على ما إذا كان الجمع كثيراً " [٢]

ويضيف ابن حجر : " وكذا لو سلم وظن أنه لم يُسمع فتسن الإعادة فيعيد مرة ثانية وثالثة ولا يزيد على الثالثة " [٣] .

ومما يدخل في مشروعية تكرار السلام ولكن بدون قيد الثلاث إذا سلم على إنسان ثم لقيه من قرب بمعنى إذا تكرر اللقاء وذلك مثل ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه ، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه أيضاً " [٤] .

٤. التعميم :

إن تعميم التحية وعدم قصرها على المعرفة من الآداب التي جاء بها الشرع وحث عليها ، وهو ما يقتضيه قوله صلى الله عليه وسلم : " افشوا السلام " [٥] وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " [٦] إلى غير ذلك من النصوص بل جاءت النصوص تبين أن السلام على المعرفة فقط هو من أشراط الساعة كما جاء في الحديث " إن من أشراط الساعة إذا كانت التحية على المعرفة " [٧] ومن حكم مشروعية تعميم السلام وعدم تخصيصه " ليكون المؤمنون كلهم أخوة فلا يستوحش أحد من أحد ، ومن التخصيص ما قد يوقع في الاستيحاش " [٨] .

١ــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٦٢٤٤ ، ص ١٢٠٢ .

٢ــ النووي ، محي الدين بن شرف ، رياض الصالحين ، دار الجيل ، لبنان ، بيروت (د . ت) ، ص ٢٩٠ .

٣ــ ابن حجر ، أحمد بن علي: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، جـ ١١ ، ص ٢٩ .

٤ــ ابو داوود : مرجع سابق ، ح ٥٢٠٠ ، ص ٥٥٩ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داوود " ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ح ٤٣٣١ ، ص ٩٧٦ .

٥ــ تقدم تخريجه ص ١٢٥ .

٦ــ تقدم تخريجه ص ١٢٥ .

٧ــ ابن حنبل : مرجع سابق ، جـ٢ ، ح ٣٦٦٤ ، ص ٣٦ ؛ وصححه الألباني : " السلسلة الصحيحة " ، مرجع سابق، جـ ٢ ، ح ٦٤٨ ، ص ٢٤٨ .

٨ــ ابن حجر : " فتح الباري " ، مرجع سابق ، جـ ١١ ، ص ٢٣ .

ويجب التنبيه على أن : تعميم السلام يكون على المسلمين فقط أما الكفار من أهل الكتاب وغيرهم فإنهم لا يُبدأون بالسلام يقول صلى الله عليه وسلم : " لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام " [١] وأما إذا دعت الحاجة إلى بدئهم بالتحية لمصلحة فإنه يكون بغير السلام ، كصباح الخير ونحوها يقول ابن مفلح : قال شيخ الإسلام : " إن خاطبه بكلام غير السلام مما يؤنسه به فلا بأس بذلك " [٢] وهذا الحكم فيما إذا كانوا ــ أي الكفار ــ وحدهم أما إذا كان هناك خليط من المسلمين ومعهم كفار فيسلم على المجموعة بنية السلام على المسلمين يقول النووي :

" إذا مر واحد على جماعة فيهم مسلمون ، أو مسلم وكفار ، فالسنة أن يسلم عليهم ويقصد المسلمين أو المسلم " [٣] .

هذا في ابتدائهم بالتحية أما الرد عليهم إذا سلموا علينا فيكون بما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نرد عليهم بقولنا : وعليكم أو عليكم كما جاءت بذلك الروايات يقول البهوتي : " وإن سلم أحدهم ــ أي : أهل الذمة ــ لزم رده فيقال له : " وعليكم " أو " عليكم " بلا واو ، وبالواو أولى لكثرة الأخبار"[٤].

٥ـ سلام الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير ، والصغير على الكبير :

ويدل على هذا الأدب قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير "[٥] وفي رواية : " ويسلم الصغير على الكبير ، والمار على القاعد ، والقليل على الكثير "[٦]

١ــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٦٧ ، ص ٨٩٤ .

٢ــ ابن مفلح : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٣٩١ .

٣ــ النووي : " الأذكار النووية " ، مرجع سابق ، ص ٣٧١ .

٤ــ البهوتي : مرجع سابق ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ .

٥ــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٦٢٣٢ ، ص ١٢٠٠ ؛ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٦٠ ، ص٨٩٢ .

٦ــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٦٢٣١ ، ص ١٢٠٠ .

هذا في حال التلاقي ، أما في حال القدوم فلا ينظر إلى كبر أو صغر ولا كثرة ولا قلة بل السنة أن يسلم القادم على كل حال يقول النووي : " أما إذا ورد على قعود أو قاعد ، فإن الوارد يبدأ بالسلام على كل حال ، سواء كان صغيراً أو كبيراً ، قليلاً أو كثيراً "[١] .

٦ـ السلام عند المفارقة :

السلام سنة عند الانصراف كما هو سنة عند اللقاء ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة "[٢] .

٧ـ السلام عند دخول المنزل :

يبين النبي صلى الله عليه وسلم فضل هذا الأدب بقوله : " ثلاثة كلهم ضامن على الله إن عاش كُفي ، وإن مات دخل الجنة : من دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل . ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله . ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله "[٣] .

٨ـ السلام عند دخول المكان الخالي :

روى البخاري في الأدب المفرد عن عبدالله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أنه قال : " إذا دخل البيت غير المسكون فليقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين "[٤] .

١ــ النووي : " الأذكار النووية " ، مرجع سابق ، ص ٣٧٤ .

٢ــ الترمذي : مرجع سابق ، ح ٢٧٠٦ ، ص ٤٣٧ ؛ والحديث : حسن صحيح قاله الألباني : " صحيح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ح ٢٧٠٦ ، ج٣ ، ص ٨٢ .

٣ــ البخاري : " الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ ؛ وصححه الألباني : " صحيح الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، ح ١٠٩٤ ، ص ٤٢٢ .

٤ــ البخاري : " الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، ص ٢١٠ ؛ وحسن إسناده الألباني : " صحيح الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، ح١٠٥٥ ، ص ٤٠٧ .

٩ـ السلام بالإشارة لعذر :

ورد النهي عن السلام بالإشارة في قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تسلموا تسليم اليهود فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف "[١] وهذا النهي مخصوص بمن قدر على اللفظ حساً أو شرعاً أما إذا كان هناك عذر من السلام على بعيد أو أصم ونحوه فإنه يقرن بين التلفظ والإشارة ، يقول الحافظ ابن حجر : " والنهي عن السلام بالإشارة مخصوص بمن قدر على اللفظ حساً وشرعاً . وإلا فهي مشروعة لمن يكون في شغل يمنعه من التلفظ بجواب السلام كالمصلي . والبعيد والأخرس ، وكذا السلام على الأصم "[٢] وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سلم إشارة محمول على أنه جمع بين اللفظ والإشارة[٣] .

١٠ـ السلام على الصبيان :

ويدل على هذا الأدب ما رواه أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ : " أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله " [٤] .

١١ـ رد المُسلَّم عليه السلام على من حَمَلَ إليه السلام ومن حمَّلَهُ السلام :

هذا الأدب قد جاءت به السنة ففي الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبي يقرئك السلام ، فقال : " عليك وعلى أبيك السلام "[٥] .

١٢ـ المصافحة :

المصافحة سنة عند التلاقي وهي من قرائن السلام يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلمَين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يتفرقا "[٦] .

١ــ ابن حجر : " فتح الباري " ، مرجع سابق ، جـ ١١ ، ص ٢١ .

٢ــ المرجع السابق ، جـ ١١ ، ص ٢١ .

٣ــ النووي : " الأذكار النووية " ، مرجع سابق ، ص ٣٥٩ .

٤ــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٦٢٤٧ ، ص ١٢٠٣ ؛ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٦٨ ، ص٨٩٤ .

٥ــ أبو داوود : مرجع سابق ، ح ٥٢٣١ ، ص ٥٦١ ؛ وحسنه الألباني : " صحيح سنن أبي داوود " ، مرجع سابق ، ح ٤٣٥٨ ، ص ٩٨٢ .

٦ــ أبو داوود : مرجع سابق ، ح ٥٢١٢ ، ص ٥٦٠ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داوود " ، مرجع سابق ، ح ٤٣٤٣ ، ص ٩٧٩ .

١٣. البشاشة وطلاقة الوجه :

إن البشاشة وطلاقة الوجه والإبتسامة عند التحية من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم ، يقول صلى الله عليه وسلم : " لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق "[١] .

التطبيقات التربوية :

إن التطبيقات التربوية لآداب التحية تتمثل في الأخذ بهذه الآداب

ففي الأسرة :

يكون الوالدان قدوة لأولادهما فإذا دخلا عليهم سلموا وإذا انصرفوا عنهم سلموا ، وإذا دخل الصغير ولم يسلم نبه إلى ذلك كما عليهما أن يعلما أولادهما آداب التحية عند الحضور إلى المجالس وعند الإنصراف عنها من إلقاء السلام والمصافحة والبشاشة وغيرها من الآداب مما تقدم ذكره في ثنايا هذا البحث .

في المدرسة :

كذلك على المعلم في المدرسة أن يكون قدوة لتلاميذه في الأخذ بآداب السلام من ابتدائهم بالسلام عند الدخول والسلام عليهم عند الانصراف مع البشاشة وطلاقة الوجه كما عليه أن يغرس ذلك في نفوس تلاميذه بتعليم وتعويد من لا يواظب على السلام عند الدخول والانصراف كما ينبغي أن تقوم الأنشطة المدرسية بالمساهمة في ذلك من خلال الإذاعة المدرسية والمطويات والمجلات التي تبين فضل تحية الإسلام وأثرها التربوي وآدابها وتطبيقاتها .

في المجتمع :

من الصور التطبيقية لمضمون التحية بيان فضلها وآدابها عن طريق الإعلام وعن طريق الأئمة والدعاة وعن طريق تعميمها بين جميع أفراد المجتمع .

١ــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢٦٢٦ى، ص ١٠٥٤ .

آداب المجالس

يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١١] .

في هذه الآية الكريمة من هذه السورة العظيمة أدب آخر مما اشتملت عليه هذه السورة من الآداب يؤدبنا به ربنا سبحانه وتعالى ، ألا وهو أدب المجلس .

يقول السعدي في تفسيره لهذه الآية :

" هذا أدب من الله لعباده ، إذا اجتمعوا في مجلس من مجتمعاتهم ، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين للتفسح له في المجلس ، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلاً لهذا المقصود . وليس ذلك بضار للفاسح شيئاً ، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه ، والجزاء من جنس العمل ، فإن من فسح لأخيه ، فسح الله له ، ومن وسع لأخيه ، وسع الله عليه . " وإذا قيل انشزوا " ، أي : ارتفعوا وتنحوا عن مجالسكم ، لحاجة تعرض . " فانشزوا" ، أي : فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة . فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان "[1] .

من هنا وجب على المؤمنين أن يراعوا في مجالسهم تطبيق آداب المجالس مما جاء في هذه الآية وفي غيرها من النصوص الشرعية ومن هذه الآداب ما يلي :

١ـ السلام عند القدوم على المجلس وعند الانصراف عنه :

إن من الآداب التي ينبغي على المؤمن أن يتأدب بها في هذا الجانب السلام عند القدوم على المجلس وعند الانصراف عنه لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم إن قام فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة "[2] وما أكثر من يغفل عن السلام عند القيام

١ــ السعدي : مرجع سابق ، ص ٧٨٥ .

٢ــ تقدم تخريجه : ص ١٣١ .

من المجلس بل أن الكثير قد يتعجب من المُسلِّم حال قيامه وما علم أنه أدب نبوي كـــريم وفيه من الأجر الشيء الكثير .

٢ـ القيام للقادم :

للقيام للقادم عنى المجلس أحوال مختلفة ، وللعلماء في ذلك كلام طويل بين مـــانع ومجيز ، والكلام في هذا الأمر يطول جداً[١] وليس هذا مكان بسطه ولكن يمكن تلخيص هذا الأمر في القول بأن القيام على قسمين ممنوع وجائز[٢] :

فالممنوع : القيام لمن يحب أن يقام إليه تكبراً وتعاظماً فهذا لا يجوز وفيه يقـــول النبي صلى الله عليه وسلم : " من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبـــوأ مقعـــده مـــن النار "[٣].

والجائز على ضربين :

الأول : القيام لمن قدم من سفر ، أو إلى من تجددت له نعمة لِيُهَنأ ، أو أصابته مصيبـــة فيعزى ، ومن هذا ما جاء في قصة كعب بن مالك عند البخاري في الحديث الطويل وفيه قال : " قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جـــالسٌ حوله الناس ، فقام طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنّأني ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة "[٤] .

الثاني : القيام للقادم إكراماً أو براً وإحساناً يقول النووي :

" وأما إكرام الداخل بالقيام فالذي نختاره أنه مستحب لمن كان فيه فضيلة ظـــاهرة مـــن علم أو صلاح أو شرف أو ولاية مصحوبة بصيانة أو له ولاده أو رحم مع ســـن ونحـــو ذلك ويكون هذا القيام للبر والإكرام والاحترام لا للرياء والإعظام وعلى هـــذا الـــذي اخترناه استمر عمل السلف والخلف "[٥] .

١ـــ أنظر : ابن حجر : " فتـــح البـــاري " ، مرجع سابق ، جـــ ١١ ، ص ص ٥١ ـــ ٥٦ ؛ ابن مفلـــح : مرجع سابق ، جـــ ١ ، ص ٤٦٠ ؛ البهوتي : مرجع سابق ، جـــ ٢ ، ص ١٥٦ .

٢ـــ أنظر : الفالح : مرجع سابق ، ص ٢٧٢ ؛ الراشد : مرجع سابق ، ص٢٣٦ .

٣ـــ الترمذي : مرجع سابق ، ح ٢٧٥٥ ، ص ٤٤٤ ؛ وصححه الألبـــاني : " صحيـــح سنن التـــرمذي " ، مرجع سابق ، جـــ ٣ ، ح ٢٧٥٥ ، ص ١٠٠ .

٤ـــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٤٤١٨ ، ص ٨٣٤ .

٥ـــ النووي : " الأذكار النووية " ، مرجع سابق ، ص ص ٣٨٧ ـــ ٣٨٨ .

ومن قبيل هذا القيام ما روته عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : " كانت فاطمة إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها "[١] .

وهذا لا يكون في اللقاء المتكرر والمعتاد ما لم يستوجب الأمر ذلك ، من جلب مصلحة أو درء مفسدة ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقله عنه ابن مفلح : "ينبغي ترك القيام في اللقاء المتكرر المعتاد ونحوه ، لكن إذا اعتاد الناس القيام وقدم من لا يرى كرامته إلا به ، فلا بأس به ، فالقيام رفعاً للعداوة والفساد خيرٌ من تركه المُفضي إلى الفساد ، وينبغي مع هذا أن يسعى في الإصلاح على متابعة السنة "[٢] .

ويخلص الباحث بعد هذا البيان إلى أن القيام للقادم على المجلس يعتبر من آداب المجلس إذا كان للمسافر أو من تجددت له نعمة أو أصابته مصيبة وكذلك يقام من أجل الإكرام والبر والإحسان ولكن لا يكون ذلك على سبيل الدوام في كل لقاء متكرر .

٣ـ كراهية إقامة الرجل من مجلسه ثم الجلوس مكانه :

هذا الأدب مأخوذ مما رواه ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم : " نهى أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا "[٣] وهذه الكراهة تزول إذا تنازل صاحب المجلس عن مجلسه لغيره ، وذلك أن الحق له وقد تنازل عنه "[٤] .

٤ـ عدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما :

هذا الأدب جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما "[٥] . فهذا أدب نبوي عظيم ، والعلة من منع الرجل أن يجلس بين اثنين

١ــ ابو داوود : مرجع سابق ، ح ٥٢١٧ ، ص ٥٦٠ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داوود " ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ح٤٣٤٧ ، ص ٩٧٩ .

٢ــ ابن مفلح : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٤٣٣ .

٣ــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٦٢٧٠ ، ص ١٢٠٧ ؛ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢١٧٧ ، ص٨٩٧ .

٤ــ الشلهوب : مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

٥ــ أبو داوود : مرجع سابق ، ح ٤٨٤٥ ، ص ٥٢٧ ، والحديث حسن صحيح قاله الألباني : " صحيح سنن أبي داوود " ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ح ٤٠٥٥ ، ص ٩١٨ .

إلا بإذنهما كما يقول صاحب عون المعبود " أنه قد يكون بينهما محبة ومودة وجريان سر وأمانة فيشق عليهما التفريق بجلوسه بينهما "[١] .

٥. الجلوس حيث ينتهي به المجلس :

إن من آداب المجلس أن يجلس القادم حيث ينتهي به المجلس وعدم تكلف الجلوس في المقدمة أو مضايقة ومزاحمة الجالسين وهذا الأدب العظيم ثابت من فعل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول سمرة رضي الله عنه : " كنا إذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي "[٢] .

٦. مراقبة الله وتجنب المحرمات :

إن مما ينبغي على المسلم مراعاته في مجلسه مراقبته سبحانه وعدم الغفلة عن ذكره فيتجنب في مجلسه ما حرمه الله من الكذب والغيبة والنميمة وغير ذلك مما حرمه الله بل يكون مجلسه عامراً بذكر الله وما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة "[٣] .

٧. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم الجلوس مع وجود المنكر :

إن من أولى الصفات التي امتدح الله بها هذه الأمة أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر يقول تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران : آية ١١٠] ، لهذا كان من آداب المجلس هذا الأدب العظيم وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن يقول تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل : آية ١٢٥] ، فإذا رأى المسلم في مجلسه منكراً سارع إلى تغييره امتثالاً

١ـ العظيم أبادى ، أبي الطيب محمد شمس الحق : عون المعبود شرح سنن أبي داوود ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٩هـ) ، م ٧ ، جـ ١٣ ، ص ١٣٣ .

٢ـ أبو داوود : مرجع سابق ، ح ٤٨٢٥ ، ص ٥٢٥ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داوود " ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ح ٤٠٤٠ ، ص ٩١٦ .

٣ـ أبو داوود : مرجع سابق ، ح ٤٨٥٥ ، ص ٥٢٧ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داوود " ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ح ٤٠٦٤ ، ص ٩٢٠ .

لقوله صلى الله عليه وسلم : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " [١] .

فإذا بذل المسلم جهده في تغيير المنكر الموجود في المجلس ولم يستطع على ذلك ولم يستجب له فإنه في هذه الحالة يغادر هذا المجلس ولا يرضى بالقعود امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَـٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة الأنعام : آية ٦٨ ــ ٦٩]

وكذلك قوله سبحانه : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [سورة النساء : آية ١٤٠]

٨ ـ عدم سماع الحديث بدون إذن :

كثيراً ما يحدث في المجالس الكثيرة العدد أن يتناجى اثنان أو أكثر دون المجموعة ، فتجدهم يتنحون في جانب من المجلس مع خفض أصواتهم ففي هذه الحالة لا يجوز الاستماع إليهم دون إذنهم وفي هذا جاء الوعيد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : " من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صُبّ في إذنه الآنك* يوم القيامة "[٢] .

٩ ـ المحافظة على أسرار المجلس :

هذا أدب عظيم قد فرط فيه الكثير من الناس فتجدهم ما يكادون يخرجون من مجلس من المجالس إلا ويبدأون بإعلان ونشر ما قد قيل في ذلك المجلس وقد يكون من ذلك أسرار لأهل المجلس يكرهون أن يطلع عليها أحدٌ ممن لم يكن حاضراً وقد صح عن

١ــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٤٩ ، ص ٥١ .

٢ــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٧٠٤٢ ، ص ١٣٤٥ .

*الآنك : هو الرصاص المذاب وقيل هو خالص الرصاص وقيل القصدير انظر : ابن حجر : " فتح الباري " ، مرجع سابق ، جـ ١٢ ، ص ٤٤٧ .

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة "[١] . فمما ينبغي على المسلم أن يتأدب به في هذا الجانب حفظ أسرار المجلس وما قيل فيه .

١٠ـ العناية بكبير القوم علماً أو سناً أو جاهاً وإكرامه :

يقول صلى الله عليه وسلم : " إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن ؛ غير الغالي فيه ، ولا الجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط "[٢] وجاء عنه صلى الله عليه وسلم قوله : " أراني في المنام أتسوك بسواك ، فجذبني رجلان أحدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الأصغر منهما ، فقيل لي : كبر ، فدفعته إلى الأكبر "[٣]، وقال صلى الله عليه وسلم : " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا "[٤] .

فهذه النصوص تدل على سنية إكرام كبير القوم علماً أو سناً أو جاهاً ، فإذا كان في مجلس خص بمزيد عناية ، فيُبدأُ به عند تقديم الشراب أو الطعام ثم من على يمينه لما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه :" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتى بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره الأشياخ ، فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء . فقال الغلام : والله يا رسول الله ، لا أوثر بنصيبي منك أحداً ، قال : فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده "[٥] .وهذا الحديث وإن كان يُفيد تقديم الأيمن فالأيمن أياً كان إلا أنه لا يعارض أحاديث تقديم الكبير على من دونه ، حيث يمكن الجمع بينها بأن تقديم الأيمن يُنزل على من شرب شيئاً وبقي منه فضلة ، فيعطي من على يمينه إلا أن يأذن ، وتقديم الأكبر يُنزل على تقديم الشراب والطعام ابتداءً ، ثم يليه من كان على يمينه [٦].

١ـ الترمذي : مرجع سابق ، ح ١٩٥٩ ، ص ٣٢٨ ؛ وحسنه الألباني : " صحيح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ح ١٩٥٩ ، ص ٣٦٤ .

٢ـ البخاري : " الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، ص ٧٥ ؛ وحسنه الألباني : " صحيح الأدب المفرد " ، مرجع سابق ، ح ٣٥٧ ، ص ١٤٣ .

٣ـ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح٣٠٠٣ ، ص١٢٠١ ؛ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، معلقاً ، ح٢٤٦ ، ص٧٠ .

٤ـ الترمذي : مرجع سابق ، ح ١٩٢٠، ص٣٢٤ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ح١٩٢٠، ص٣٤٩ .

٥ـ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٥٦٢٠ ، ص ١١٠٥؛ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢٠٣٠ ، ص٨٤٠ .

٦ـ الشلهوب : مرجع سابق ، ص ٩٨ .

١١ـ التيامن عند الدخول والخروج :

إن من آداب المجالس أن يُبدأ في الدخول والخروج بالأيمن فالأيمن وهـذا يحدث عندما يكون الداخلون والخارجون جماعة اثنان فأكثر فهنا يطبق هذا الأدب فيبدأ بالأيمن فالأيمن ويشهد لهذا حديث عائشة: " أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب التيمن ما استطاع، في شأنه كله ، في طهوره وترجله وتنعله "[١] .

١٢ـ التخلق بالأخلاق الحسنة والخصال الكريمة أثناء المجالسة :

إن مما ينبغي أن يتحلى به المسلم أثناء مجالسته الآخرين التحلي بالأخلاق الحسنة وفي هذا يقول الجزائري في كتابه منهاج المسلم عند حديثه عن آداب الجلوس والمجلس :

" أن يجلس وعليه وقارٌ وسكينةٌ ، ولا يشبك أصابعه ، ولا يعبث بلحيته أو خاتمه ، ولا يخلل أسنانه أو يدخل إصبعه في أنفه أو يكثر من البصاق والتنخم أو يكثر من العطلس والتثاؤب ، وليكن مجلسه هادئاً قليل الحركة ، وليكن كلامه منظوماً متزناً ، وإذا تحدث فليتحرّ الصواب ، ولا يكثر من الكلام ، وليتجنب المزاح والمراء ، وأن لا يتحدث بإعجاب عن أهله وأولاده ، أو صناعته ، أو إنتاجه المادي والأدبي ، من شعرٍ وتأليفٍ ، وإذا حدّث غيره أصغى يسمع ، غير مفرطٍ في الإعجاب بحديث من يسمعه ، وأن لا يقاطع الكلام أو يطلب إليه إعادتهُ ، لأنّ ذلك يسوء المتحدّث " [٢].

١٣ـ مراعاة حق الطريق للجالس فيه :

إن الجلوس في الطرقات مما نهى عنه الإسلام وكرهه ولكن إذا كان ليس منها بد فعلى الجالس فيها أن يراعي حقوق الطريق وقد جاءت هذه الحقوق مبينة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا يقول : " إياكم والجلوس على الطرقات " فقالوا : مالنا بد ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها . قال : " فإذا أبيتم إلا المجالس ، فأعطوا الطريق حقها . قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : " غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، وأمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر "[٣] .

١ـ البخاري : " صحيح البخاري " ، المرجع سابق ، ح ٤٢٦ ، ص ١٠٣ .

٢ـ الجزائري ، أبي بكر جابر : منهاج المسلم ، مكتبة العلوم والحكم ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (١٤٢٠هـ) ، ص ٩٧ .

٣ـ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٢٤٦٥ ، ص ٤٦٤ .

١٤. ختم المجلس بكفارة المجلس :

إن أحـــاديث المجالس قد لا تخلو من اللغط أو قول ما لا ينبغي أو فعلـــه في غفلـــة وسهو ؛ من هنا شُرع لنا في ديننا الحنيف بفضل الله ورحمته ما سمي بكفارة المجلس لتكون ماحية لما يكون قد بدر من الإنسان في ذلك المجلس وفي هذا يقـــول النبي صلى الله عليـه وسلم : " من جلس في مجلس ، فكثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلـــك : سبحانك اللهم ، وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك ؛ إلا غفـــر له ما كان في مجلسه ذلك "[1] . فينبغي على المسلم ملازمة ختم مجلســـه بهـــذا الدعـــاء العظيم ليكون نقياً تقياً إن شاء الله تعالى .

الآثار التربوية لتطبيق آداب المجالس:

إذا قامت المجالس على الآداب السالف ذكرها فإن ذلك ينتج آثار تربوية عظيمـــة من أهمها :

١- انتشار الألفة والمحبة بين أصحاب المجلس .

٢- نيل الأجر والثواب من الله تعالى بما حصل من امتثال أمره واجتناب نهيه .

٣- الإسهام في نشر العلم والقضاء على الجهل .

٤- الإسهام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٥- الإسهام في الإصلاح بين الناس .

٦- الإسهام في مساعدة الفقراء والمحتاجين .

١ــ الترمـــذي : مرجع سابق ، ح ٣٤٣٣ ، ص ٥٤٣ ؛ وصححه الألبـــاني : " صحيح سنن التـــرمذي " ، مرجع سابق ، جـــــ ٣ ، ح ٣٤٣٣ ، ص ٤١٤ .

التطبيقات التربوية :

إن التطبيق التربوي لأي أدب من الآداب يتمثل في الأخذ بتلك الآداب وتطبيقها على أرض الواقع كما تقدم في آداب النجوى وآداب التحية ؛ فيكون التطبيق التربوي لآداب المجلس هو الأخذ بتلك الآداب عند مجالستنا للآخرين وتربية الناشئة عليها ، ويمكن تفعيل هذا التطبيق على النحو التالي :

في الأسرة :

يقوم الوالدان بتربية أولادهما على آداب المجلس من خلال تلقينهما ذلك وتوضيح الآثار العظيمة المترتبة على تطبيق هذه الآداب كما يتم ذلك عن طريق اصطحاب الوالد لأبنائه إلى المجالس فيكون هو قدوة لأبنائه في الأخذ بآداب المجلس ومن ثم توجيه أبنائه إلى تلك الآداب من السلام على أهل المجلس والجلوس حيث ينتهي المجلس وعدم إقامة أحد والجلوس مكانه أو التفريق بين اثنين بدون إذنهما إلى غير ذلك من الآداب المتقدم ذكرها كما على الوالد تنبيه أبنائه إذا ما وقعوا فيما يخالف آداب المجلس وذلك بأسلوب تربوي حكيم يشجع الأبناء على الأخذ بهذه الآداب ، ولا يكون بالشدة والتنفير ، كما يجب على الأم أن تقوم بنفس الدور مع بناتها لينشأن على الأخذ بآداب المجالس .

في المدرسة :

إن المدرسة تقوم بدور مهم وفعال في تربية الناشئة على الآداب الاجتماعية وذلك من حلال المناهج والمقررات والأنشطة اللاصفية وبالنسبة لآداب المجلس فإن المعلم يكون قدوة لتلاميذه أثناء جلوسه معهم في لقاءات الأنشطة المفتوحة أو غيرها من اللقاءات ، كما عليه أن يربي الناشئة على آداب المجلس مما يحتاجون إليه في حجر الدراسة من السلام عند الدخول والجلسة هيئة حسنة والإنصات للمتحدث إلى غير ذلك من الآداب التي يمكن أن يعلمها لطلابه من خلال الفصل الدراسي ، كما يمكن للأنشطة اللاصفية المتنوعة المساهمة في هذا الجانب من خلال الإذاعة المدرسية والمطويات والمجلات

الحائطية ، كما يمكن للمعلم أن يستغل الرحلات الخارجية والمعسكرات الداخلية في تربية الناشئة على الآداب الاجتماعية ومنها آداب المجلس .

في المجتمع :

إن دور المجتمع بمؤسساته التربوية المختلفة لا يقل أهمية عن دور الأسرة والمدرسة في نشر الآداب الاجتماعية بين أفراد المجتمع بل ربما تعجز الأسرة والمدرسة عن القيام بدورهما إذا لم تتكاتف وتتآزر معهما بقية مؤسسات المجتمع المختلفة ؛ لذلك فإن من الواجب أن تتعاون جميع المؤسسات التربوية في هذا الجانب ومن الجوانب التطبيقية التي يمكن أن تقوم بها مؤسسات المجتمع التربوية المختلفة في بث ونشر الآداب الاجتماعية المختلفة ومنها آداب المجلس ما يلي :

ـ يمكن للإعلام أن يعمل سلسلة من الندوات والبرامج المفتوحة حول الآداب الاجتماعية وكيفية تطبيقها ، وتبيين الآثار التربوية المترتبة على تطبيقها بين أفراد المجتمع. كما يمكن لصاحب القلم من كاتب ومؤلف وغيرهما أن يقوم بكتابة سلسلة من المقالات التربوية حول الآداب الاجتماعية وآثارها التربوية .

ـ يقوم المسجد كذلك بدور مهم في هذا الجانب حيث يمكن للإمام أن يفعل خطبة الجمعة في بث الآداب الاجتماعية بين أفراد المجتمع وبيان عظم آثارها التربوية .

ـ كذلك يمكن تفعيل المراكز الثقافية والعلمية لتقوم بدورها في نشر الآداب الاجتماعية التي يحتاج إليها أفراد المجتمع ، وذلك عن طريق الدورات والكتب والنشرات .

الفصل السادس

((التوجيهات المُتضَمَّنَة في الجانب الفكري))

ـ المحور الأول : الحوار .
ـ المحور الثاني : فضل العلم ومنزلة أهله .

مدخل :

إن جانب التربية العقلية أو الفكرية له مكانته الرفيعة ، وأهميته البالغة بين جوانب التربية ؛ وذلك أنه يهتم بجانب رئيس من جوانب شخصية الإنسان ، حيث إن شخصية الإنسان تتكون من ثلاثة جوانب أساسية جانب جسدي ، وجانب روحي ، وجانب عقلي . والتربية الصحيحة هي التي تقوم على تنمية هذه الجوانب الثلاثة ليتحقق للإنسان النمو المتزن في جميع هذه الجوانب ، من هنا حظي هذا الجانب ــ كغيره من جوانب التربية ــ باهتمام التربية الإسلامية ، وأولته العناية الخاصة به ؛ فالناظر في الكتاب والسنة يجد أن عدداً كبيراً من النصوص الشرعية تنصب على هذا الجانب مبينةً أهمية إمعان العقل وتفعيل ملكة التفكير وفق ضوابط شرعية يستطيع الإنسان من خلالها أن يحقق التفكير السليم ، وتصبح لديه القدرة على النظر والتأمل بحيث يستطيع فهم ما يحيط به ، والتعامل معه تعاملاً مناسباً، وفي هذا الفصل سوف يكون الحديث عن موضوعين من الموضوعات المهمة في جانب التربية العقلية الفكرية هما :

ــ الحوار .

ــ فضل العلم ومنزلة أهله .

وسيكون الحديث عن هذين الموضوعين من خلال آيات سورة المجادلة .

المحور الأول : الحوار

يُعد الحوار من أبرز موضوعات السورة ولذلك كان من أسمائها المشهورة المُجَادَلة بمعنى المحاورة وذلك نسبة إلى الحوار الذي حدث بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين خولة بنت ثعلبة ــ رضي الله عنها ــ وورد موضوع الحوار في مطلع السورة حيث يقول سبحانه :﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١] .

يقول النسفي في تفسيره لقوله { تجادلك } أي : " تحاورك وقرئ بها " والله يسمع تحاوركما أي : " مراجعتكما الكلام من حار إذا رجع " [١] ، ويقول أبو السعود " أي تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك أي تسائلك ، { والله يسمع تحاوركما } : " أي يعلم تراجعكما الكلام " [٢] .

وقد وردت هذه المحاورة في كتب التفسير بصيغ مختلفة بعض الشيء في ألفاظها وقد تقدمت إحدى هذه الروايات عند ذكر سبب نزول السورة في الفصل الثاني [٣] ويتناول الباحث في هذا المحور الحوار ماهيته وأهميته وأهدافه التربوية وأنواعه وآدابه وآثاره وتطبيقاته التربوية وذلك على النحو التالي :

ماهية الحوار :

الحوار في اللغة مأخوذ من الحور وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، والمحاورة المجادلة ، والتحاور التجاوب ، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام [٤] وجاء في المفردات للأصفهاني : " والمحاورة والحوار : المرادّة في الكلام ، ومنه التحاور ، قال تعالى :﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ [سورة المجادلة : آية١] وكلمته فما رجع إليّ حواراً ، أو حويراً أومحوررة أي جواباً " [٥] هذا تعريف الحوار من حيث اللغة أما من حيث الاصطلاح

١ــ النسفي ، أبي البركات عبدالله بن أحمد : تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، المكتبة الأموية ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، جـ ٥ ، ص ١٦١ .

٢ــ أبو السعود : مرجع سابق ، جـ ٧ ، ص ٢١٥ .

٣ــ انظر ص ١٦ .

٤ــ ابن منظور : مرجع سابق ، جـ ٥ ، ص ص ٢٩٦ ــ ٢٩٨ .

٥ــ الأصفهاني : مرجع سابق ، ص ٢٦٢ .

فيعرفه زمزمي بقوله : " مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين " [١] ومن تعريفات الحوار في الاصطلاح : أنه نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين ، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب " [٢] .

وقد اشتمل القرآن الكريم على نماذج كثيرة للحوار ، منها ما دار بين الله عز وجل وملائكته في موضوع خلق آدم ، ومنها ما دار بين الله سبحانه ورسله ، ومنها ما دار بين الرسل وأقوامهم ، ومنها ما دار بين المؤمنين والكافرين ، ومنها ما دار بين الأتباع والمتبوعين إلى غير ذلك ، والأمثلة في هذا المجال كثيرة جداً كلها تدل على أهمية الحوار وخطورته [٣] ، ولكن لفظ الحوار لم يرد في القرآن الكريم إلا في ثلاثة مواضع :

الأول : في الآية مدار البحث في هذا المحور وهي :﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [سورة المجادلة : آية ١] .

الثاني : في سورة الكهف في قوله تعالى :﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [سورة الكهف : آية ٣٤] .

الثالث : في نفس السورة في قوله تعالى :﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [سورة الكهف : آية ٣٧] .

مصطلحات متقاربة للحوار :

من المصطلحات المقاربة لمصطلح الحوار : الجدل والمحاجة والمناظرة .

فالجدال هو : " المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم " [٤]، وقد وردت مادة الجدال في تسعة وعشرين موضعاً كلها في سياق الذم إلا في أربعة مواضع :

١ــ زمزمي ، يحيى بن محمد حسن بن أحمد : الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، دار التربية والتراث ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٤١٤هـ) ، ص ٢٢ .

٢ــ الندوة العالمية للشباب الإسلامي : في أصول الحوار ، ط ٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٨هـ) ، ص ١١ .

٣ــ المرجع السابق : ص ١٣ .

٤ــ الألمعي ، زاهر عواض : مناهج الجدل في القرآن الكريم ، مطابع الفرزدق التجارية ، ط ٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٤هـ) ، ص ٢٤ .

الأول : في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [سورة هود : آية ٧٤ ــ ٧٥] .

الثاني : في قوله تعالى :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة النحل : آية ١٢٥] .

الثالث : في قوله تعالى :﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٤٦] .

الرابع : في الآية مدار البحث في هذا المحور وهي قوله تعالى :﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١] .

فيتضح من الآيات السابقة أن الجدل لم يؤمر به ولم يمدح على الإطلاق بل قيد بالإحسان في الموضعين الثاني والثالث مجرداً منه بمعنى الحوار الهادئ في الموضعين الأول والرابع [١] .

والمحاجة قريبة من الجدل وهي : " أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته "[٢] ، وقد ورد مصطلح الحجة أو التحاج في القرآن الكريم عشرين مرة ، حيث أتت بمعنى التخاصم والجدال في بعضها مثل قوله تعالى :﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٦٦] ، **وأتت بمعنى البرهان أو ما دفع به الخصم مثل قوله تعالى :**﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام : آية ٨٣] .

١ــ الحبيب ، طارق بن علي : كيف تحاور دليل عملي للحوار ، توزيع مؤسسة الجريس ، ط ٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) ، ص ٩ ؛ دعماس ، محمد : فنون الحوار والإقناع ، دار ابن حزم ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٢٠هـ) ، ص ١٣ .

٢ــ الأصفهاني : مرجع سابق ، ص٢١٩ .

أمّا المناظرة فهي : " تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه ، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق "[١] ، والمناظرة بهذا المعنى لم ترد في القرآن الكريم [٢] .

وبهذا يتبين أن الحوار لفظ عام يشمل عدة صور منها : المناظرة والمجادلة والمحاجة [٣] حيث تشترك هذه المصطلحات مع الحوار في أن الجميع عبارة عن مراجعة للكلام ومداولة له بين طرفين ، ثم تفترق المناظرة في دلالتها على النظر والتفكر ، والجدال والمحاجة في دلالتهما على المخاصمة والمنازعة [٤] .

أهداف الحوار

لكل حوار هدف ، وهدف الحوار هو ثمرته ، وهو الذي يحدد أساليبه وآدابه ، ومن ثم كان لتحديد هدف الحوار أهميته ، وتحديد الهدف يخضع لطبيعة المتحاورين وطبيعة القضايا المطروحة [٥] ، ومن أهم أهداف الحوار ما يلي :

١ــ إثبات الحق وإيضاحه .

٢ــ رد الباطل وتفنيد شبهه .

٣ــ إيجاد حل يرضي الأطراف المتحاورة .

٤ــ تصحيح المفاهيم .

٥ــ تهذيب السلوك .

٦ــ البحث والتنقيب والاستقصاء .

٧ــ التعليم .

٨ــ التفريغ الانفعالي .

١ــ الألمعي : مرجع سابق ، ص٣٠ .

٢ــ زمزمي : مرجع سابق ، ص٢٧ .

٣ــ الصويان ، أحمد بن عبدالرحمن :الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ، دار الوطن ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٣هـ) ، ص١٧ .

٤ــ زمزمي : مرجع سابق ، ص٣١ .

٥ــ المرجع سابق ، ص ص ٤٢ ــ ٤٧ .

أنواع الحوار :

لقد تعددت أنواع الحوار وأساليبه في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ومن أهم هذه الأنواع أربعة [١] :

النوع الأول : الحوار الخطابي

هذا النوع من الحوار يبدو لأول وهلة أنه خطاب من طرف واحد حيث لا يظهر الطرف الثاني ، ولكن في الحقيقة أن الطرف الثاني يستجيب بعواطفه ووجدانه وانفعاله وتفكيره [٢] ، وهذا مبني على أن كل مؤمن مخاطب بنصوص الشرع كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه إذ قال : " إذا سمعت الله يقول " ياأيها الذين آمنوا " فأولها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه " [٣] ، فيمكن القول بأن الحوار الخطابي عبارة عن محاورة طرفها الأول : الشارع الحكيم وطرفها الثاني : استجابة العبد بعواطفه ووجدانه وانفعاله وتفكيره ، وهي استجابة واقعية مؤثرة ومقنعة [٤] .

وللحوار الخطابي ستة أشكال [٥] :

١ــ الحوار الخطابي الموجه للمؤمنين : وهو ما يصدر بنداء الإيمان{ ياأيها الذين آمنوا } ، وقد حوى القرآن الكريم تسعين خطاباً بهذه الصيغة [٦] وهي في مثل قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة : آية ١٠٤] .

٢ــ الحوار الخطابي التذكيري : ويقوم على التذكير بنعم الله مثل قوله تعالى :﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ

١ــ انظر : النحلاوي ، عبدالرحمن : أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر ، ط ١ ، سوريا ، دمشق ، (١٣٩٩هـ) ، ص ص ١٨٥ ــ ٢١٠ .

٢ــ المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

٣ــ الشوكاني : " فتح القدير " ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ١٢٥ .

٤ــ جبار ، سالم سعيد بن مسفر : الإقناع في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، (١٤١٦هـ) ، ص ٨٤ .

٥ــ النحلاوي : مرجع سابق ، ص ص ١٨٩ ــ ١٩٦ .

٦ــ الجزائري ، أبو بكر جابر : نداءات الرحمن لأهل الإيمان ، مكتبة لينة ، ط ١ ، مصر ، دمنهور ، (١٤١٤هـ) ، ص ٥ .

بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٠٣] ، **أوتذكير بعض الطوائف بذنوب أسلافهم وانحرافاتهم التي مازالوا يتصفون بها . وذلك مثل قوله تعالى في بني إسرائيل** :﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [سورة البقرة : آية ٢١١] .

٣ــ الحوار الخطابي التنبيهي أو الإيضاحي : وصورته أن يرد سؤال يليه جوابه من أجل لفت الأنظار إلى أمر هام ومن ثَمّ بيانه وشرحه كقوله تعالى :﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة النبأ : آية ١ــ٣] .

٤ــ الحوار الخطابي الوجداني أو العاطفي : وهو خطاب يقوم على إثارة عواطف الإنسان ووجدانه مما يؤثر فيه فيجعله ينقاد للسلوك الحسن والعمل الصالح وذلك عن طريق الترغيب والترهيب ونحوها والأمثلة على هذا النوع كثيرة ومتعددة ومتنوعة من مثل قوله تعالى :﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [سورة الفرقان : آية ٦١ ــ ٦٤] .

٥ــ الحوار الخطابي الترديدي وهو الذي يتردد فيه سؤال مثير للعواطف ويتكرر مراراً وذلك مثل قوله تعالى { فبأي آلاء ربكما تكذبان حيث تكررت في سورة الرحمن "٣١" مرة في كل مرة تثير العواطف نحو صفة معينة من شكر أو خوف أو نحوها .

٦ــ الحوار الخطابي التعريضي : وهو خطاب من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم يتضمن التعريض بالمشركين من استهزاء بباطلهم ووصف لمساوئهم وتهديد لهم بعذاب الله وتحذير من سلوكهم كقوله تعالى :﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا

وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [سورة النجم : آية ٣٣ ــ ٣٩] .

النوع الثاني : الحوار الوصفي :

ويقوم على وصف حي لحالة نفسية أو واقعية للمتحاورين بغرض الاقتداء بهم في الخير والاتعاظ بهم من الوقوع في الشر . والأمثلة على هذا النوع كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾ [سورة الصافات : آية ٢٠ ــ ٣٢] .

النوع الثالث : الحوار القصصي :

وهو الحوار الذي يأتي ضمن قصة ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة القلم : آية ١٧ ــ ٣٣] .

النوع الرابع : الحوار الجدلي من أجل إثبات الحجة :

وهو حوار يكون الغاية منه إثبات الحجة على أهل الباطل والرد على شبههم ودحض دعاواهم وإلزامهم بالحق ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى :﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الطور : آية ٢٩ ــ ٤٧] .

آداب الحوار :

إن المربي والداعية إذا لم يلم بآداب الحوار ويطبقها في حواراته فلن يتحقق له ما يصبوا إليه من وراء حواره ، فكثيراً من الحوارات لا تحقق أهدافها أو تخفق في تحقيق جميع أهدافها بسبب عدم العمل بآداب الحوار ، والخلل في هذا الجانب ؛ من هنا كان لمعرفة آداب الحوار وتطبيقها في حواراتنا التربوية والدعوية أهمية بالغة تتطلب من كل مرب وكل داعية أن يولي هذا الجانب عناية خاصة ، وآداب الحوار كُتبت فيها الكتابات الكثيرة بعضها لها صيغتها الخاصة كحوار الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وبعضها

حوارات دعوية وأخرى تربوية وأخرى اقتصادية وغيرها سياسية وهكذا *، والدراسة الحالية سوف تعالج هذا الموضوع بذكر أهم الآداب مما يعتبر من أصول آداب الحوار بشكل عام بغض النظر عن نوع الحوار الذي يُطرح وذلك أن الحديث عن جميع آداب الحوار مع كثرة تنوعه أمر يطول جداً وليس هذا مكان بسطه ، فمن أهم أصول آداب الحوار في نظر الباحث ما يلي :

١ـ التجرد في طلب الحق " الإخلاص "

إن مما ينبغي أن يتحلى به المحاور المسلم في حواره الإخلاص والتجرد في طلب الحق ، فهدفه بلوغ الحق سواءً على لسانه أو لسان من يحاوره ، فالحكمة ضالته . ومن أعظم ما يوصل إلى الحق التجرد في طلبه . وللتجرد في طلب الحق مقتضيات من أهمها [١] :

أ ــ الدخول في الحوار مع الاستعداد لتقبل الحق مهما يكون قائله .

ب ــ الإنصاف والعدل .

ج ــ المحبة رغم الخلاف .

د ــ الصدق والأمانة .

هـ ــ التثبت .

و ــ الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ .

٢ـ البعد عن المراء " الجدل "

هذا أصلٌ فهمه مهم للغاية ، فالحوار إذا تحول إلى جدل عقيم لا يثمر ثمرة طيبة يكون قفله وإيقافه خيراً من استمراره [٢]، وقد تقدم أن الجدال لا يكون محموداً إلا إذا

---

* ومن أجمع الدراسات التي اطلع عليها الباحث في هذا الموضوع : دراسة بعنوان : الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة وهي عبارة عن رسالة ماجستير من جامعة أم القرى مقدمة من الباحث يحيى بن محمد بن حسن زمزمي . جمع فيها الباحث أكثر آداب الحوار وقسمها إلى ثلاثة أقسام آداب نفسية وآداب علمية وآداب لفظية وذكر تحت كل قسم مجموعة من الآداب .

١ــ انظر : الصويان ، مرجع سابق ، ص ٨٠ ؛ زمزمي ، مرجع سابق ، ص ص ١١٣ ــ ٤٧٧ .

٢ــ العقلا ، علي بن فراج بن علي : الخلاف وتأصيل آدابه في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، (١٤١٥هـ) ، ص ١٥٦ .

كان مقيداً بالحسنى أو كان بمعنى الحوار أما إذا تجرد الجدال عن الحسنى وتمحض في اللدد والخصومة فهنا يكون أمراً محذوراً ، وحدّ الجدال : " أن ينكر الحق الذي ظهرت دلالته ظهوراً لا خفاء فيه ، ويتعصب للباطل الذي ظهرت دلالته ظهوراً لا خفاء فيه " [١] ، فالجدل بهذا المعنى آفة خطيرة وله من الفتن والآثار السيئة أمورٌ عظيمة من أهمها [٢] :

أ ــ دخول الهوى والتعصب للباطل ورد الحق .

ب ــ قسوة القلب والانشغال بالجدل عن العمل .

ج ــ حب الشيطان وفرحه بذلك ، ودخوله من خلال هذه الفتنة للتحريش والتفريق .

د ــ ظهور وانتشار كثير من البدع والضلالات .

هـ ــ الظلم والبغي والتكبر والعجب .

٣. حسن الخلق

هذا أصل عظيم ينبغي للمحاور أن يتحلى به ؛ حيث دلت الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على ذلك ، فمن ذلك يقول تعالى في حق سيد المرسلين وإمام المتقين وقدوة المؤمنين ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : آية ٤] ويقول:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٥٩] ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن من أخيركم أحسنكم خلقاً " [٣] ، ويقول : " ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله لبغض الفاحش البذيء " [٤] . إلى غيرذلك من النصوص الدالة على مكانة حسن الخلق في الدين ، والتزام حسن الخلق في الحوار له دور كبير في إقناع الطرف الآخر ، وقبوله للحق وإذعانه للصواب . فكل من

١ــ الصويان : مرجع سابق ، ص ٩٥ .

٢ــ الجليل : مرجع سابق ، جـ ٣ ، ص ٤٩٥ .

٣ــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٦٠٢٩ ، ص١١٦٧ ؛ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢٣٢١ ، ص٩٤٩.

٤ــ الترمذي : مرجع سابق ، ح٢٠٠٢ ، ص٣٣٤ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ج٢،ح٢٠٠٢ ،ص٣٧٨ .

يرى ويلمس من محاوره خلقاً فاضلاً فإنه لا يملك إلا أن يحترم محاوره ويتبنى فكرته ، ويخضع لرأيه ، أو على أقل تقدير يفتح قلبه لاستماع الرأي الآخر ، ويعرضه على عقله بطيب نفس ورحابة صدر وسعة أفق [١] .

وحسن الخلق يقوم على عدة أمور يقول ابن القيم : " وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها : الصبر ، والعفة ، والشجاعة ، والعدل " [٢]

ويقول الماوردي في صفة صاحب الخلق الحسن : " أن يكون سهل العريكة ، لين الجانب طليق الوجه ، قليل النفور ، طيب الكلمة " [٣] .

ويقول السعدي في بيان حسن الخلق : "هو خلق فاضل عظيم النفع ، أساسه الصبر ، والحلم ، والرغبة في مكارم الأخلاق ، وآثاره العفو ، والصفح عن المسيئين ، وإيصال المنافع إلى الخلق أجمعين ، فهو احتمال الجنايات ، والعفو عن الزلات ، ومقابلة السيئات بالحسنات ، وقد جمع الله ذلك في آية واحدة " [٤] وهي قوله : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٩٩] .

ومما سبق يتضح أن حسن الخلق أصل لكل خلق فاضل واحتوائه ، والنفور من كل خلق رذيل ونبذه ، ومن هنا يمكن القول بأن لحسن الخلق مقتضيات وله محترزات فمن مقتضياته التواضع ولين الجانب والحلم والصبر والعفة والعدل إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة ، أما محترزاته فمنها : الكبر والعجب والظلم والاستهزاء بالآخرين وتسفيه آرائهم إلى غير ذلك من الأخلاق الرذيلة .

٤. العلم

إن مما لا شك فيه أن الحوار لا يحقق غايته إلا إذا كان قائماً على علم وبصيرة ، أما إذا فقد هذا الأمر فسيكون مآل الحوار إلى الفشل بل ويصبح ضرره أكثر من نفعه

١ــ زمزمي : مرجع سابق ، ص ١٦١ ؛ العقلا : مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

٢ــ ابن القيم : " مدارج السالكين " ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٤ .

٣ــ الماوردي ، أبي الحسن علي بن محمد : أدب الدنيا والدين ، الدار المصرية اللبنانية ، ط١ ، مصر ، القاهرة ، تحقيق : محمد فتحي ، (١٤٠٨هـ) ، ص ٢٩٢ .

٤ــ السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر : الرياض الناضرة والحائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة ، مكتبة المعارف ، ط٣، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٠هـ) ، ص ٧٤ .

ويضاع فيه الجهد ويهدر فيه الوقت بلا فائدة تذكر أو ثمرة ترجى [١] والعلم المقصود هنا يشمل جوانب عدة من أهمها :

ـ العلم بالنصوص الشرعية المتعلقة بموضوع الحوار .

ـ العلم بتفاصيل موضوع الحوار وجزئياته المختلفة .

ـ العلم بشيء من أصول الاجتهاد وضوابط الاستنباط وقواعد الترجيح مما يعين على التوصل إلى الحكم الصحيح والرأي الراجح في الأقوال المختلفة .

ـ العلم بالآراء المختلفة حول موضوع الحوار من مؤيد ومعارض ومستند كل رأي وما قيل في نقضه أو تعزيزه .

ـ العلم بالطرف الآخر من حيث مقدار علمه ومعرفة ظروفه وأحواله ومكانته ومدى قوته وضعفه .

ـ العلم بمنهجية الحوار وأصوله وآدابه وأساليبه المختلفة .

أهمية الحوار وقيمته التربوية :

إن للحوار أهميته البالغة في مجال التربية والدعوة وتظهر قيمته التربوية في عدة جوانب ويمكن بيان أهمية الحوار وفيمته التربوية من خلال النقاط التالية :

١ـ إن الناظر في كتاب الله يجد أن القرآن الكريم حثّ على أسلوب الحوار ودعا إليه يقول تعالى :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة النحل : آية ١٢٥] ، وجاءت النماذج الكثيرة والمتنوعة للحوار وهذا كله يدل على أهمية الحوار وقيمته التربوية .

٢ـ أنه من منهج الأنبياء :

إن مما اشتمل عليه القرآن وأكثر من إيراده قصص الأنبياء ، وهذه القصص ما ملئ بها القرآن حشواً ولم توجد عبثاً ؛ بل لها أهدافها العظيمة ومن ذلك الاقتداء بهديهم والسير على منهجهم ونحن مأمورون بذلك ففي سورة الأنعام بعد أن ذكر الله مجموعة

---

١ ـ زمزمي : مرجع سابق ، ص ٢٧٧ .

من الأنبياء أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهديهم فقال :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾[سورة الأنعام : آية ٩٠]،يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية :" فبالعمل الذي عملوا ، والمنهاج الذي سلكوا وبالهدى الذي هديناهم والتوفيق الذي وفقناهم اقتده يا محمد : أي فاعمل وخذ به واسلكه فإنه عمل لله فيه رضا، ومنهاج من سلكه اهتدى " [١] ، والأمر له صلى الله عليه وسلم أمر لأمته لقوله تعالى :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[سورة الأحزاب : آية ٢١] .

والمتأمل لقصص الأنبياء يجد أن من أبرز أساليبهم في الدعوة والتربية أسلوب الحوار فلا تخلو قصة من قصص الأنبياء من هذا الأسلوب المهم ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك قصة نوح ــ عليه السلام ــ الذي لبث في قومه ذلك الزمن الطويل وهو يجادلهم ويحاورهم بشتى الصور والأساليب حيث يقول تعالى عنه :﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلاَّ فِرَارًا ۝ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾[سورة نوح:آية ٥ ــ ١٠]، فبهذه الأساليب المتنوعة والحوار الجاد المستمر ما كان من قومه المعاندين الصادين عن الحق إلا أن قالوا :﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [سورة هود : آية ٣٢] .

٣ــ أثره الإيجابي في الواقع :

إن مما يبين أهمية الحوار وقيمته التربوية أثره الإيجابي الملموس في أرض الواقع " فكم من كافر دخل الإسلام عن طريق الحوار ، وكم من مبتدع ضال رجع عن بدعته بسبب الحوار والمناظرة ، وكم من عاص تاب إلى ربه ورجع إلى عقله بعد محاورته " [٢] والأمثلة على هذا الأمر أكثر من أن تحصر ، ويكتفي الباحث بإيراد مثالاً واحداً بين هذا الأمر ألا

١ــ الطبري : مرجع سابق ، م٥ ، ج٧ ، ص٣٤٥ .

٢ــ الزمزمي : مرجع سابق ، ص ٣٤ .

وهو حوار ابن عباس ـــ رضي الله عنه ـــ للخوارج ، فمما جاء في هذا الحوار أن ابـــن عباس أول ما دخل عليهم قالوا له : " ما جاء بك يابن عباس ؟ وما هذه الحلة عليـــك ؟ قال : ما تعيبون من هذه ؟ فلقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مـــا يكون من ثياب اليمنية ، قال ثم قرأت هذه الآية﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [سورة الأعراف : آية ٣٢] ، فقالوا ما جاء بك ؟ فقال : جئتكم من عنـــد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيكم منهم أحد ، ومن عند ابـــن عـــم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلـــم بتأويلـــه ، جئـــت لأبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم ، فقال بعضهم : لا تخاصموا قريشاً فإن الله تعـــالى يقول : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [سورة الزخرف : آية ٥٨] ، فقال بعضهم : بلى ! فلنكلمنـــه ، قـــال : فكلمني منهم رجلان أو ثلاثة ، قال : قلت : ماذا نقمتم عليه ؟ ـــ أي على علي بـــن أبي طالب رضي الله عنه ـــ قالوا : ثلاثاً ، فقلت ما هنّ ؟ قالوا : حكم الرجال في أمـــر الله ، وقال الله عز وجل :﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [سورة الأنعام : آية ٥٧] ، قال : قلت : هذه واحـــدة ، وماذا أيضاً ؟ قالوا : فإنه قاتل فلم يسبِ ولم يغنم ؛ فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتـــالهم ، ولئن كانوا كافرين لقد حلّ قتالهم وسبيهم ، قال : قلت : وماذا أيضاً ؟ قـــالوا : ومحـــا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين ، قال : قلت : أرأيتم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينقض قولكم هـــذا ، أترجعون ؟ قالوا : وما لنا لا نرجع ؟ قلت : أما قولكم حكّم الرجال في أمر الله ، فـــإن الله عز وجل قال في كتابه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [سورة المائدة : آية ٩٥] ، وقال في المرأة وزوجها :﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [سورة النساء : آية ٣٥] فصير الله تعالى ذلك إلى حكم الرجال ، فنشـــدتكم الله أتعلمـــون حكـــم الرجال في دماء المسلمين وفي صلاح ذات بينهم أفضل أو في دم أرنب ثمن ربع درهـــم وفي بضـــع امرأة ؟ قالوا : بلى ، هذا أفضل ، قال : أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعـــم ،

قال : وأما قولكم : قاتل فلم يسب ولم يغنم أفتسبون أمكم عائشة رضي الله عنها ؟ فإن قلتم : نسبيها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم ، وإن قلتم : ليست بأمّنا فقد كفرتم فأنتم ترددون بين ضلالتين ، أخرجت من هذه ؟ قالوا بلى ! قال : وأما قولكم : محا نفسه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون ، إن نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو قال " اكتب يا علي : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ..فقال : أبو سفيان وسهيل بن عمرو : ما نعلم أنك رسول الله ، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنك تعلم أني رسولك ، أمح يا علي واكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو " قال : فرجع منهم ألفان وبقي بقيتهم فخرجوا فقتلوا أجمعين " [١].

٤ــ أنه أداة تصحيح وبناء وتقويم :

إن من الأمور المهم توافرها في المربي والداعية من أجل تحقيق ما يصبوا إليه أدوات الحوار وأساليبه ذلك أن الحوار يعتبر من أهم أدوات التصحيح والبناء والتقويم ومن خلاله يستطيع المربي والداعية أن يصل إلى تغيير كثير من السلوكيات الخاطئة ، لأن كثيراً من الأخطاء أو الانحرافات التي يقع فيها المرء مبنية على هوىً وجهل وتقليد، وبشيء من الحوار الهادئ الهادف من المربي أو الداعية تزول كثير من الانحرافات [٢] ، كما أنه من خلال الحوار يتم إيقاض الفطرة السليمة ليعود الإنسان عن خطئه وضلاله إلى الصواب والحق ، يقول لاوند : " والحوار جزء مهم في العلاقات الإنسانية ، إذ به تتحقق المواجهة المباشرة بين القلوب والعقول ، ولما كانت القلوب والعقول خاضعة للفطرة السليمة من ناحية ، وللتعاليم المحرفة التي تطرأ عليها من ناحية أخرى ، فقد وجب أن تكون الغلبة في النهاية للحوار ، الذي تستنير به الفطرة السليمة " [٣].

١ــ ابن عبد البر، أبي عمر يوسف : جامع بيان العلم وفضله ، دار ابن الجوزي ، ط ٤ ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، (١٤١٩هـ) ، جـ ٢ ، ص ص ٩٦٢ ــ ٩٦٤ .

٢ــ الحميدان ، ابراهيم بن صالح : الحوار والمناظرة والجدل في الدعوة الإسلامية ، بحث ضمن مجموعة بحوث ودراسات في الدعوة الإسلامية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٣هـ) ، ص ١٢٦ .

٣ــ لاوند ، محمد رمضان : الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ، بحث مقدم للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٣٩٦هـ) ، ص ٢٤٢.

٥ــ أن فيه دعم للنمو النفسي :

إن الحوار يعد من أرقى وسائل التربية الإسلامية حيث فيه تتبادل وجهات النظر ، وتتلاقى الآراء ، وفيه حرية طرح الرأي والفكرة ، وفرصة الرد والمناقشة ، فهو أداة وعي مشتركة تنكوكب فيها الآراء ، وتستعرض فيها المسائل ، ومن خلاله يتم التناصح والتشاور والتعاون ، وبهذا يكون له أكبر الأثر في دعم النمو النفسي والتخفيف من مشاعر الكبت ، وتحرير النفس من الصراعات والمشاعر العدائية والقلق والمخاوف ، فهو بهذا وسيلة علاجية بنائية في هذا الجانب .

الآثار التربوية للحوار :

تبين مما تقدم طرحه أهمية الحوار وقيمته التربوية ، وهنا يلخص الباحث أهم الآثار التربوية المترتبة على الحوار ؛ ذلك أن الحوار إذا كان قائماً على أصوله الصحيحة مما تقدم في ثنايا هذا المحور فإنه يثمر نتائج تربوية عظيمة من أهمها :

١ــ تعزيز استراتيجيات بناء العلاقات الإيجابية بين المتحاورين وتأكيد الإقدام والتقبل ونبذ الصراع ويظهر هذا الأثر بشكل واضح في ميدان التربية في مثل حوار الأب لأبنائه أو الأستاذ لتلامذته .

٢ــ تربية العقول على التفكير السليم والوصول للحقائق بطريقة صحيحة .

٣ــ يدرب الحوار على تقبل الاختلاف مع الآخرين .

٤ــ تعزيز الشجاعة النفسية لقبول الحق والصواب عند ظهور الدليل .

٥ــ تصحيح المرء أخطائه بنفسه بالاقتناع نتيجة الحوار .

التطبيقات التربوية للحوار :

إن أفضل من طبق الحوار التربوي ووظفه في تربيته ودعوته للآخرين سيد الأولين والآخرين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وسيرته في تربيته لأصحابه أكبر دليل على ذلك والنماذج والأمثلة في هذا الجانب كثيرة جداً يكتفي الباحث بإيراد نموذج واحد فقط يتضح فيه كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوظف الحوار

تربوياً ليعالج الأخطاء ويعدل السلوك ويهذب النفوس ، فعن أبي أمامة قال : إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ! ائذن لي بالزنى . فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا مه مه ! فقال : ادْنُه . فدنا منه قريباً ، قال : فجلس .

ـ قال : أتحبه لأمك ؟

ـ قال : لا والله ، جعلني الله فداك .

ـ قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم .

ـ قال : أفتحبه لابنتك ؟

ـ قال : لا والله يارسول الله ! جعلني الله فداك .

ـ قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم .

ـ قال : أتحبه لأختك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك .

ـ قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم .

ـ قال : أتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك .

ـ قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم .

ـ قال : أتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك .

ـ قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم .

ـ قال : فوضع يده عليه ، وقال : اللهم ! اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه . فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء [1] .

فهذا نموذج يتبين من خلاله كيف يستطيع المرء أن يوظف الحوار تربوياً ليعالج الأخطاء السلوكية والانحرافات الخلقية يقول القرضاوي معلقاً على هذا الحديث :

هذا شاب عارم الشهوة ، ثائر الغريزة ، صريح في التعبير عن نوازعه إلى الإغراب والإثارة . ورغم غرابة طلبه الذي أثار الجالسين عليه ، لم يكن منه صلى الله عليه وسلم إلا أن لقيه بهذا الرفق العجيب والحوار الهادئ ، الذي يحمل المنطق المقنع والروح المحبب ، ثم أهى هذا الحوار بلمسة حنان على صدر الفتى المتوقد ، ومع اللمسة

١ـ الألباني : " سلسلة الأحاديث الصحيحة " ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٧١٢ ، ح ٣٧٠ .

دعوات خالصة لله تعالى أن يغفر للفتى ويطهره ويحصنه ، فإذا هو يخرج من مجلس الرسول الكريم ، كأنما كان هذا اللقاء لنار شهوته ، بردا وسلاما [١] .

ولتوظيف الحوار تربويا هناك أمور ينبغي على المربي أن يراعيها من أهمها ما يلي :

١ــ أن يكون في نفسه قدوة صالحة يحتذى بها.

٢ــ عدم التركيز على جوانب القصور مع عدم التحقير .

٣ــ على المربي أن يحرص على عدم التناقض بين فعله وبين ما يطرحه خلال حواره .

٤ــ على المربي مراعاة استراتيجيات الحوار وآدابه وأساليبه المختلفة .

٥ــ على المربي مراعاة طبيعة الحوار واختلافه من فئة إلى أخرى فحوار الصغار غير حوار المراهقين غير حوار الكبار وهكذا .

نماذج تطبيقية لبعض مجالات الحوار :

في الأسرة :

إن العوامل المؤدية إلى نجاح الحياة الأسرية كثيرة ، واستخدام أسلوب الحوار بين أفراد الأسرة يعد من العوامل المهمة في ذلك ؛ لهذا فإن الباحث يقترح على الأسرة المسلمة أن تخصص وقتا معينا للحوار فيما بين أفرادها فالأبوين يحتاجا إلى ذلك مع بعضهما وكذلك يحتاجا إليه في تربيتهما لأولادهما ، فمن المهم تخصيص هذا الوقت للحوار المفتوح مع الأولاد حيث يتم من خلال هذا الحوار المفتوح نقاش الأولاد عما فعلوه خلال يومهم المدرسي ، ومعرفة ما يميلون إليه ويحبونه أو ينفرون منه ويكرهونه ، والإجابة عما يدور في أذهانهم من أسئلة ، ومناقشة ما قد يقع فيه الأولاد من أخطاء ومعرفة العوامل التي أدت إلى ذلك وطرح الحل المناسب لها من خلال حوار مفتوح مشتمل على المصارحة مؤطر بالنقد البناء ، بعيدا عن التجريح وتحفيز روح العدوانية ، مع التنبيه هنا على ضرورة أن يكون الوالدان في هذا الموقف القدوة الصالحة لأولادهما .

١ــ القرضاوي ، يوسف : الرسول والعلم ، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ ، بيروت ، (١٤١١هـ) ، ص ص ١٢٢ ــ ١٢٣ .

في المدرسة :

إن أسلوب الحوار في المدرسة يأخذ مجالا رحبا وصوره التطبيقية تتنوع تبعا لذلك فمن الصور التطبيقية لأسلوب الحوار في المدرسة ما يلي :

١ ــ استخدام أسلوب الحوار كطريقة من طرق التدريس والمعلم في هذا الأسلوب " لا يعمد إلى كشف الحقائق مباشرة بل يتخذ الحوار والمناقشة وإلقاء مجموعة من الأسئلة المترابطة حتى يتوصل بأذهان وعقول الطلاب إلى المعلومات و الأفكار الجديدة . فشرح الدرس وتوضيح أفكاره من خلال هذه الطريقة يعتمد على تفاعل المعلم مع طلابه واستجوابه لهم " [١] .

٢ ــ المناظرة والحوار القصصي أو التمثيلي من خلال الأنشطة المدرسية ويتم ذلك تحت إشراف رائد المناظرة والمشرف عليها بالمدرسة ، والذي من أهم واجباته ما يلي [٢]:

ــ أن يتتبع المناقشة في انتباه واهتمام ويقظة .

ــ أن يحرص على صفاء الجو بين المتناظرين خلال المناظرة .

ــ أن يتيح الفرصة المتكافئة للراغبين في الكلام من الطرفين .

ــ أن يكون على جانب عظيم من ضبط الأعصاب وقوة الشخصية .

أن يكون موقفه موقف المعلم القدير ، والقائد الحكيم في توجيه المناقشة نحو تحقيق الهدف.

ــ أن يراعي إنهاء المناظرة عندما يثبت له أن الموضوع قد أشبعه المتناظرون فيعلن حينئذ عن إنهاء المناقشة ، ثم يقوم بتخليص قصير لآراء الفريقين ، ويأخذ أصوات الجمهور ، ثم يعلن نتيجة المناظرة .

٣ ــ الحوار الإرشادي والذي يتم بين المرشد الطلابي بالمدرسة وبين الطلاب والذي يتم من خلاله معالجة الأخطاء السلوكية والخلقية وكذلك معالجة التقصير أو تدني المستوى

١ــ وزارة المعارف : المختصر النفيس في مهارات وطرق التدريس ، الإدارة العامة للتعليم بمنطقة مكة المكرمة ، تعليم جدة ، إدارة الإشراف التربوي ، شعبة اللغة العربية ، ط١ ، (١٤٢٣هـ) ، ص ٤٦ .

٢ــ وزارة المعارف : دليل المعلم في التعبير والإنشاء ، الإدارة العامة للتعليم بمنطقة مكة المكرمة ، تعليم جدة ، إدارة الإشراف التربوي ، شعبة اللغة العربية ، ط١ ، (١٤٢٢هـ) ، ص ص ٩٩ ــ ١٠٠ .

الدراسي لدى الطلاب إلى غير ذلك من خلال حوار مفتوح صريح كما تقدم بيانـــه في مجال الأسرة .

من خلال المجتمع :

إن الحوار كما تقدم في ثنايا هذا البحث يعد من أهم وأفضل الأساليب التربويـــة الـــتي ينبغي تطبيقها في جميع مؤسسات المجتمع التربوية والصور التطبيقية في هذا المجال أكثر مـن أن تحصر ومن ذلك :

١ــ عن طريق الإعلام يمكن طرح برامج حوارية حول بعض قضايا المجتمـــع المختلفـــة العقدية والفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها من القضايا من أجل تصحيح المفـــاهيم وعلاج الأخطاء والانحرافات ومن أجل توسيع المدارك والأفهام مـــن خـــلال برامـــج متخصصة في هذا المجال .

٢ــ من خلال المسجد عن طريق إقامة الندوات الحوارية .

٣ــ من خلال المؤسسات المختلفة الأخرى كالأندية الثقافية والمراكز الدعوية وغيرها .

المحور الثاني

فضل العلم ومنزلة العلماء

يُعد العلم هدفاً أساسياً في عملية التربية ، فبدونه لا تتكامل شخصية الفـــرد ، ولا يصلح حال الجماعة ، ولا تتم عملية التربية ذاتها على نحو شمولي متكامل ومتوازن يراعـي شتى أبعاد الشخصية الإنسانية : من روح وعقل ووجدان وبدن .

ومن ثم فإن تحصيل العلم وكسبه وتنميته باستمرار وتوسيع مجالاته ، يعتبر من أهـــم أهداف العملية التربوية بمختلف برامجها ومناهجها ونظمها وطرائقها .

والعلم يعد فوق ذلك ، من أهم الوسائل ، بل من أولاها وأكثرها فاعلية ، لتحقيـق تقدم الفرد والجماعة معاً ، ورفعتهما ورقيهما وتطوير حياتهما وتحسين مستواها بشـــكل متواصل ، وصنع ازدهار الحياة البشرية ، وتعميم الرخاء والرفاهية بين الجميـــع بحســـن استثمار الكون بإمكانياته الظاهرة والمخبوءة على أمثل وجه ممكن [١] .

لذلك نجد أن الإسلام ما دعا أبناءه إلى شيء ولا حثهم على الاهتمام به ، والحرص عليه ، وبذل الجهد والعمر في سبيله ، كدعوته إياهم لطلب العلم وتحصيله والاســـتزادة منه ، فجاءت النصوص تترا من كتاب وسنة تدعو إلى العلم وتبين فضله ورفعة مكانـــة أهله ، فالناظر في كتاب الله يجد أن مادة " علم " تكررت ما يقارب ســـبعمائة وســـبع وعشرين مرة [٢] ، ونصوص السنة في هذا المجال كذلك جاءت متكاثرة متابعة ومؤكـــدة لما جاء في القرآن الكريم من بيان شأن العلم العظيم وفضله العميم ومكانتـــه الرفيعـــة .

ومن النصوص العظيمة الواردة في بيان فضل العلم ورفعة مكانة أهله ما جاء في ســـورة المجادلة في قولـــه تعـــالى :﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة : آية ١١] .

١ــ الزنتاني ، مرجع سابق ، ص ٢٩٢ .

٢ــ عبدالباقي ، محمد فؤاد : المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، مصر ، (د . ت) ، ص ص ٤٦٩ ــ ٤٨٠ .

يقول ابن مسعود رضي الله عنه : " ما خص الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية ، فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم " [١] .

وينقل ابن جماعة عن ابن عباس قوله في بيان رفعة درجات العلماء : " العلماء فوق المؤمنين مائة درجة ، ما بين الدرجتين مائة عام " [٢] .

ويقول القرطبي في تفسيره لمعنى الرفعة في الآية : " أي من الثواب في الآخرة ومن الكرامة في الدنيا ، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم " [٣] .

ولما في هذه الآية من دلالة عظمى على فضل العلم ورفعة أهله نجد أن البخاري في صحيحه في باب فضل العلم في كتاب العلم اقتصر عليها مع قوله تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [سورة طه : آية ١١٤] وذلك لما في هاتين الآيتين من الدلالة الواضحة على فضل العلم .

ويذكر الرازي أن الله تعالى ذكر الدرجات لأربعة أصناف :

الصنف الأول : للمؤمنين من أهل بدر حيث قال سبحانه وتعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال : آية ٢ ــ ٤] .

الصنف الثاني : المجاهدين حيث قال تعالى :﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء : آية ٩٥] .

١ــ السيوطي ، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين : تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، جـ ٨ ، ص ٨٣ .

٢ــ ابن جماعة ، بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله : تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، دار المعالي ، ط ٣ ، الأردن ، عمان ، (١٤١٩هـ) ، ص٢٧.

٣ــ القرطبي : مرجع سابق ، جـ ١٧ ، ص ٢٩٩ .

الصنف الثالث : الصالحين حيث قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ [سورة طه : آية ٧٥] .

الصنف الرابع : العلماء وذكرهم في الآية مدار البحث ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة : آية ١١] .

ثم قال : " فالله فضل أهل بدر على غيرهم من المؤمنين بدرجات وفضل المجاهدين بدرجات وفضل الصالحين على هؤلاء بدرجات ثم فضل العلماء على جميع الأصناف بدرجات فوجب أن يكون العلماء أفضل الناس" [١] .

فضائل العلم

ولبيان مزيد من فضل العلم ورفعة مكانة أهله يورد الباحث بعضاً من فضائله مما جاء في النصوص غير ما ذكر في هذه الآية فمن فضائل العلم [٢] :

١ـ أنه إرث الأنبياء

يقول النبي صلى الله عليه وسلم " وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر " [٣] .

فالعلم هو إرث الأنبياء بعد موتهم كما كان من أخص خصائصهم في حياتهم حيث كان علمهم بمثابة اليعسوب الذي يلتف حولهم الناس بسببه ، والبلسم الشافي الذي يتهافت الناس عليهم من أجله [٤] . فهذا إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يدعو أباه إلى الحق بين له أن المؤهل العظيم الذي أهله الله تعالى به ليدعو إليه هو العلم ؛ فقال : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم : آية ٤٣] .

١ــ الرازي ، الفخر ، مرجع سابق ، م١ ، جـ٢ ، ص ١٩٥.

٢ــ انظر : العثيمين ، محمد بن صالح : كتاب العلم ، دار الثريا ، ط ٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، إعداد : فهد بن ناصر السليمان ، (١٤١٧هـ)، ص ص ١٦ ــ ٢٠ .

٣ــ أبو داوود : مرجع سابق ، ح ٣٦٤١ ، ص ٤٠٣ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داوود " ، مرجع سابق ، ح٣٦٤١ ، جـ٢ ، ص٦٩٤ .

٤ــ الحمدان ، أحمد بن عبدالعزيز : نيل الأرب من أدب الطلب ، دار الأندلس الخضراء ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤١٩هـ) ، ص٧.

وهـذا يعقوب عليه السلام امتن الله تعالى عليه بالعلم وبين فضله به فقال سبحانه:﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سورة يوسف : آية ٦٨] .

وهذا يوسف عليه السلام برز بالعلم وبزَّ إخوانه فقد بشره أبوه باصطفاء الله له ، وجعله من العلماء ، وأن علمه سيكون نبراساً للناس ، وسبباً رئيساً لالتفافهم حوله ، فقال تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة يوسف:آية٦]، ولما كبر عليه السلام آتاه الله تعالى مابشره به أبوه :﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة يوسف : آية ٢٢] .

وهذان داوود وسليمان عليهما السلام جعلهما الله تعالى أفضل الناس بما آتاهما من علم ؛ فقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النمل : آية ١٥] .

وهذا خاتم الأنبياء وسيدهم ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، كانت أعظم منةٍ امتن الله تعالى عليه بها بعد الإيمان : العلم [١] يقول تعالى :﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء : آية ١١٣] .

فالعلم أخص خصائص أنبياء الله وهو إرثهم الذي ورثوه للعلماء ، وفي هذا الأمر تنبيه على أن العلماء أقرب الناس للأنبياء ، وفيه إرشاد وأمر للأمة بطاعة العلماء وتعزيرهم وتوقيرهم وإجلالهم فإنهم ورثوا من هذه بعض حقوقهم على الأمة [٢] ، فحسب العالم بهذه الدرجة مجداً وفخراً وبهذه المرتبة شرفاً وذكراً ، فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة ؛ فلا شرف فوق شرف وإرث تلك الرتبة [٣] .

١ــ المرجع السابق ، ص ص ٧ ــ ١٢ .

٢ــ العيد ، سليمان بن قاسم : المنهاج النبوي في دعوة الشباب ، دار العاصمة ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٥هـ) ، ص ١٤٢ .

٣ــ ابن جماعة ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

٢. اعتبر القرآن العلم الشطر الرئيس من أهداف الرسالة الإسلامية

يتضح هذا الأمر في جملة من آيات القرآن الكريم منها :

ـ **قوله تعالى** :﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة : آية ١٢٩] .

ـ **وقوله تعالى** :﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة آل عمران :آية١٦٤] .

ـ **وقوله تعالى** :﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الجمعة : آية ٢] .

فهذه الآيات وغيرها مما لم يذكر تبين أن الحكمة من إرسال النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل في أمرين :

الأول : العلم .

الثاني : التزكية .

فالعلم إذاً يعتبر شطر الرسالة الإسلامية ، بل هو الشطر الأساسي وذلك أن التزكية لا تقوم إلا على العلم [١] .

٣. شهادة العلماء بالوحدانية لله تعالى

يقول تعالى :﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٨] .

فهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام ، لقرنهم في شهادتهم بالتوحيد بشهادة الله سبحانه وتعالى وشهادة الملائكة [٢] .

وذكر ابن القيم أن هذه الآية تدل على فضل العلم من وجوه كثيرة منها :

ـ **استشهادهم دون غيرهم من البشر .**

١ـ عوض ، مرجع سابق ، ص ٢٦٠ .

٢ـ القاسمي ، محمد جمال الدين : محاسن التأويل ، دار الفكر ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٨هـ) ، جـ ٤ ، ص ٦٦ .

ـ اقتران شهادتهم بشهادة الله (سبحانه وتعالى) وشهادة الملائكة [١] .

٤. الحث على العلم في أول ما نزل من القرآن

إن أول أمر استأثر اهتمام الإسلام هو الحث على طلب العلم والإقبال عليه والاستزادة منه ، وذلك أنه الطريق الموصل إلى معرفة الله ، والسبيل الهادي إليه ، لهذا كان أول خطاب في القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم في أول آيات نزلت هي قوله سبحانه :﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[سورة العلق : آية ١ ـ ٥] وبهذا يجعل الإسلام العلم مفتاح دعوته وعنوان رسالته ، ثم توالت الآيات ، وتتابع الحث على العلم وأثير الاهتمام به والتوجه إلى طلبه تأكيداً وتثبيتاً :﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [سورة الرحمن : آية ١ ـ ٤] .

وقال سبحانه :﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [سورة القلم : آية ١] .

إلى غير ذلك من الآيات .

٥. تعظيم الملائكة لطالب العلم وحبها إياه

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده " [٢] .

ويقول صلى الله عليه وسلم : " وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم " [٣] .

يقول القرضاوي معلقاً على الحديثين : " وحسب هذا العلم فضلاً أن مجالسه تحفها ملائكة الله ، وتنزل عليها السكينة ، وتغشاها الرحمة ، ويذكرها الله في الملأ الأعلى ،

١ـ ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : مفتاح دار السعادة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) ، ج ١ ، ص ص ٤٨ ـ ٤٩ .

٢ـ الألباني : " صحيح الترغيب والترهيب " ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ح ٦٩ ، ص ١٣٧ .

٣ـ أبو داوود : مرجع سابق ، ح ٣٦٤١ ، ص ٤٠٣ ، ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن أبي داوود " ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ح٣٠٩٦ ، ص٦٩٤ .

وهذه الملائكة التي تحف مجالس العلم تضع أجنحتها لطالبيه ، فالوضع تواضع وتوقير وتبجيل ... والحف حفظ وحماية وصيانة . فتضمن الحديثان تعظيم الملائكة له ، وحبها إياه ، وحمايتها له ، وكفى بهذا شرفاً وفضلاً " [١] .

٦. إن العلماء هم أحد صنفي ولاة الأمور المأمور بطاعتهم

يقول سبحانه في ذلك :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [سورة النساء : آية ٥٩] .

يقول العثيمين : " إن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام ، والعلماء وطلبة العلم ؛ فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها ، وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها " [٢] .

٧. العلم داعٍ للإيمان ودليلاً عليه

يقول تعالى :﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [سورة الحج : آية ٥٤] .

يعلق القرضاوي على هذه الآية بقوله : " فهذه المعاني الثلاثة مترتب بعضها على بعض .فالعلم يتبعه الإيمان تبعية ترتيب بلا تعقيب ، ليعلموا فيؤمنوا . والإيمان تتبعه حركة القلوب من الإخبات والخشوع لله تعالى ، وهكذا يثمر العلم والإيمان الإخبات والتواضع لله رب العالمين " [٣] .

٨. استمرار ثواب العلم النافع بعد الممات

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " [٤] .

١ــ القرضاوي : " الرسول والعلم " ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

٢ــ العثيمين : " كتاب العلم " ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

٣ــ القرضاوي : " الرسول والعلم " ، مرجع سابق ، ص ص ١٤ ــ ١٥ .

٤ــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ١٦٣١ ، ص .

يقول ابن جماعة في هذا الحديث :

وأنا أقول : إذا نظرت وجدت معاني الثلاثة موجودة في معلم العلم .

أما الصدقة فإقراؤه إياه العلم وإفادته إياه ؛ ألا ترى إلى قوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في المصلي وحده : " من يتصدق على هذا " ؛ أي بالصلاة معه ؛ لتحصل فضيلة الجماعة ؟ ومعلم العلم يحصل للطالب المنتفع به فضيلة العلم التي هي أفضل من صلاة الجماعة ، وينال بها شرف الدنيا والآخرة .

وأما العلم المنتفع به ؛ فظاهر ؛ لأنه كان سبباً لإيصال ذلك العلم إلى كل من انتفع به .

وأما الدعاء الصالح له ؛ فالمعتاد المستقرأ على ألسنة أهل العلم والحديث قاطبة من الدعاء لمشايخهم رأئمتهم ، وبعض أهل العلم يدعون لكل من يُذكر عنه شيء من العلم ، وربما يقرأ بعضهم الحديث بسنده ، فيدعو لجميع رجال السند ، فسبحان من اختص من شاء من عباده بما شاء من جزيل عطائه [١] .

١٠. العلم دليل العمل

ترجم الإمام البخاري في جامعه الصحيح : " باب العلم قبل القول والعمل " وذكر تحته قوله تعالى :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [سورة محمد : آية ١٩] .

فبدأ بالعلم وثنى بالعمل [٢] .

وقال معاذ رضي الله عنه في شأن العلم : " وهو إمام العمل والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء " [٣] .

وروى سفيان بن عيينه عن عمر بن عبدالعزيز ـــ رحمه الله ـــ قال : " من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح " [٤] .

١١. طلب العلم طريق للجنة

دل على ذلك حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة " [٥] .

١ـــ ابن جماعة : مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

٢ـــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

٣ـــ ابن عبد البر : " جامع بيان العلم وفضله " ، مرجع سابق ، جـــ ١ ، ص ٢٣٩ .

٤ـــ المرجع السابق ، جـــ ١ ، ص ١٣١ .

٥ـــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٢٦٩٩ ، ص ١٠٨٢ .

١٢ـ العلماء هم أهل خشية الله

كلما ازدادت معرفة العبد بربه كلما زادت خشيته له وإنابته إليه ورهبته منه ، من هنا كانت الخشية لله أكمل ما تكون من العلماء لمعرفتهم به سبحانه وفي ذلك يقول سبحانه :﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [سورة فاطر : آية ٢٨] .

١٣ـ منزلة العالم فوق منزلة العابد

صح بذلك الخبر عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، من حديث أبي أمامة الباهلي قال : " ذُكِرَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله وملائكته وأهل السموت والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير " [1] .

فهذه جملة من فضائل العلم ورفعة مكانة أهله وغيرها كثير جداً وليس هذا مكان بسطه وإنما المقصود ذكر طرفاً منها يدل على المقصود في هذا الباب العظيم .

العلم الذي يريده الإسلام ويدعو إليه :

لقد هيأ الإسلام كل السبل لإطلاق الطاقات والكفايات الإنسانية ، من ذلك دعوته للعلم بمفهومه الواسع الشامل فنجد أن الإسلام كثيراً ما يلفت الأنظار إلى أسباب العلم: القراءة والنظر والتأمل في ملكوت الله والسير في الأرض .

ففي القراءة يقول سبحانه :﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورة العلق : آية ١ ــ ٥] .

وفي النظر والتأمل يقول سبحانه :﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يسورة يونس: آية١٠١].

١ــ الترمذي : مرجع سابق ، ح ٢٦٨٥ ، ص ٤٣٤ ؛ وصححه الألباني : " صحيح سنن الترمذي " ، مرجع سابق ، ح ٢٦٨٥ ، جـ ٣ ، ص ٧٢ .

وفي السياحة والسير في الأرض يقول سبحانه : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت : ٢٠](١).

ومن هذه النصوص العامة وغيرها كثير يتضح أن الإسلام يحث ويدعو إلى العلم في شتى مجالات الحياة يدعو إلى العلم الدنيوي كما يدعو إلى العلم الأخروي فالعلم في الإسلام يشمل الجانبين علم المعاد وعلم المعاش ، وهذا الأمر من مميزات الإسلام وخصائص تربيته الفريدة ، يقول آل سعود :

> للتربية الإسلامية طابع يميزها عن المناهج غير الإسلامية في التربية والتعليم ، وهذا الطابع الإسلامي مصدره القرآن الكريم . ذلك أن القرآن بإجماع المسلمين في الماضي والحاضر والمستقبل ، هو المصدر الخالد لعقائد الإسلام ومبادئه وأخلاقه وثقافته ، وهو الأساس الثابت للنظم الإسلامية في التشريع والاجتماع والاقتصاد والتربية والتعليم. هذا المنهج القرآني يتميز بأنه يربط العلوم جميعها بالمبادئ العليا الإسلامية ، في العقائد والأخلاق والاجتماع والاقتصاد والتشريع ، وأن نظم التربية والتعليم القرآنية أساسها أن كل علم نافع للمجتمع وضروري له ، واجب على الأمة تهيئة أسباب تعلمه لجميع أفرادها أو الطائفة منهم حسبما تقتضيه حاجة الزمان والمكان ، وأن وجود العلماء المتخصصين للتوسع والتعمق في كل فرع من فروع العلم فرض كفاية على المسلمين ، يأثمون جميعاً إذا لم توجد منهم طائفة تخصصت في أحد فروع العلم الضرورية والنافعة للأمة في حياتها الدنيوية والأخروية ، وأن جميع فروع العلم تخضع لهذا المبدأ ، سواء كانت من علوم الدين أو علوم الدنيا ، وسواء كان مصدرها الوحي الإلهي أو العلم المكتسب (٢) .

إن الإسلام بهذه التربية الفريدة يعتبر أكبر مناصر للعلم وأعظم من حث على اكتسابه حيث استطاع أن يقضي على القطيعة الموهومة بين الدين والعلم حيث "يتضح الفرق بين التعليم في الإسلام وغيره من الأديان الأخرى حين نرى ما بذله رجال الدين في العصور القديمة والوسطى لاستبقاء الجماهير في أغلال الجهل حين حسبوا أن سلطانهم

١ــ سابق ، سيد وعدلان ، محمد عثمان علي : " التربية العقلية في الإسلام " ، بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٩٧٧م) ، ص ص ٥-٧ .

٢ــ آل سعود ، محمد الفيصل : " القرآن الكريم أساس التربية الإسلامية " ، سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٩٧٧م)، ص ص ٧ــ٨ .

يزول باستنارة العقول ، وأن ظلهم يتقلص بطلوع شمس العلم والمعرفة . وأما الإسلام فيرى زيادة العلم تؤدي إلى تقوى الله وخشيته وهي جوهر الإيمان وروحه " [١] .

وبعد هذا البيان لدعوة الإسلام إلى العلم على وجه الشمول والعموم لا بد من توضيح أن العلم في نظر الإسلام له مراتب متعددة ، تتفاوت في علو شأنه ورفعة مقامه وسمو قيمته وأسبقية فضله ، تبعاً للموضوعات التي ينصب عليها ذلك العلم وغايته ووسيلته ، فلا شك ولا ريب أن أولى العلوم بالفضائل ورفعة المكان وسمو المنزلة هو علم الدين الذي به يعرف الإنسان ربه ويعرف نفسه ويهتدي إلى غايته ، ويكتشف طريقه ، ويعلم ماله وما عليه ثم بعد ذلك كل علم يكشف له عن حقيقة تهديه إلى الحق أو تقربه من خير ، أو تحقق له مصلحة أو تدرأ عنه مفسدة ولو كان هذا العلم علماً مادياً قائماً على المشاهدة الحسية والتجربة فإن لهذا العلم قيمته كذلك وهو مطلوب للإنسان ولا شك ، ولكنه مطلوب طلب الوسائل لا طلب الغايات ، فهو يعين الإنسان على الحياة وييسر له سبلها ، ويختصر له الزمان ويقرب له المكان : فيقرب له البعيد ، ويلين الحديد ، ولكنه وحده لا يستطيع إسعاد البشرية . كما لا يمكنه بمفرده أن يضبط سير الحياة ، ويقاوم أنانية الإنسان ونزعات نفسه الأمارة بالسوء بل لا بد معه من العلم الديني الذي ينمي الإيمان ويحيي الضمائر ، ويغرس الفضائل ويقي الإنسان شح نفسه وطغيان غرائزه على عقله ، وهواه على ضميره ، وهذا هو العلم الذي يعصم " العلم المادي " من الانحراف ، ويحول دون استخدامه في التدمير والعدوان [٢] .

مما سبق يمكن القول بأن أهم مراتب العلم ما يلي [٣] :

المرتبة الأولى : العلم المتعلق بالإيمان بوجود الله تعالى وبوحدانيته وبربوبيته ، وباتصافه بالكمال المطلق ، وهذا العلم السامي هو مصدر هداية الإنسان وأمنه وسلامته وسكينته ، وطمأنينته واستقامته وخيره وبركته ، واستقلاله وعزته يقول

١ــ سابق : مرجع سابق ، ص ٥ .

٢ــ القرضاوي : " الرسول والعلم " ، مرجع سابق ، ص ص ٩ ، ١٥ .

٣ــ أنظر : الزنتاني : مرجع سابق ، ص ص ٣٠٣ ــ ٣١٠ .

سبحانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [سورة محمد : آية ١٩]. فلا خير في علم لا يهدي صاحبه إلى معرفة خالقه وتوحيده وعبوديته الخالصة له ، واتباع شرعه الحكيم وصراطه المستقيم . وبمعرفة الإنسان لربه تزداد خشيته له ، وانقياده وتسليمه إليه وإخلاصه التام له في النية والقول والعمل والرضا بقضائه وقدره ، واستشعاره لمعيته له ، فيستقيم في سلوكه ويتحلى بالخلق الفاضل والآداب الكريمة ، ويأمر بالمعروف ويلتزم به وينهى عن المنكر ويتجنبه ، ويشع بالهدى والتقى والخير على كل من يتصل به .

المرتبة الثانية : وهي مرتبطة بالمرتبة الأولى ومبنية عليها ألا وهي العلم بأحكام الشريعة من مسائل الحلال والحرام حيث أن هذا الأمر هو قوام سلامة العقيدة وصحة العبادة ، واستقامة الخلق وطهارة الحياة وحفظ كيان الجماعة من عوامل الضلال والتفسخ الخلقي والانحلال الاجتماعي يقول صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين "[1].والعلم بالحلال لازم للأخذ به والاستمتاع بالطيبات التي أحلها الله لمنفعة الإنسان في دنياه وأخراه .والعلم بالحرام لازم لاجتنابه ، والوقاية من الخبائث التي حرمها الله لما فيها من مضرة على الإنسان في دينه ودنياه .

المرتبة الثالثة : علم الإنسان بنفسه وذلك بإدراك وفهم أبعادها وقواها واستعداداتها وقدراتها وميولها ومواهبها ، بغية تنميتها وصقلها واستثمارها في خير الدنيا لصالح الفرد والجماعة بالعلم والعمل النافع المنتج ، وإعدادها للآخرة بقيامها بما ألزمها الله من أمور العبادة ، وضبط غرائزها وتهذيب سلوكها وتزكيتها وترقية وجدانها بالعقيدة والعبادة والاستقامة الخلقية الذاتية . يقول تعالى :﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[سورة الذاريات : آية ٢١] ، ويقول سبحانه :﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ

١ــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٧١ ، ص٣٩ .

لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ [سورة الشمس : آية ٧ ــ ١٥] .

المرتبة الرابعة : العلم بالحياة وما يتصل بها ويدخل تحت دائرتها من المجتمع والكون الذي يعيش فيه الإنسان بمظاهره وظواهره وعناصره وتركيباته وأجزائه ، وذلك بغية فهم حقائق الأشياء ، وكنه الموجودات ، وإدراك القوانين التي تسيرها ومعرفة نظمها ومقاصدها من أجل تسخيرها لفائدة الإنسان ، واستثمارها لصالحه . يقول تعالى : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ [سورة الذاريات : آية ٢٠] . **ويقول سبحانه :** ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [سورة البقرة : آية٢١٩ ــ ٢٢٠] .

تلك من أهم مراتب العلم التي ترشد إليها النصوص الشرعية من كتاب وسنة ويمكن تفريعها إلى عدة أقسام أخرى بحسب النظر والتأمل ، ولكن يجدر الإشارة هنا إلى أمرين : الأول : أن العلم والمعرفة بمختلف فروعها في نظر التربية الإسلامية تعتبر متكاملة ومنسجمة مع بعضها البعض وهي كلها مسخرة لخدمة الإنسان وتحقيق سعادته في الدارين : في الدار الدنيا بالاستقامة والعمل المثمر وفي الدار الأخرى بالإيمان والعبادة والعمل الصالح [1] .والأمر الثاني : إن دعوة الإسلام للعلم اتصفت بالشمول ، وهذا الشمول يرمي إلى التوازن والتناسق بين كافة العلوم المفيدة حتى تتحقق للمسلمين القوة التي قال عنها تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنفال : آية ٦٠]

١ــ المرجع السابق : ص ٣١٠ .

التطبيقات التربوية

إن التوجيهات والإرشادات إن لم توظف عملياً وتطبق بحيث تصبح واقعاً ملموساً فلن يكون لها أي أثر يذكر أو فائدة ترجى لذلك كان لتوظيف التوجيهات التربوية بالغ الأهمية . وبالنسبة لما يتعلق بالتوجيهات التربوية في جانب فضل العلم ومنزلة العلماء فقبل ذكر التطبيقات التربوية في هذا الجانب يورد الباحث موقفين للخليفة الراشد والملهم المحدث عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ حيث يظهر فيها كيف كان يوظف عملياً ما جاء في هذا الباب من نصوص شرعية تضمنت التوجيهات في هذا الباب :

الموقف الأول ذكر البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال : كان عمر يُدْخِلُني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم تُدخِل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله ؟ فقال عمر : إنه من قد عَلِمْتُمْ ، فدعاه ذات يومٍ فأدخله معهم ، فما رئِيتُ أنه دعاني يومئذٍ إلا ليُرِيَهُمْ ، قال : ما تقولون في قول الله تعالى :﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ . فقال بعضهم : أُمِرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نُصِرْنَا وفُتِحَ علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذاك تقول يا ابن عباسٍ ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له . قال :﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ . وذلك علامة أجَلِكَ . ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ . فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول [١] .

والموقف الثاني جاء في صحيح مسلم عن عامر ابن واثلة ، أن نافع ابن عبد الحارث لقي عمر بعسفان ، وكان عمر يستعمله على مكة ، فقال : من استعملت على أهل الوادي ؟ فقال : ابن أبزى . قال : ومن ابن أبزى ؟ قال : مولىً من موالينا . قال : فاستخلفت عليهم مولىً ؟ قال : إنه قارئ لكتاب الله عز وجل ، وإنه عالم بالفرائض . قال عمر : أما إن نبيكم ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد قال ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)) [٢] .

١ــ البخاري : " صحيح البخاري " ، مرجع سابق ، ح ٤٩٧٠ ، ص ٩٨٨ .

٢ــ النيسابوري ، مسلم : مرجع سابق ، ح ٨١٧ ، ص ٣١٨ .

فيتضح من هاتين الحادثتين كيف كان السلف الصالح يُنزِلون التوجيهات الربانية والتعاليم النبوية على أرض الواقع بحيث تكون جزءاً من حياتهم العملية فهي ليست محض كلام يقال ، بل هي دينٌ يعتقد ، ومنهاج يُتبع ، وأوامر تُطاع ، وتعليمات تنفذ ، ودعوة تلبى [١] ، ولتوظيف ماجاء من توجيهات تربوية في فضل العلم ومنزلة العلماء يذكر الباحث بعض الخطوات العملية في هذا الجانب :

أولاً في الأسرة :

١ــ أن يكون الوالدان قدوة لأولادهما في الحرص على التزود من العلم ومعرفة فضله وقدره ورفعة أهله .

٢ــ تكوين مكتبة للأسرة يستفيد منها الصغير والكبير متنوعة المواد تشتمل على ثلاثة أجزاء : جزء للمقروء وثانٍ للمسموع وثالثٍ للمرئي .

٣ــ اصطحاب الأولاد للمعارض العلمية : معارض الكتاب ، معارض الكمبيوتر ، معارض الشريط .

٤ــ تعليم الأولاد تقنية الحاسب الآلي والاستفادة منها في جانب تحصيل العلم .

٥ــ اصطحاب الأولاد للمحاضرات والندوات العلمية المختلفة ، والتي تقام في المساجد والنوادي أثناء الإجازات الصيفية وغيرها .

ثانياً في المدرسة :

١ــ أن يكون المعلم قدوة لتلاميذه في هذا الجانب .

٢ــ أن تُهيّأ المكتبة المدرسية لتقوم بدورها في هذا الجانب وأن يوكل الإشراف عليها إلى معلم ذي كفاءة علمية وتربوية عالية مما يساعده على القيام بعمله على أكمل وجه .

٣ــ أن يقوم النشاط المدرسي بدوره في هذا الجانب من خلال الإذاعة المدرسية وإقامة الندوات والمحاضرات العلمية المختلفة وكذلك المسابقات العلمية المختلفة . وكذلك

١ــ القرضاوي : " الرسول والعلم " ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

اصطحاب التلاميذ لزيـــارة المكتبات العامة ومكتبات الجامعـــات والمعـــارض العلميـــة المختلفة .

ثالثاً في المجتمع :

١ــ أن يقوم المسجد بدوره في هذا الجانب من خلال خطب الجمعة وإقامة المحـــاضرات والندوات العلمية التي يُستضاف فيها العلماء في مختلف العلوم . وكذلك تكوين مكتبـــة علمية بالمسجد لخدمة أهل الحي .

٢ــ أن يقوم الإعلام بدوره في هذا الجانب كذلك من خلال البرامج العلمية المتنوعـــة وكذلك البرامج المباشرة بحيث يُستضاف فيها أهل العلم في مختلف التخصصات .

٣ــ إنشاء المكتبات العامة الكبرى وتزويدها بمختلف التجهيزات المطلوبة لتقوم بدورهـــا المطلوب في هذا الجانب لخدمة المجتمع .

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام علـــى أشـــرف الأنبيـــاء والمرسلين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين .

وبعد ، فبعد أن من الله تعالى على الباحث بوافر فضله وعظيم كرمه حيث يسر لـــه إتمام هذه الدراسة التي بين فيها أهم التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة حيـــث جاء الحديث أولاً عن التعريف بالسورة ثم أُتبع بذكر التوجيهات التربوية المتضمنـــــة في الجانب العقدي وتطبيقاتها التربوية وكانت في محورين : معية الله لعباده والموالاة والمعاداة، ثم التوجيهات التربوية المتضمنة في الجانب التعبدي وتطبيقاتها التربوية وكانت في محورين: مكانة النبي صلى الله عليه وسلم والكفارات في الشـــــريعة ، ثم التوجيـــهات التربويـــة المتضمنة في الجانب الاجتماعي وتطبيقاتها التربوية وكانت في ثلاثة محاور : آداب النجوى وآداب التحية وآداب المجالس ، ثم التوجيهات التربوية المتضمنة في الجـــانب الفكـــري وتطبيقاتها التربوية وكانت في محورين : الحوار وفضل العلم ومكانة أهله ، وفي خاتمة هذه الدراسة يسر الباحث أن يلخص أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ، ويذكّر بـــأهم ما تحث عليه من توصيات على النحو التالي :

النتائج :

١ــ إن سورة المجادلة رغم قلة عدد آياتها إلا أن توجيهاتها اتصفت بالتعدد والشـــمول لجوانب كثيرة عقدية وتعبدية واجتماعية وفكرية وهذا يدل على عظمة هذا الكتـاب الفريد وبركته العميمة وأنه نبع سخي ، ومصدر ثري دائم العطاء ، متجدد النفـــع ، فيه التشريع وفيه إرشاد الفكر وفيه توجيه السلوك وفيه العناية بالإنسان ككل مـــن جميع جوانبه فهو منهج تربوي كامل .

٢ــ إن سورة المجادلة تُعد من النماذج القرآنية التي تعرضت لبيان تربيـــة الجيـــل الأول وكيف كان الأسلوب القرآني يبني النفوس المؤمنة ، وكيف كان يتم علاج الأحداث والنزوات والعادات .

٣ــ إن تحقيق العبد للعبودية التامة مرتبط بترسيخ حقيقة المعية الالهية في نفسه .

٤ــ إن للموالاة والمعاداة مكانة عظيمة في الإسلام فهي أوثق عرى الإيمان ومعناها توثيق عرى المحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الدين .

٥ــ إن تطبيق الموالاة والمعاداة في الله من أهم العوامل المؤدية إلى تماسك الأمة ووحدتها ، ومما يحقق لها ذاتيتها ، ويربطها بمنابع أصالتها الكتاب والسنة ، ويحميها من الوقوع في الولاءات الجاهلية من قومية وعرقية ووطنية وعالمية وغيرها .

٦ــ إن معرفة مكانة النبي صلى الله عليه وسلم والقيام بما تقتضيه هذه المكانة من التعظيم هو من مقتضيات ولوازم شهادة أن محمداً رسول الله حيث أن أساس تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وقاعدته التي يبنى عليها هو تحقيق هذه الشهادة وما تقتضيه من الطاعة والتصديق والمحبة وأن هذه الأمور محورها ومرتكزها هو الاتباع والتأسي .

٧ــ إن من عظمة هذا الدين حرصه على ما يمحو عن العباد خطاياهم وسيئاتهم ولذلك شُرعت الكفارات التي تعتبر من المنن العظيمة التي تفضل الله بها على عباده الخاطئين ليزيل عنهم درن الذنوب والمعاصي .

٨ــ إن مفهوم العقوبة في الإسلام بشكل عام والكفارات الشرعية بشكل خاص يقوم على تقويم الغرائز والردع والزجر والجبر من أجل تزكية النفوس لا كما يصوره أعداء الدين من أنه يقوم على الانتقام والتنكيل بالجاني .

١٠ــ إن التوجيهات الربانية والإرشادات النبوية المتضمنة في النصوص الشرعية من كتاب وسنة تربي المسلم على الآداب الكريمة ، والخصال الحميدة ، والأخلاق الفاضلة مما يقوي عرى الأخوة الإيمانية ، وينشر الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع .

١١ــ إن الحوار وسيلة تربوية لها بالغ الأهمية ؛ فعن طريقه يمكن علاج كثير من الأخطاء السلوكية والانحرافات الخلقية ، وعن طريقه أيضاً يتم تعزيز كثير من السلوكيات الصحيحة .

١٢ــ إن الحوار لا تتحقق أهدافه إلا إذا كان قائماً على أصوله العلمية الصحيحة منضبطاً بآدابه الخلقية .

١٣ ــ إن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم تمثل الأنموذج التطبيقي لما جاء في القرآن الكريم من الآداب والتشريعات .

١٤ ــ إن من مميزات الإسلام وخصائص تربيته الفريدة دعوته إلى العلم بمفهومه الشامل الواسع في شتى مجالات الحياة حيث هيأ كل سبيل لإطلاق الطاقات والكفايات الإنسانية ، واستطاع أن يقضي على القطيعة الموهومة بين الدين والعلم ، ويصبح أكبر مناصر للعلم وأعظم من حث على اكتسابه .

١٥ ــ إن الإسلام مع دعوته للعلم بمفهومه الواسع الشامل إلا أن العلم في نظره له مراتب متعددة تتفاوت في علو الشأن ورفعة المكانة وسمو القيمة وأسبقية الفضل تبعاً للموضوعات التي ينصب عليها ذلك العلم وغايته ووسيلته .

التوصيات :

١ــ تربية النشء على منهاج الكتاب والسنة لأن هذا هو الطريق الوحيد الذي به ترجع الأمة إلى ربها ودينها ويعود لها عزها ومجدها وتعود رائدة قائدة كما كانت وكما يجب أن تكون .

٢ــ تكثيف البحوث والدراسات التربوية من خلال الكتاب والسنة ذلك أن هذا الجانب لا زال بحاجة إلى تأصيل وتنظير .

٣ــ أهمية ترجمة التوجيهات التربوية المتضمنة في النصوص الشرعية إلى حياة ومعاملة وسلوك يظهر أثرها على أرض الواقع .

٤ــ أهمية تعاون وتكامل وسائط التربية المختلفة فيما بينها من أجل تحقيق التربية المنشودة .

المقترحات :

إن هذه الدراسة المتواضعة لا تفي بحق هذه السورة العظيمة ولا زال أمام من أراد دراسة هذه السورة من التوجيهات الشيء الكثير فالقرآن الكريم بجميع سوره معين تربوي لا ينضب ومن الدراسات التي لم تشملها الدراسة الحالية ويقترح الباحث دراستها ما يلي :

١ـ دراسة التوجيهات التربوية للأسرة المسلمة(الجانب الأسري) من خلال سورة المجادلة .

٢ـ دراسة التربية القرآنية في العهد المدني من خلال سورة المجادلة .

٣ـ يمكن إفراد كل محور من محاور التوجيهات المستنبطة بدراسة خاصة .

هذا واسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع مجيب . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المصادر والمراجع العامة :

١. آل سعود ، سارة عبدالمحسن عبدالله بن جلوي : المسلم المعاصر بين المعية والمسؤولية ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) .

٢. إبراهيم ، الصادق بن محمد : خصائص المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الغلو والجفاء ، مكتبة الرشد ،ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) .

٣. أبو السعود ،محمد بن محمد العمادي : تفسير أبي السعود ، دار احياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .

٤. أبو حيان ، أثير الدين محمد بن يوسف : التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ، دار إحياء التراث العربي ، ط٢ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١١هـ) .

٥. أبو خليل ، شوقي : من ضيع القرآن ، دار الفكر المعاصر ، ط٣ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٨هـ) .

٦. أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داوود ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د.ت) .

٧. أبو زهرة ، محمد : التكافل الاجتماعي في الإسلام ، دار الفكر العربي (د .ت) .

٨. الأرمي ، محمد الأمين بن عبدالله : حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، دار طوق النجاة ، ط١ ،لبنان ، بيروت ، (١٤٢١هـ) .

٩. الأزهري ، محمد بن أحمد : تهذيب اللغة ، مطابع سجل العرب ، مصر ، القاهرة، تحقيق : علي حسن هلالي ، (د.ت) .

١٠. الأصبهاني ، أبو نعيم : دلائل النبوة ،دار الباز ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (د.ت) .

١١. الألباني ، محمد ناصر الدين : صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ، ط٣ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٨هـ) .

١٢. ـــــــــــــــ : صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٨هـ) .

١٣. ـــــــــــــــ : صحيح سنن أبي داوود ، مكتب التربية العربي ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٩هـ) .

١٤. ـــــــــــــــ : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، مكتبة المعارف ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٥هـ) .

١٥. ـــــــــــــــ : صحيح الأدب المفرد ، مكتبة الدليل ، ط ٤ ، المملكة العربية السعودية ، الجبيل ، (١٤١٨هـ) .

١٦. ـــــــــــــــ : صحيح سنن الترمذي ، مكتبة المعارف ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠هـ) .

١٧. ـــــــــــــــ : صحيح الترغيب والترهيب ، مكتبة المعلرف ، ط١، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) .

١٨. الألمعي ، زاهر عواض : مناهج الجدل في القرآن الكريم ، مطابع الفرزدق التجارية، ط ٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٤هـ) .

١٩. الألوسي ، شهاب الدين السيد محمود : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار احياء التراث العربي ، ط٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٥هـ) .

٢٠. الآمدي ، أبي الحسن : الإحكام في أصول الأحكام ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، (١٤٠٢هـ) .

٢١. الأندلسي ، أبي عمرو الداني : البيان في عد آي القرآن ، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، ط١ ، الكويت ، (١٤١٤هـ) .

٢٢. أنيس ، إبراهيم ، وآخرون : المعجم الوسيط ، دار احياء التراث العربي ، ط٢ ؛ مطابع دار المعارف ، مصر ، (١٣٩٣هـ) .

٢٣. الأهدل ، عبدالله أحمد قادري : المسؤلية في الإسلام ، دار العمير ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤١٢هـ) .

٢٤. ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات : النهاية في غريب الحديث والأثر ، المكتبة العلمية ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) .

٢٥. ابن الجوزي ، أبي الفرج جمال الدين عبدالحمن بن علي : زاد المسيرفي علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .

٢٦. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، (١٣٩٣هـ) .

٢٧. ـــــــــــــ : إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٤هـ) .

٢٨. ـــــــــــــ : جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، دار العروبة ، ط ٢ ، الكويت ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، (١٤٠٧هـ) .

٢٩. ـــــــــــــ : زاد المعاد في هدى خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، ط١٤ ، لبنان ، بيروت ، حققه : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، (١٤١٠هـ) .

٣٠. ـــــــــــــ : بدائع الفوائد ، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٤١٦هـ) .

٣١. ـــــــــــــ : بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، (د.ت) ، جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه : يسري السيد محمد .

٣٢. ـــــــــــــــــــ : مفتاح دار السعادة ، دار الكتب العلمية ، لبنـــان ، بيروت ، (د . ت) .

٣٣. ابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم : الصارم المسـلول علـى شاتم الرسول ، دار بن حزم، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٧هـ) .

٣٤. ـــــــــــــــــــ : الفرقان بين أولياء الرحمن وأوليـاء الشـيطان ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، لبنـان ، بـيروت ، تحقيـق : فـواز أحمـد زمـرلي ، (١٤١٥هـ).

٣٥. ـــــــــــــــــــ : اقتضـاء الصراط المستقيم ، دار العاصمـة ، ط٦، المملكة العربية السعودية ، الرياض . تحقيـق العقـل . نـاصر عبـد الكـريم، (١٤١٩هـ).

٣٦. ـــــــــــــــــــ : مجموع الفتاوى ، جمـع وترتيـب :ابـن قاسـم ، عبدالرحمن ابن محمد . مكتبة المعارف ، المغرب ، الرباط ، (د.ت) .

٣٧. ابن جزي ، محمد بن أحمد : كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ،دار الكتاب العـربي ، ط٢، لبنان ، بيروت ،(١٣٩٣هـ) .

٣٨. ابن جماعة ، بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله : تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، دار المعالي ، ط ٣ ، الأردن ، عمان ، (١٤١٩هـ) .

٣٩. ابن حجر ، أحمد بن علي : تغليق التعليق علـى صحيـح البخـاري ، المكتـب الإسلامي ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٥هـ) .

٤٠. ـــــــــــــــــــ : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفـة ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .

٤١. ابن حنبل ، أحمد : مسند الإمام أحمد بن حنبل , عالم الكتب ، لبنان ، بـيروت ، (١٤١٩هـ) .

٤٢. ابن رجب ، زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بنشهاب الديـن :جـامع العلـوم والحكم ، مؤسسة الكتب الثقافية ،ط٢،لبنان، (١٤١٠هـ) .

٤٣. ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، تونس ، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م) .

٤٤. ابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبد الله : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، مطبعة فضالة ، ط٢ ، المغرب ، تحقيق : سعيد أحمد اعراب ، (١٤٠٢هـ) .

٤٥. ـــــــــــــــ : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، دار الجيل ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٢هـ) .

٤٦. ـــــــــــــــ : جامع بيان العلم وفضله ، دار ابن الجوزي ، ط٤، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، (١٤١٩هـ) .

٤٧. ابن عبد السلام ، العز : بداية السول في تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : الألباني ، (١٤٠٦هـ) .

٤٨. ابن عبد الهادي ، شمس الدين محمد بن أحمد : الصارم المنكي في الرد على السبكي ، دار الكتب العلمية ،ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٥هـ) .

٤٩. ابن قاسم ، عبد الرحمن : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، مطبوعات دار الإفتاء السعودية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٣٥٨هـ) .

٥٠. ابن كثير ، أبي الفداء اسماعيل : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، ط ٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠١هـ) .

٥١. ـــــــــــــــ : تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، ط٣ ، لبنان، بيروت ، (١٤٠٩هـ) .

٥٢. ـــــــــــــــ : الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار بن كثير ، سوريا ، دمشق ، (١٤١٣هـ) .

٥٣. ابن ماجة ، أبي عبدالله محمد بن يزيد : سنن ابن ماجه ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د . ت) .

٥٤. ابن مفلح ، عبدالله محمد : الآداب الشرعية ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ، (١٤١٩هـ) .

٥٥. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري : لسان العرب ، الدار المصرية، مصر ، القاهرة ، (د.ت).

٥٦. الالكائ ، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق : أحمد سعد الغامدي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .

٥٧. با شميل ، أحمد محمد : غزوة بدر الكبرى ، شركة الطبع والنشر اللبنانية ، لبنان ، بيروت ، (١٣٦٨هـ) .

٥٨. البخاري ، محمد بن إسماعيل : الأدب المفرد ، دار مكتبة الحياة ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠ م) .

٥٩. ـــــــــــــــ : صحيح البخاري ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ،(١٤١٩هـ) .

٦٠. البستاني ، بطرس : محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) .

٦١. البقاعي ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، ط٢،مصر ، القاهرة (١٤١٣هـ) .

٦٢. بكار ، عبدالكريم: دليل التربية الإسلامية ، دار الأعلام ، ط١ ، الأردن ، عمان، (١٤٢٢هـ) .

٦٣. البهوتي ، منصور بن يونس إدريس : كشاف القناع عن متن الإقناع ، دار الفكر، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٢هـ) .

٦٤. الترمذي ، أبي عيسى محمد بن عيسى : جامع الترمذي ، بيت الأفكار الدولية، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د . ت) .

٦٥. التميمي ، محمد بن خليفة : حقوق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أمته ، مكتبة أضواء السلف ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٨هـ) .

٦٦. الجارالله ، عبدالله بن جار الله : إتحاف الأمة بفوائد مهمة ، مكتبة دار السلام ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٢هـ) .

٦٧. الجزائري ، أبو بكر جابر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (١٤٠٧هـ) .

٦٨. ـــــــــــــــ : نداءات الرحمن لأهل الإيمان ، مكتبة لينة ، ط ١ ، مصر ، دمنهور ، (١٤١٤هـ) .

٦٩. ـــــــــــــــ : منهاج المسلم ، مكتبة العلوم والحكم ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (١٤٢٠هـ) .

٧٠. الجلعود ، محماس بن عبدالله : الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، ط١، المملكة العربية السعودية ، الرياض،(١٤٠٧هـ) .

٧١. الجليل ، عبد العزيز ناصر : وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، دار طيبة ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) .

٧٢. الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي : الفتوحات الأهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، مطبعة عيسى البابي ، مصر ، (د.ت) .

٧٣. الحبيب ، طارق بن علي : كيف تحاور دليل عملي للحوار ، توزيع مؤسسة الجريسي ، ط ٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) .

٧٤. الحليمي ، أبي عبدالله الحسن بن الحسين : المنهاج في شعب الإيمان ، بتحقيق حلمي فودة ، دار الفكر ، لبنان : بيروت ، (د.ت) .

٧٥. الحمدان ، أحمد بن عبدالعزيز : نيل الأرب من أدب الطلب ، دار الأندلس الخضراء ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤١٩هـ) .

٧٦. الحميد ، عبدالله بن سالم : التشريع الجنائي الإسلامي ، طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع ، ط٤، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٣هـ) .

٧٧. الخطيب ، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٧هـ) .

٧٨. الخطيب ، عبدالكريم : التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .

٧٩. دوكوري، عثمان: التدابير الواقيةمن التشبه بالكفار ، مكتبة الرشد ، ط١، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) .

٨٠. ديماس ، محمد : فنون الحوار والإقناع ، دار ابن حزم ، ط ١ ، لبنان ، بيروت، (١٤٢٠هـ) .

٨١. الرازي ، الفخر محمد بن عمر : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٣١٠هـ) .

٨٢. الرازي ، محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م) .

٨٣. رضا ، محمد رشيد : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، دار المعرفة ، ط٢ ، لبنان ، بيروت ،(د.ت) .

٨٤. الرومي ، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان :خصائص القرآن الكريم ، مكتبة العبيكان ،ط٩ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٧هـ) .

٨٥. الزاوي ، الطاهر أحمد : مختار القاموس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، (د.ت) .

٨٦. الزحيلي ، وهبة : التفسير المنيرفي العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر، ط١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١١هـ) .

٨٧. الزرقاني ، محمد عبدالعظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر ،لبنلن ، بيروت ، (١٤٠٨هـ) .

٨٨. الزركشي ، محمد بن بهادر بن عبدالله : البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .

٨٩. زمزمي ، يحيى بن محمد حسن بن أحمد : الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، دار التربية والتراث ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٤١٤هـ) .

٩٠. الزنتاني ، عبد الحميد الصيد : فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة ، الدار العربية للكتاب ، ط١ ، ليبيا ، طرابلس ، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) .

٩١. السحيمي ، صالح بن سعد : منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، (د.ت) .

٩٢. السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر : الرياض الناضرة والحائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة ، مكتبة المعارف ، ط٣ ، المملكة العربية السعودية، الرياض ، (١٤٠٠هـ) .

٩٣. ـــــــــــــــ : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، ط٩ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٨هـ) .

٩٤. السلمان ، عبدالعزيز المحمد : مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، مطابع المدينة ، ط١٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) .

٩٥. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن : الاتقان في علوم القرآن ،دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ،(١٣٩٨هـ) .

٩٦. ـــــــــــــــ : تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) .

٩٧. الشلهوب ، فؤاد بن عبد العزيز : كتاب الآداب ، دار القاسم ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠هـ) .

٩٨. الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، عالم الكتب ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .

٩٩. الشوكاني ، محمد بن علي : إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط٢ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : أبي مصعب محمد سعيد البدري ، (١٤١٣هـ) .

١٠٠. ـــــــــــــــــ: فتح القدير ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، (د .ت).

١٠١. الصباغ ، محمد بن لطفي : لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ، المكتب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٦هـ) .

١٠٢. صقر ، عطية : توجيهات دينية واجتماعية ، دار نشر الثقافة ، مصر ، القاهرة ، (١٤٠٠هـ) .

١٠٣. الصويان ، أحمد بن عبدالرحمن :الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ، دار الوطن ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٣هـ) .

١٠٤. ضميرة ، عثمان بن جمعة : أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة ، دار الأندلس الخضراء ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤٢١هـ) .

١٠٥. الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل القرآن ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٥هـ) .

١٠٦. طرهوني ، محمد بن رزق : موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (القسم الصحيح) ، مكتبة العلم ، ط٢ ،المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤١٤هـ) .

١٠٧. عبد الخالق : عبدالرحمن . الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ، الدار السلفية ، (د.ت) .

١٠٨. عبدالباقي ، محمد فؤاد : المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، مصر ، (د . ت) .

١٠٩. عبدالعال ، عبدالعال أحمد : التكافل الاجتماعي في الإسلام ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، مصر ، القاهرة ، (١٤١٨ هـ) .

١١٠. عثمان ، عبدالرؤوف : محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية، الرياض ، (١٤١٤هـ) .

١١١. العثيمين ، محمد بن صالح : كتاب العلم ، دار الثريا ، ط ٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، إعداد : فهد بن ناصر السليمان ، (١٤١٧هـ) .

١١٢. ـــــــــــــــ : شرح العقيدة الواسطية ، دار ابن الجوزي ، ط٥ ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، (١٤١٩هـ) .

١١٣. ـــــــــــــــ : شرح ثلاثة الأصول ، دار الثريا ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢١هـ) .

١١٤. ـــــــــــــــ : الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع ، دار الوطن ، ط٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (د.ت) .

١١٥. العدوي ، مصطفى : فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين ، دار ابن رجب ، ط١، (١٤١٨هـ) .

١١٦. العظيم أبادى ، أبي الطيب محمد شمس الحق : عون المعبود شرح سنن أبي داوود ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٩هـ) .

١١٧. العقيلي ، يحي بن سليمان : العفة ومنهج الاستعفاف ، دار الدعوة ، ط٢ ، الكويت ، (١٤١٢هـ) .

١١٨. العلي ،عبدالكريم عبدالله :حالنا مع القرآن ،دار الوطن للنشر ،ط١، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠هـ) .

١١٩. العُمري ، أكرم ضياء : التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام ، دار اشبيليا ، ط ١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٧هـ) .

١٢٠. العيد ، سليمان بن قاسم : المنهاج النبوي في دعوة الشباب ، دار العاصمة ، ط١، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٥هـ) .

١٢١. الفالح ، مساعد قاسم : فتح السلام في أحكام السلام ، مكتبة العبيكان ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٦هـ) .

١٢٢. فودة، حلمي محمد ، وآخر : المرشد في كتابة الأبحاث ، دار الشروق ، ط٦ ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، (١٤١٠هـ) .

١٢٣. الفيروز آبادي ، مجدالدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠٧هـ) .

١٢٤. القاسمي ، محمد جمال الدين : محاسن التأويل ، دار الفكر ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٨هـ) .

١٢٥. القاضي ، علي : أضواء على التربية الإسلامية ، دار الأنصار ، ط١ ، مصر ، القاهرة ، (١٤٠٠هـ) .

١٢٦. القحطاني ، محمد سعيد : الولاء والبراء في الإسلام ، دار طيبة ،ط٤، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١١هـ) .

١٢٧. القرضاوي : يوسف : الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، دار وهبة ، مصر ، القاهرة ، (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧ م).

١٢٨. ـــــــــــــ : الإيمان والحياة ، مؤسسة الرسالة ، ط٤ ، لبنان، بيروت ، (١٣٩٩ هـ) .

١٢٩. ـــــــــــــ : الرسول والعلم ، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ ، بيروت، (١٤١١هـ) .

١٣٠. ـــــــــــــ : ملامح المجتمع الذي ننشده ، مكتبة وهبة ، ط١، مصر ، القاهرة ، (١٤١٤هـ) .

١٣١. القرطبي ، أبي عبدالله محمد بن أحمد :الجامع لأحكام القرآن ،دار احياء التراث العربي،لبنان، بيروت،(١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م) .

١٣٢. قطب ، سيد : معالم في الطريق ، مكتبة وهبة ، مصر ، (١٣٨٤هـ) .

١٣٣. ـــــــــــــــ : في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط١٧ ، مصر ، القاهرة ، (١٤١٢هـ) .

١٣٤. قطب ، محمد : شبهات حول الإسلام ، دار الشروق ، ط١٤ ، لبنان ، بيروت ، (١٤٠١هـ) .

١٣٥. ـــــــــــــــ : رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، دار الوطن للنشر ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١١هـ) .

١٣٦. ـــــــــــــــ : لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة . دار الوطن ، المملكة العربية السعودية ، الرياض (١٤١٣هـ) .

١٣٧. القنوجي ، صديق حسن علي الحسين : فتح البيان في مقاصد القرآن ، المكتبة العصرية ، لبنان ، بيروت ، (١٤١٠هـ) .

١٣٨. الماوردي ، أبي الحسن علي بن محمد : أدب الدنيا والدين ، الدار المصرية اللبنانية ، ط١ ، مصر ، القاهرة ، تحقيق : محمد فتحي ، (١٤٠٨هـ) .

١٣٩. متولي ، مصطفى محمد ، وآخرون : أصول التربية الإسلامية ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، ط١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٥هـ) .

١٤٠. مسلم ، مصطفى : مباحث في التفسير الموضوعي ، دار القلم ، ط٣ ، سوريا ، دمشق ، (١٤٢١هـ) .

١٤١. النحلاوي ، عبدالرحمن : أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر ، ط ١، سوريا ، دمشق ، (١٣٩٩هـ) .

١٤٢. الندوة العالمية للشباب الإسلامي : في أصول الحوار ، ط ٣ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٠٨هـ) .

١٤٣. الندوي ، أبو الحسن علي الحسني : العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية ، ط٢ ، دار القلم ، الكويت ، (١٤٠٣ هـ) .

١٤٤. النسفي ، أبي البركات عبدالله بن أحمد : تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، المكتبة الأموية ، لبنان ، بيروت ، (د . ت) .

١٤٥. النمر ، عبد المنعم : القرآن والحياة ،دار الأندلس للإعلام ، ط١ ، مصر ، القاهرة ،(١٤٠٧هـ) .

١٤٦. النووي ، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف : الأذكار النووية ، دار الفكر، ط١ ، سوريا ، دمشق ، تحقيق : أحمد راتب حموش ، (١٤٠٣هـ) .

١٤٧. ــــــــــــــــ : المجموع شرح المهذب ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .

١٤٨. ــــــــــــــــ : رياض الصالحين ، دار الجيل ، لبنان ، بيروت ، (د.ت) .

١٤٩. نياز ، رقية نصر الله محمد : الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة ، دار اشبيليا ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤٢٠ هـ) .

١٥٠. النيسابوري ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم : المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، (١٤١١هـ) .

١٥١. النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم ، بيت الأفكار الدولية، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٩هـ) .

١٥٢. الواحدي ، علي بن أحمد : أسباب نزول القرآن ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط٢ ، تحقيق : السيد أحمد صفر ، (١٤٠٤هـ) .

١٥٣. الورداني ، مصطفى محمد : النهي عن الاستعانة والاستنصار في أمور المسلمين بأهل الذمة والكفار . دار النصر ، مصر . تحقيق : العلواني ، طه جابر فياض ، (د.ت) .

١٥٤. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد : كتاب أصول الإيمان ، مجمع الملك فهد ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ،(١٤٢١هـ) .

١٥٥. وزارة المعارف :دليل المعلم في التعبير والإنشاء ، الإدارة العامة للتعليم بمنطقة مكة المكرمة ، تعليم جدة ، إدارة الإشراف التربوي ، شعبة اللغة العربية ،ط١ ، (١٤٢٢هـ) .

١٥٦. وزارة المعارف :المختصر النفيس في مهارات وطرق التدريس ، الإدارة العامة للتعليم بمنطقة مكة المكرمة ، تعليم جدة ، إدارة الإشراف التربوي ، شعبة اللغة العربية ،ط١ ، (١٤٢٣هـ) .

١٥٧. يالجن ، مقداد : مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية ، دار عالم الكتب، ط١، المملكة العربية السعودية ،الرياض ، (١٤١٩هـ) .

١٥٨. اليحصبي ، القاضي أبي الفضل عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، (١٣٩٩هـ) .

ثالثاً : الرسائل العلمية والبحوث

١٥٩. آل سعود ، محمد الفيصل : " القرآن الكريم أساس التربية الإسلامية " ، سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م) .

١٦٠. جبار ، سالم سعيد بن مسفر : الإقناع في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، (١٤١٦هـ) .

١٦١. الحميدان ، ابراهيم بن صالح : الحوار والمناظرة والجدل في الدعوة الإسلامية ، بحث ضمن مجموعة بحوث ودراسات في الدعوة الإسلامية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٤١٣هـ) .

١٦٢. الراشد ، فلوه ناصر بن حمد : سورة المجادلة دراسة موضوعية تحليلية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الرئاسة العامة لتعليم البنات ، المملكة العربية السعودية، الرياض ، كلية التربية ، قسم الدراسات الإسلامية ، (١٤٠٩هـ) .

١٦٣. سابق ، سيد وعدلان ، محمد عثمان علي : " التربية العقلية في الإسلام " ، بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، ط٢، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، (١٤٠٠هـ) .

١٦٤. العقلا ، علي بن فراج بن علي : الخلاف وتأصيل آدابه في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، (١٤١٥هـ) .

١٦٥. عوض ، محمد محيي الدين محمد : سورة المجادلة : تفسيرها وأهدافها ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الأزهر ،مصر ، القاهرة ، كلية أصول الدين ، (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م) .

١٦٦. فرج ، محفوظ إبراهيم : بحث مقارن في الكفارة ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الأزهر ، مصر ، القاهرة ، كلية الشريعة والقانون ، (١٣٩١هـ) .

١٦٧. لاوند ، محمد رمضان : الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ، بحث مقدم للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، (١٣٩٦هـ) .

١٦٨. المطرفي ، رجا عابد : الكفارات في الفقه الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، شعبة الفقه، (١٤٠٥هـ) .

رابعاً : الدوريات والمجلات

١٦٩. البعداني ، فيصل بن علي : "اتباع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ضوء الوحيين" ، كتاب المنتدى ٣٥ ، "حقوق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الإجلال والإخلال " ، مطابع أضواء البيان ، المملكة العربية السعودية ، الرياض، (١٤٢٢هـ).

١٧٠. البيومي ، محمد رجب : " التناجي في سورة المجادلة " ، التضامن الإسلامي ، السنة ٤٦ ، الجزء ٣ ، (رمضان ١٤١١هـ) .

١٧١. الحسن ، عبداللطيف بن محمد : " محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمـــه " ، كتاب المنتدى ٣٥ ، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بين الإجلال والإخـــلال ، مطابع أضـــواء البيـــان ، ط ١ ، المملكـــة العربيـــة الســـعودية ، الريـــاض ، (١٤٢٢هـــ) .

١٧٢. شلبي ، عبد الجليل : " مع سورة المجادلة " ، الأزهر ، السنة ٦٧ ، الجـــزء ٧ ، (رجب ١٤١٥هـــ) .